محمد حسين الميسو الحجار

تاريخ اقليم الخروب

١٩٧٨

الطبعة الأولى

الإهداء

إلى روح والدتي تلك المرأة المدركة التي أقدمت على تعليم يتيمها في عصر أحجم فيه الرجال المسؤولون عن تعليم أولادهم . ولم يرعها يتمه ولا هالها فقره بل أقدمت وبذلت كل جهدها وتحملت فوق طاقتها حتى مكنته من إحراز قدرٍ من العلم والتحصيل .

أقدم كتابي هذا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الكون وأسبغ عليه عظيم رحمته الواسعة . وأودع فيه كثير آياته الدالة عليه . كما أقام فيه الدلائل الواضحة المشيرة إليه . ثم خلق الانسان وعلمه البيان وخصّه بالشرائع التي أنزلها رحمة به ورأفة بضعفه وأرشده إلى التفكر بهذا الكون الرّحب ، وتبدل أوضاعه ، وتغيّير عناصره، وتحول صورها من حالة إلى حالة تختلف عن السابقة طبقاً لما جاء في الآية الكريمة : « ان في خلق السماء والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ». صدق الله العظيم . فأيقن أولو الألباب المجلوّة الخالصة من شوائب الحس والوهم ، وذوو البصائر العميقة النافذة ، بوجود الصانع « الخالق » وكمال علمه وقدرته . وازدادوا اعتقاداً بكمال مكارمه التي لا تحصى ، وصفاته التي لا تستقصى . ووفرة ما أسبغ من نعمه المترادفة على الإنسان الذي اتّضح له عندئذ سبيل الوصول إلى الحق والحقيقة . واقتنع بأنه لم يُخْلق سُدًى . ولم يوجد صدفة كما يعتقد الدهريون [1] . كما اقتنع بأنه يجب عليه أن يسعى لصلاح حاله وتهذيب نفسه وإسعادها . وإسعاد ذويه وبيئته في الدنيا والآخرة. بل يسعى لخير الإنسانية جمعاء . وكما أدرك أن قيمة كل إنسان ما يُحسن ،

....

[1] الدهريون هم الذين لا يعتقدون بوجود خالق .

ثبت له بالمقابل أن تقدير الناس شَخْصَه ، يرتكز على ما أسداه إليهم من جليل الأعمال ، وما قدمه لهم من عظيم المنافع وان من خير هذه المنافع كتاباً يُضمنه شيئاً من بيان أحوال السلف والنهج الذي نهجوه في معيشتهم وعاداتهم وأخلاقهم ومشاربهم . ولا شك في أنه ذلّ قوم أغضوا عن فضل السابقين من رجالهم فضاعت ذخائرهم في مجاهلها ، وعزّ قوم عرفوا مآثر أسلافهم فكشفوا عن خباياها . وأوضحوا معالمها ، ليكون فيها لابناء الأجيال الجديدة ما يعين على الاهتداء إلى السبل القويمة المؤدية إلى مشارف الحياة المثلى. فخير ما يُسعف الأمة قدماً ؛ أخذها بيد من ذخائر السلف ، وبأخرى أكرم عائدات الخلف . ومذ تفتحت عيناي على واقع هذه المنطقة ، التي أفخر بأن أكون أحد أبنائها ، وحكاية تاريخ الاقليم تدوي في أذني ومعالم تاريخه تحملق في عينيّ . من طفولتي إلى صباي إلى شبابي إلى رجولتي وتهيب بي للكشف عن حالة الأسلاف الصالحين الذين سكنوها وجاسوا[1] خلالها ، وعمّا توالى عليهم وعليها . أو اعتورها من أحداث ، ونزل بساحها[2] من بلاء ومحن طمست آثارها وعفّتها[3] . وأبعدت عنها العمران . وفسحت للجهل أن يخيّم في أجوائها ويُقلّل من شأن سكانها . فتضيع أخبارهم ، وتُجهلُ أحوالهم . فلا يُشعر بوجودهم رغم ما تركوه فيها من آثار أعمالهم . يدلنا كيف أنهم عمدوا إلى براريها المجدبة ففتّتوا صخورها ، وقلبوها وحولوها إلى حقول وكروم ، حفروا فيها الآبار واستقطبوها[4]

---

١ ترددوا المرة بعد المرة .

٢ الساح : جمع ساحة .

٣ محيتها وإزالتها .

٤ أخذوا منها ما حوته من مياه المطر .

من مياه الأمطار ، ليعتاضوا عما ضنت[1] به عليها الطبيعة من ينابيع ثرة[2] وعيون غزيرة وجداول رقراقة وأنهار جارية. وهذا ما يفسر لنا كثرة الآبار العامرة والغامرة[3] إن في القرى أو في المزارع والبراري والتي إن دلّت على شيء ما ، فإنما تدل على العزيمة الصادقة والهمة القعساء اللتين كان هؤلاء الأسلاف الصالحون يتحلّون بهما بعيدين عن كل اتكالية وتواكل . ولكن الذي يحزّ في النفس ، أنه لم يصلنا شيء عن طريقة معاشهم . إذ كل ما هو باستطاعتنا الاتكال عليه من سابق ما عرفَ عن تاريخهم وتاريخ هذه المنطقة ، لا يستند إلى حقيقة ذات وزن وشأن . وإنما هو أساطير وحكايات تستدعي الوقوف والاستيقاف عندها . رغماً عما قيل وردد فيها وحولها حقاً أو باطلا قديماً وحديثاً . كل هذا جعلني أشعر بفداحة المسؤولية الملقاة على عاتقي وعاتق كل مثقفٍ وكل محبٍ للاطلاع .وأهاب بي لأبادر بالكتابة آخذاً نفسي بالتمرّس بإيضاح ذلك ما استطعت ، وكاشفاً ما قدرت وما يتوصل إليه علمي القاصر، وتبلغه عزيمتي . ومودعاً كتابي هذا ما حوته دفاتري وما قرأته في كتب كثيرة قديمة وحديثة . وما وجدته في المجلات والصحف بعد عناءٍ شديد في التفتيش عن مصادر تاريخية ثابتة — وما أقلها وأصعب وجودها والوصول إليها — وبعد مطالعاتٍ مرهقةٍ ، وما لم يرد في مصادر تاريخية ثابتة ، كان مرجع الحكم فيه للترجيح والتغليب . خصوصاً في ما سمعته من الروايات البكر المحفوظات في الذواكر والتي كان يردّدها امامي بعض حفظة شيوخنا : والتي لو لم أدوّنها لكان عفّى عليها الزمن

---

١ بخلت .

٢ غزيرة .

٣ الآبار الخربة لأن العامرة ضد الغامرة .

وماتت بموت أولئك الشيوخ. ولقليل صحيح لا يخزي[1] صاحبه خير من كثير غير ثابت يفضحه. مع العلم أنني كما قلت قبلاً. لم أودع كتابي هذا إلا ما صح سماعاً من هذه الروايات التي تشفّ عن الحقيقة كما تشفّ زجاجة المصباح عن نوره. والتي كان يرويها في مجالس علنيّة أشخاص عاشوها أو عايشوا الذين عاشوها. وكلهم من الموثوقين ذوي المعرفة الثاقبة التي اقترنت إليها معرفتي، ويؤيدها إجماع الناس المبني على تواتر الأخبار جيلاً بعد جيل. وهذا خير مثبت لحقائق الأمور. إذ لا يمكن أن تجتمع الألوف من الناس على أمر ليس بصحيح. والرسول «صلعم» يقول: «لا تجتمع أمتي على ضلال».

من هذه الروايات ما حكا الحاج أنيس قداح – وهو رواية أخبار محلية من طراز رفيع – إلى كونه من الأشخاص الموثوقين – قال: كان أحمد أبو حمد فواز – في شبابه – يرافق الشيخ أحمد الخطيب «الدهن» الذي كان أمام الطابور في جيش داود باشا عندما حارب يوسف بك كرم «١٨٦٥ – ١٨٦٧» وكان قد حكى أمامنا مراراً عديدة عن حوادث تلك الحرب وكيفية وقوعها قائلاً: كنا نحتلّ مثلاً قربةً كقرية دلهون في الموقع. ونخضع سكانها. وإذا ما جاوزناها إلى مزبود وأخضعناها ثم جاوزنا هذه إلى شحيم، عاد أهل دلهون إلى العصيان. وإذا ما وصلنا إلى داريا واحتللنا ها عاد أهل مزبود إلى العصيان وإذا تركنا داريا وبلغنا عانوت عاد أهل شحيم إلى العصيان وهكذا دواليك. وعلى هذا النسق لم ألتفتْ وأثبتْ إلا الروايات الثابتة كهذه والتي كانت تؤلف القصص الشعبي الذي كانت تعيش القرية في ظلاله الوارفة في زمن كانت فيه الحياة بدائية. فلا سينما ولا راديو ولا تلفزيون ولا مسارح ولا ملاعب و... و... الخ. وكانت تستهويني خاصة

[1] لا يغسل.

أخبار السهرات العامرة التي أحياها فحول الشعر العامي وما بدا فيها من القول البديهي المرتجل، الدال على الخلق والإبداع، وكنت أتتبع ما دار فيها من المناظرات والتحديات التي تثبت أن شحيم كانت من أهم مراكز هذا الفن وحفظه على رونقه في ذلك الزمن، كما كنت اعتمد فوق ما منحني الله من حافظة وذاكرة نادرتين على الاستفسار والسؤال بإلحاح لدرجة أتّهم فيها بالفضول، عن الأشخاص الذين برزوا إجتماعياً وسياسياً في المنطقة. وعن كل ما حدث فيها من حوادث خير أو شر.

وهكذا تسنّى[1] لي أن أخزن – كما قدمت – ذكريات أحفظها بين أغلى ما أحفظ من ذكريات وأدوّن من رؤوس الأقلام ما يصح أن يكون مادة دسمة لكتابي هذا الذي لا أدعي أنني بلغت فيه الغاية أو أنني جئت بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فما أنا إلا بشر يخطىء تارة ويصيب أخرى. فإن كان فيه من حق وخير، فالفضل فيه لله وحده عز وجل. وإن كان فيه من خطل وشر، فمرده إلى نفسي. إلا انني أعتقد أنني كنت في عملي هذا رائداً لبحث لم يُطرَق قبل الآن، وطريق لم يُسلَك بعد. وكان يحفزني في كل ذلك دافعان ملحان هما:

١ً – رغبة استبدّت بي منذ نعومة أظفاري لمعرفة تاريخ هذه المنطقة المهملة أو بالأحرى المتعمّد إهمالها لدرجة النسيان – كما قدمت.

٢ً – عهد قطعته للخاصة من تلامذتي على مقاعد الدرس – طيلة مرحلة التعليم التي دامت خمساً وأربعين سنة – بكتابة شيء عن تاريخ هذا الإقليم وسكانه الذين عقمت أرحام نسائهم عن أن تأتي ولو بفرد واحد يكشف

[1] تيسر لي.

للخلق تاريخ أسلافهم . ويبين مُنتماهم ونسبهم ، وكل ما هو جدير
بالذكر عنهم وعن أخبارهم ، ومناقب مشهوري رجالهم . ويكون
إرثاً ثميناً ينتقل إلى الأبناء من الاباء ويضاف إليه عصراً فعصر ،
ما يرويه الثقاة من صحيح أنبائهم . فإن وُفِّقْتُ بالوصول لشيء
يرضي ، أكن بلغتُ ما إليه قصدت . وإلا ، فحسبي أنني كسرت
جدار الصمت الثقيل الوطأة الذي يخبيء وراءه عالماً مغلقاً. وأزلت هذا
الحاجز الذي يسد طريق الأمل، وأوجدت منطلقاً لمن يأتي بعدي ويريد أن
يخوض في هذا البحث من حملة الأقلام ومبتغي التاريخ ويبرزه على
أحسن وجه ويسد الثغرات التي لم أتمكن من سدها . لافتاً نظر إخواني
وأبنائي والقراء جميعاً إلى أن كتابي هذا ليس كتاباً علمياً يكتظ
بالموضوعات المجردة ، ولا كتاب أدب تملؤه المقالات والبحوث
الأدبية . وإنما هو صرخة إيقاظ وتذكير لبعث تاريخ إقليمنا وبلدتنا.
ونشره ليعلم الخلف كل ما يجب من أحوال السلف . وكل ما أرجوه
من الله ، ألا يُبعدَ عن الإقليم هذا اليومَ الذي يدرك فيه المثقفون
الواعون : أن احياء تراثنا الخالد لا يكون كما كان قبل قرون فالأيام
تتغير ، والأجيال تتعاقب ومعطيات العلم تتبدل . وأساليب التفكير
تتغير ، ولزاماً علينا أن نأخذ هذا كله في حسابنا وأن نعني به مثل
عنايتنا بما يمس حياتنا من ألوان الحضارة الحديثة . وعندئذ يعقدون
الخناصر للسير به قدماً في طريق بعيد عن طريق العائلية والأنانية ،
والتبجح والتيه والضعضعة . وغايته التدرج به ودفعه صوب مناخات
الغمم والبهاء وليكون التقدمُ الحقيقيُّ هو القصدَ والمنطلقَ والهدفَ
فيحتلَّ المركز اللائق به بين أقاليم وأجزاء هذا الوطن . ونصبح في

وضعٍ ثابتٍ لا نخجل فيه من الأمس حيث ترقد ذكرياتنا ، ولا
نيأس من التفكر بالغد ، حيث تلوح آمالنا ، ويحفزنا دائماً ، بل
ويطالبنا وبشدة بالقيام بواجباتنا ، بعيدين عن مصدر التعثّر والتقهقر
إلى ما تلتمع فيه جميع معاني الخير والحق والجمال .

ويطيب لي في الختام أن أشكر المعروف لأهله . سيما الأساتذة الذين
آزروني بإرشاداتهم ودلالاتهم الناصحة أو يسروا لي بعض المصادر الثابتة .
فقد كان عملهم المشكور خير معين وحافز لي على الاضطلاع [1] بهذا البحث
العسير المغلق . وبذل أقصى الجهد حتى استطعت بأن أخرجه على هذه الصورة
المتواضعة . مبتهلاً إليه تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ولفائدة
الجميع . ومبتغياً وضع صورة حقيقية لماضي الإقليم أمام أبناء الجيل الجديد ،
وقد قسمته إلى ثلاثة أقسام :

١ً – القسم الأول ويبدأ من العهد الذي سُكِن فيه الإقليم – العهد الوثني
الفينيقي الروماني المسيحي مروراً بعهد الأمراء البحتريين والمعنيين
والشهابيين حتى آخر مدة القائمقاميتين .

٢ً – القسم الثاني ويتضمن تاريخ المتصرفية وهو عصر لبنان الذهبي وينتهي
بانتهاء الحرب الكونية الأولى .

---

١ القيام بهذا البحث والنهوض فيه .

٣ – القسم الثالث والأخير ويبدأ من أول عهد الاحتلال الفرنسي ، ويمتد إلى أول ١٩٤٣ أي أول عهد الإستقلال الحقيقي .

اللهم سدد خطانا ، وبصرنا أخطاءنا ، وألهمنا الرشد وصدق القصد في كل أعمالنا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

شحيم – محمد حسين الحجار

الفصل الاول

حدوده – سبب تسميته – آثاره ومتى سكن

حدوده :

يحده من الجنوب ومن الجنوب الشرقي ومن الشرق نهر الأولي الذي يفصله عن بساتين صيدا وعن اقليم التفاح وسائر قضاء جزين . ويحده من الشمال الشرقي ومن الشمال نهر الحمام احد روافد نهر الدامور الذي يفصله عن الشوف السويجاني وعن سهل الدامور ومن الغرب البحر المتوسط والاقليم هو مقاطعة من الشوف السويجاني . وقد سمي هكذا نسبة لبيني السويجان [١] الذين حضروا مع بني الفوارس إلى لبنان. وسكنوا فيه. وسمي القسم الأعلى الشوف الحيتي وهو نيحا وباتر وبعدران والخريبة ومعاصر الفخار والباروك والبتلون والصفا وعين زحلتا وبمهري واغميد وعينداره . . . الخ وهناك الشوف البياضي ومركزه زحله. ومنه المريجات وقب الياس وبوارج وغيرها . وقد سمي الشوف البياضي لبياض تربته وصخوره في زحلة وضواحيها . وقد رد فرنقو باشا مقاطعة الشوف البياضي [٢] إلى الولاية في نهاية ١٢٨٥ مارتية و ١٨٧٠ ميلادية ما عدا زحلة نفسها [٣] .

---

١ مجمع المسرات ٥٧٦ .
٢ أسد رستم ١٤٩ .
٣ الدكتور أسد رستم في تاريخ المتصرفية ١٤٩ .

سبب تسميته :

مما لا شك فيه أن اقليمنا اكتسب اسمه من كثرة وجود أشجار الخروب التي كانت ولا تزال تغطي براريه . وفي جميع البلدان وخاصةً في لبنان ، تدعى الأماكن باسم الشجر على الاضافة وعلى حذف المضاف وبقاء المضاف إليه من شجر أو ريحان .

فعندنا الزعرورية والزيتونية والريحانية وحارة البطم واللويزة والارزة واقليم التفاح واقليم البلان وفي بيروت نفسها الزيتونة والجميزة [1] .

الإقليم في العصر الحجري الأول :

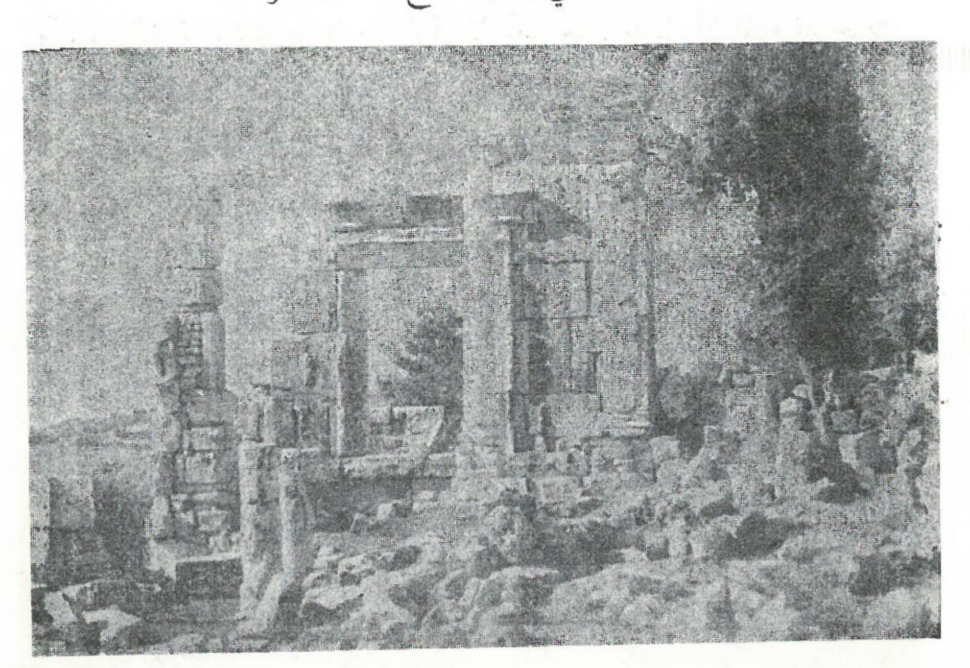
نستطيع الجزم بأنه قد سكن منذ الطور الحجري الأول أو عصر الظران بدليل ما يحويه من الكهوف والمغاور المنظمة الموجودة في شحيم وعانوت والبرجين والمغنيه ودلهون وبرجا فقد كان وما يزال في هذه القرية الأخيرة عدد كبير من المغاور المتلاصقة الواقعة إلى الشمال من البلدة ، والتي يشكل مجموعها « تجمعها » في مكان واحد ، قريةً صغيرةً . ولكن لم ينكشف للباحث من أسرار ذلك الطور شيء . إذ لم يُعثر على شيء من الشفار والمخارز والمقاشط والمعاول والمجارف وغيرها من الأدوات التي كان يستعملها انسان ذلك الطور . أوانها كانت وفقدت قبل عصرنا .

وبعد ذلك العصر ، تألفت الجماعات الانسانية وشكلت القرى . فعمر الاقليم وازدهر . وأقيم في نقطة متوسطة منه ذلك المعبد الكبير الواقع على مسافة كلم واحد إلى الشمال من شحيم . والذي يُعرَفُ في أيامنا : بالقصر

---

١ عارف النكدي في صفحة ٢٩٤ من مجلد أوراق لبنانية ١٩٥٦ .

وأراني مضطراً لايراد وصف تفصيلي له ، لأنه الدليل الحسي الذي يمثل لنا الحالة العمرانية والاجتماعية التي بلغها مجتمع ذلك العصر .

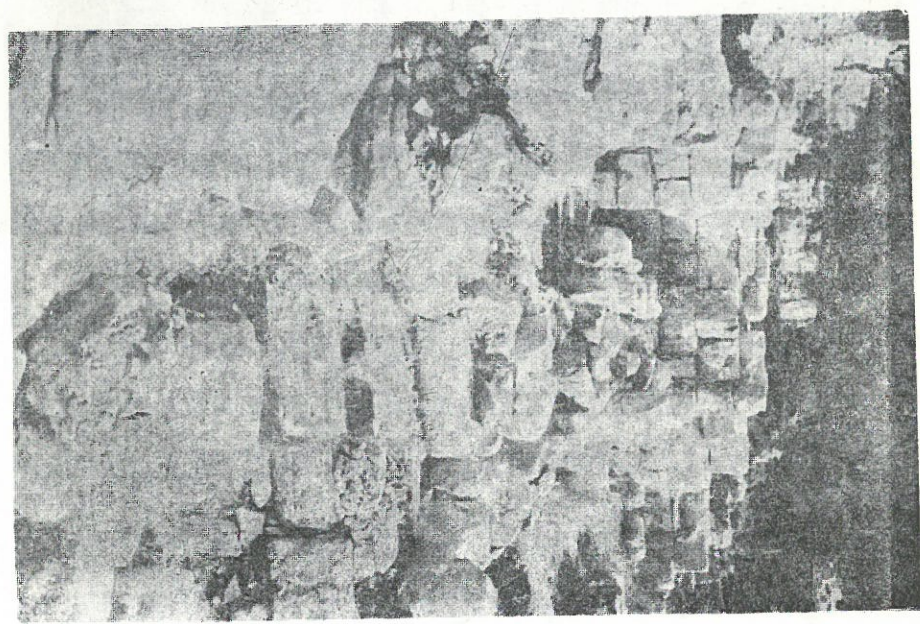


واجهة معبد جوبتر في القصر

يقوم هذا المعبد على سطح رابية جميلة تكللها أشجار الارز الدائمة الخضرة وتحجب عنه منظر الشرق . ولكنه يشرف على منبسط فسيح من الأرض . حيث تنطلق أفاقه إلى ما لا نهاية من جهات ثلاث الشمال والغرب والجنوب

ويُستنتج من وجود موقعه في هذه النقطة المتوسطة من الاقليم ، إذا وُضعت بعض الفرضيات حول ما يمثله من واقع تاريخي واقتصادي واجتماعي ، ان شحيم القديمة كانت تمثل موقعاً مركزياً وسياسياً واقتصادياً بالنسبة للمنطقة ككل . خصوصاً إذا ما راعينا اتساع الرقعة التي تشغلها آثار المعبد وملحقاته التي تمتدّ صعداً إلى الجنوب الشرقي والشمال . وتشكل بلدةً واسعةً

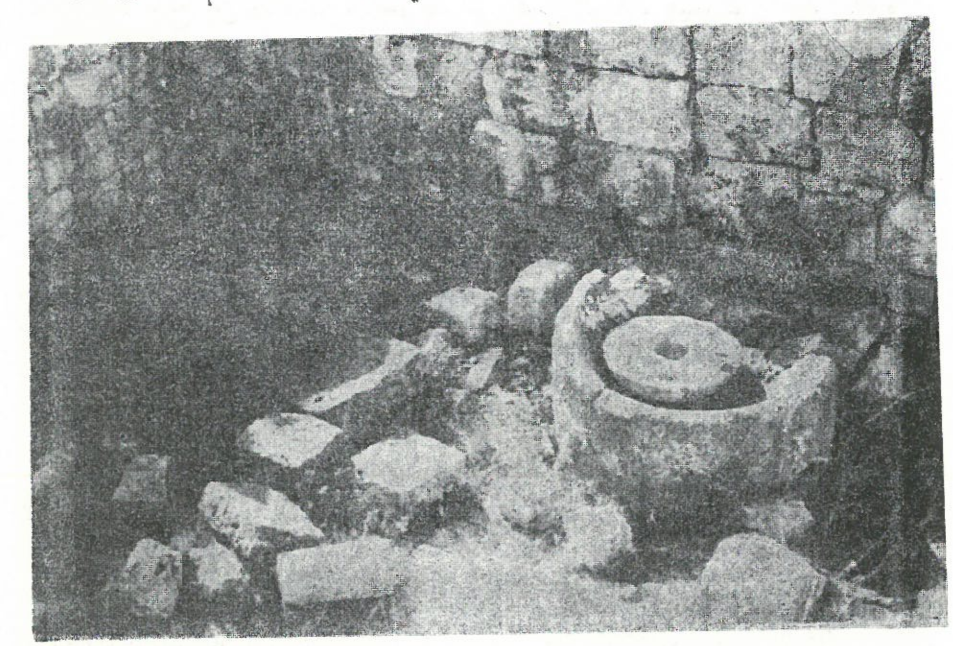
تقدرُ بثلاثة أمثال قلعة بعلبك . ويستنتج أيضاً أن هذه البلدة التي ضمّتْ وحدات سكنية عديدة ربما كانت لسكنى الجنود والنبلاء الرومان والفلاحين وَ . . . وَ . . . الخ قد بلغت درجة من الرقي لا بأس بها . بدليل أن المياه قد جرت إليها بقساطل من الفخار ، من عين غزيرة المياه واقعة إلى الجنوب الشرقي من القصر وعلى مسافة ثلاث أو أربع مايه متر تقريباً ، تعرف اليوم باسم : عين الباروك . وكانت هذه الفساطل التي وجد شيء منها سالماً في الحفريات التي جرت مؤخراً ، تنتهي إلى بئر كبيرة في أعلى هذه البلدة وتصب فيها . وكشفت الحفريات أيضاً كنيسة لا يزال مذبحها بحالة سليمة كما يظهر في الصورة المرفقة ؛ مما يدل على أن هذه البلدة سكنت في العهد المسيحي كما



الكنيسة التي ظهرت في حفريات العصر

كشف رأس تمثال ، قال بعض من رآه أنه تمثال جوبتر وقد وجد في قلب المعبد المبني من الغرب إلى الشرق ، على طراز معبد الشمس في هياكل بعلبك

وقد حفرت على عتبة بابه الكبير صورة الشمس . وتكدست الحجارة الضخمة على البطحاء لتعطي المتأمل صورة عن ماضي هذا المعبد يوم كان بناءً هندسياً متناسقاً وتشير إليه من طريق خفيّ إلى أن غدر الزمان وحقده لم يقدرا على ملاشاتها تماماً وانها بقيت على رغم انفه دليلاً ناطقاً وحجةً دامغةً على عظمة من شادوها ومقدرة من أقاموها . وإذ ينتهي من ذلك ، لا بد له أن يتحوّل في تلك الخرائب المنتشرة حول المعبد ، والتي تحولت إلى ركام أما من جراء



معصرة الزيت

الزلازل ، وإما من نتائج الحروب والذي يلفت النظر كثرة المعاصر المعدة لعصر العنب والخاوية آباراً واسعة لحفظ النبيذ المعتق ومن هذه المعاصر المعدة واحدة يظهر أنها معصرة للزيت حيث وجد فيها بذور زيتون شبه متحجرة كما يظهر في الصورة وتدل هذه المعاصر على أن الذين عمروها ، كانوا يعتمدون

على الزراعة بشتى أنواعها . وخصوصاً زراعة الكروم . وخلاصة القول أن الانسان إذا ما لاحظ هذه الآثار الضخمة ، ثم قابلها بآثار بعلبك ، يجد شبهاً قريباً بينهما . وكلاً منهما كان فينيقياً في الاساس ثم صبغ بصباغ الرومان إلاّ أن الأولى لم تبلغ من التقنية وروائع الفن ما بلغته آثار بعلبك لعدة أمور أهمها :

١ً — إن آثار العَصر سبقت الثانية في الأساس . ومعلوم أن كل بناء يشاد ، لا يبلغ من الاتقان ، الدرجة التي يصل إليها ، فيما لو أعيد بناؤه أو بناء مثله .

٢ً — كون خصوبة الأرض في بعلبك ، أوفر إقبالاً بدرجات من مثلها في اقليم الخروب . حيث ينجذب الفنانون والهاوون والسواح والتجار إلى أمكنة الرفاهية واليسر برغبة شديدة .

٣ً — تطور الفن والصناعة كلما تجدد الزمان . وامكان اصلاح الخطأ الحاصل في هندسة البناء والمصنوعات السابقة .

٤ً — وأهم من كل هذا هو تقطيع النقوش في سقف وجدران معبد جوبيتر الذي يشتهر اليوم باسم دار السعادة في قلعة بعلبك. فهذه النقوش رومانية نزلت صورها وتقاطيعها بين النقوش الأساسية كما يظهر للعين المجردة ولو كان الرومان هم البانين ، لكانوا ثبّتوا نقوشهم وحدها منذ البدء . وهذا خبر مثبت كما قال استاذنا المرحوم[1] خليل الشماس : ان أصل البناء فينيقي ، ثم حوّره الرومان .

---

١ كان الأستاذ خليل الشماس من مواليد صور وكان فناناً فاهماً . فهو خريج الكلية الصلاحية الشهيرة في القدس الشريف وكان يعلم الفن في المدرسة البطريركية .

فبالاستناد إلى هذه الأسباب ، يمكن الجزم بأن هذه البلدة « أي القصر وملحقاته » كانت أول مستعمرة رومانية في الساحل اللبناني اشتملت على معبد كبير للطقوس الدينية . باعتبار أن سلطة نظام العبودية الروماني قد استند على الدين الوثني ، إلى جانب الجيش . وان هذه الوحدات السكنية العديدة التي أشرنا إليها سابقاً ، كانت كما ذكرنا لسكنى القواد والنبلاء والجند. . . الخ.

ثم بعد أن استتبّ الأمر للرومان ، و، سخت أقدامهم في هذه البلاد ، وترقّى الفنّ المعماري عندهم ، رأوا أن هذه المنطقة بمحاصيلها الضئيلة ، ومداخيلها المحدودة لا تحملهم أو بالأحرى لا تشبع جشعهم . فآثروا الانتقال إلى الداخل . وأوجدوا أو بالأحرى وسّعوا قلعة بعلبك ورمّموها . وانصرفوا عن تحسين وتطوير القصر . فكان نصيبه الاهمال والنسيان .



معصرة من معاصر العنب العديدة

وبالطبع لم يقتصر النسيان على العاصمة وحسب . بل شمل قرى الاقليم كلها . وخاصةً الواقعة بالقرب منها . فقد كانت برجا التي أشرنا إليها في أول الفصل ، وقلنا انها سكنت في العصر الظرانى المركزَ الثانيَ في العبادة بعد القصر في الاقليم . ولا سيما عبادة جوبيتر التي انتقلت منها إلى بعلبك . ويؤيد رأينا بهذا الخصوص ما ورد في كتاب مباحث علمية [1] واجتماعية الذي ألف في عهد اسماعيل حتي « ومما اكتشفَ حديثاً في كفرحزين قريباً من برجا ، تمثال جوبيتر البعلبكي على صورة رجل منتصب طويل الشعر ، ذي لحية خفيفة . وفي هيأة تخنُّث . وهو رافع يده اليمنى . أما يسراه ، فمنحنية على صدره . وعليه رداء طويل فوق صدره . مشبكة الخطوط . ومن ورائه النسر المرموز به عن المشتري » انتهى .

ويرى بعضهم أن اسم برجا والبرجين المشتقين من كلمة برج ، هي أبراج في الأصل ، أقيمت لكشف المغيرين على العاصمة . ويُعزِّزُ هذا الرأي أو الزعم ، وجود مكانين احدهما في أعالي قرية البرجين . والآخر في قطعة أرض واقعة على مسافة خمسماية مِتر تقريباً إلى الجنوب من القرية تشرف على العاصمة « القصر » . فيهما ركام بناء قديم العهد . ولا يزال الأهلون إلى يومنا هذا ، يسمون كلاً منهما « البرج » . وعلى الرغم من استفساري الشيوخ المقدمين في السن من أهالي هذه القرية ، وسواءآلهم عن سبب تسميتها بهذا الاسم ، لم أظفر منهم بجواب يرضي . بل كل ما سمعته منهم ، انهم هكذا سمعوهما من آبائهم . ولأجل ذلك دُعيت القرية : البرجين .

١ كتاب مباحث علمية واجتماعية ، كتاب ضخم ألفته لجنة من أعلم علماء الشرق من أساتذة الكلية اليسوعية والجامعة الأمريكية ومعهم العلامة حسين كاظم بك أعلم علماء الدولة العثمانية . وعيسى اسكندر المعلوف وسليم الأصقر وغيرهم . وطبعته الجامعة اللبنانية بإشراف الأستاذ فؤاد افرام البستاني صفحة ١٤٤ .

ثم ان تاريخ الاقليم ، يغشاه بعد ذلك ظلمات من الجهل كثيفة . وغاية ما ينكشف للباحث عن حقيقته ، ان أكثر أسماء القرى التي قامت من حول العاصمة — مركز العبادة — كلمات سريانية وبعضها عبراني كأكثر قرى لبنان .

فمعنى شحيم : كتاب الصلاة ، أو الخصب ، أو الدنيوي . ومعنى عانوت : اجابة . أو الردة اللازمة في النشيد . ومعنى حصروت : المكان المحاصر أو المعقل أو القلعة . ومعنى كترمايه : « كفرمايه » : ضيعة المياه الدائمة ومعنى سبلين : درج أو نوع من الأناشيد . ومعنى مزبود : قناة المياه ومعنى : المغيرية : المغاور . جمع مغارة ، ومعنى برجا في السريانية « بورجا » أي البرج كما قدمنا . ومعنى جدرا وتلفظ بالسريانية « gadre » وهي بئر لجمع مياه المطر [1] .

ولم ينحصر ذلك في أسماء القرى . بل تعداه إلى الأمكنة والحقول . ففي ظاهر شحيم ، لجهة الشمال على مسافة كيلومترين أو ثلاثة ، عين غزيرة المياه تدعى « عين [2] شوعا » . ولا شك أنها تحريف يشوع بن نون العبراني . كما أن هناك أسماء روبين وابي الزرد وابي الوفاء . من أسماء أولاد يعقوب . وقد شُيِّدت مزارات بأسمائهم في ضواحي شحيم . وكثيراً ما يزورها العامة الجاهلون للتبرك . ولا يُعلم بالضبط ، إلامَ دام هذا العهد الذي قام على انقاضه عهد المسيحية الأولى في هذه الديار . ومن الأدلة التي تثبته لنا — أي عصر

١ أخذنا شرح هذه الكلمات من السيد أنطون السرياني وهو رئيس دائرة في المالية عن طريق المرحوم بهيج محمد شعبان . وتأكدنا من شرح بعضها من مجلة أوراق لبنانية للمؤرخ البحاثة ، العالم الكبير ، الأستاذ يوسف ابراهيم يزبك في مجلد ١٩٥٧ صفحة ٣٥٠ .

٢ جرت مياهها إلى شحيم في أوائل القرن العشرين .

المسيحية الأولى – وجود ثرب[1] وقرى وكنائس متدثرة في أكثر من ناحية في الاقليم . ففي القصر ذاته كنيسة كشفت عنها الحفريات الأخيرة التي أجرتها مديرية الآثار كما قدمنا في أول البحث . وإلى الجنوب من القصر على مسافة مئتي متر تقريباً آثار كنيسة كبيرة وقرية واقعتين في ملك ورشة سعيد عويدات ولا تزال إلى أيامنا هذه تسمى الكنيسة ولا يزال بعض جدرانها قائماً بعلو خمسة أمتار . ومبنياً بأحجار ضخمة . وعواميدها لم تزل ملقاة على الأرض[2].

ولا شك أن هذه القرية المندثرة كانت كبيرة . لكثرة ما وجد من المدافن والنواويس في جدران مغارة كبيرة واقعة هنالك في ملك آل عويدات . وقد اطلعت شخصياً – لدى تنقيبي فيها على أكوام من الجماجم وقصب العظام البشرية . تثبت كثرة الذين دُفنوا فيها . وفي شحيم لجهة الشرق ، قطعة أرض تحوي قبوراً قديمة لا تزال تدعى – إلى أيامنا هذه – تربة النصارى . كذلك في وسط شحيم محلة كان فيها حنية أزالها الشيخ علي شعبان في أوائل القرن التاسع عشر ، وبنى في مكانها جامعه المعروف في أيامنا بجامع السيد البدوي وقد دفن بجانبه هو وولداه اللذان قتلهما الاقطاعيون يوم ان أحرقوا شحيم للمرة الثانية في أيام الأمير بشير الكبير . وقد جُدِّدَ بناء هذا المسجد بهمة وسعي محيي الدين شعبان . والغريب في الأمر ان هذه المحلة لا تزال إلى أيامنا هذه تُسَمّى الحنيّة .

وإلى الغرب من قرية المعتبه[3] في ملك السيدين وديع ورومانوس القزي

---

[1] جمع تربة أي مدفن .

[2] قاموس لبنان . وديع نقولا حنا صفحات ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ .

[3] بنى المعنية مدبر الأمير فخر الدين الثاني المسمى مصطفى . وسميت المعنية نسبة لآل معن . كما بنى أيضاً حارة الناعمة بإذن الأمير ناصر الدين التنوخي خال الأمير فخر الدين . ذخائر لبنان ٢٣٢ .

مدافن في مغارة تحوي الكثير من النواويس والعظام البشرية . تثبت أنه كان هناك قرية كبيرة اندثرت وشيدت في مكانها القرية الحالية كذلك إلى الجنوب من قرية بسابا ، في سفح الجبل وفوق الضفة الشمالية لنهر الأولي ، قامت قرية تسمى الزعرور . ولا تزال كنيستها وبيوتها قائمة إلى أيامنا هذه ولكنها مهجورة ومتداعية .

وفي أماكن متعددة من قرية دلهون ، آثار كثيرة . منها حوض قديم يسمى : الصهريج يمتلىء من ينابيع في جدرانه تسيل منها المياه في فصلي الشتاء والربيع . وينزل إليه على درج دقيق الصنع . وفي الرابية الواقعة إلى الشرق من القرية ، والمسماة خليف ، مغاور فيها نواويس . وعلى أبواب بعضها احرف اظنها سريانية . كذلك في أول العشرينات من هذا القرن ، وجدت في أساسات بيت علي طاب ، أواني مختلفة بينها خوابي فخارية لها أغطية من من حجر منحوت دقيق الصنع .

وخلاصة القول ان هذا العهد بقي سائداً في الاقليم ، بل ظل الاقليم ذاته غارقاً في ظلام التاريخ وسابحاً في خضم النسيان ، كأنه غير مسكون ، حتى جاء الفتح العربي .

الفصل الثاني

من الجزء الأول

الإقليم في العهدين العربي والمملوكي :

اختلف وضع الاقليم في هذين العهدين اختلافاً كبيراً عنه في العهود السابقة وخصوصاً بعدما أحضر الأمويون في آخر عهدهم ، والعباسيون في أول عهدهم . سيما في عهد الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور قبائل من الداخل وأسكنوها في سواحل لبنان « بر الشام يومئذٍ » من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، لحمايتها من المغيرين من البحر ورد غارات المعتدين سيما الصليبيين — « فيما بعد » — فانساح افخاذ من هذه القبائل في بعض نواحي الاقليم وسكنوا قراه واندمجوا بسكانه . وصار العهد المسيحي يأخذ بالتقلص كلما ازداد عددهم ومنذ ذلك الزمن ، أخذ اسم الاقليم يرد في المناشير والقرارات والمحاضر التي تصدرها دواوين نواب السلاطين في دمشق أو السلاطين أنفسهم من مصر ليثبتوا بها الاقطاعات لتابعيهم من الامراء والمقدمين والمشايخ الاقطاعيين .

وأول ما ورد ذكر الاقليم في المنشور الذي كتبه السلطان مجير الدين[1] آبق صاحب دمشق إلى الأمير بحتر التنوخي الذي كان يسكن حصن سرحمور

---

[1] مجير الدين آبق ، أبو سعيد بن جمال الدين محمد بن تاج الملك يوري بن ظهير الدين طفتكين . وهو أتابك الملك دقاق بن تتش . تولى آبق بعد وفاة أبيه ١١٣٩ ب . م . ذخائر لبنان صفحة ١٥٩ .

يؤيده في الامارة على القرى التي جعل بيده وبيد أبيه من قبله زمامها . ويأمره بسياسة الناس فيها . كما كانوا يساسون لعهد أبيه .

وفي سنة ١١٦٠ م ، ثبّت السلطان نور الدين[1] زنكي الأمير كرامة بن بحتر في إقطاعات أبيه بالمنشور الآتي بنصه الساذج مع تصحيح بعض الكلمات الموجودة بين هلالين من قبل الأب لويس ٢ شيخو اليسوعي . وكذلك الحواشي بين هلالين للأب لويس شيخو .

وها هوذا المنشور :

منشور من الملك العادل نور الدين المذكور « نور الدين زنكي » وعلامته :

« الحمد لله » فوق البساملة مثل العلامة الأولة « الأولى » ومن مضمونه :

لما هاجر الأمير زهر الدين شجاع الملك ، جمال الأمر ، أبو العز كرامه ابن بحتر التنوخي دام عزه . إلى الباب « بابنا » زيد علاه ولاد « لاذَ » بالخدمة وتقرّب إليها . وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها . تُقُبِّلَ سعيه وأجيب إلى ملتمسه ، ورسم له إنشاء هذا المنشور . مودعاً ذكر ما تأثّل له من الارعاع[2] « الارعاء » والاحترام والاعزاز والاكرام . يوضح ذكر[3]

---

[1] هو نور الدين محمود بن زنكي كان أمير الرها . وهو أول من قام من ملوك العرب والمسلمين . وحارب الصليبيين . وقد أخذ دمشق من مجير الدين المذكور سنة ١١٥٦ ب . م . وله آثار جلى في دمشق أهمها جامعه المدفون فيه وبجانبه مدرسة . وقد وقف له أوقافاً كثيرة . ذخائر لبنان ١٥١ .

[2] الرعاية .

[3] كذا وردت في الأصل ولم نتبين مراد الكاتب .

من ديوان الاستيفاء المحروس حماه الله . والعدة أربعين « اربعون » فارساً وما أمكنه وقت المهمات الشريفة .

وجهاته غالب قرايا « قرى » الغرب ومن غير الغرب القنطرة[1] ومن البقاع طهر «ظهر[2] » حمار من وادي التيم . تعلبايا من البقاع أيضاً برجه[3] والمعاصير أو البعاصير قرب الشحيم كانت كلتاهما من مقاطعة الخروب .

ومنها المعاصر الفوقا والدامور وشارون ومجدل بعنا وكفرعميه .

التاريخ سابع شهر رجب سنة ستة « ست » وخمسين وخمسماية هجرية ١١٦١ ب م

انتهى

ودام الأمر كذلك حتى جاء السلطان صلاح الدين يوسف . فاقر الأمير جمال الدين جحى بن كرامة بن بحتر التنوخي على ما كان أقطعه نور الدين لأبيه . وتدخل شحيم[4] والاقليم في هذا الاقطاع . وذلك لأن الأمير جحى عندما كان صلاح الدين آتياً لاستخلاص بيروت من يد الافرنج — لقيه الأمير جحى عند خلده . وانضم بأتباعه لجيش صلاح الدين — ولما تمّ للسلطان فتح المدينة وإخراج الافرنج منها ، طيّب السلطان صلاح الدين نفس الأمير جحى وأقرّه في اقطاعاته كما قدمنا .

---

١ قرية صغيرة كانت في البقاع وأهلها من المتاولة .

٢ لم نجد لها ذكراً بهذا الاسم . والصحيح هي : ظهر الأحمر في قضاء راشيا . ولا يزال يقام فيها سوق موسمية أسبوعية في هذه الأيام .

٣ هكذا ورد اسم برجا وكذلك بعاصير وشحيم .

٤ ذخائر لبنان ١٥٢ و ١٨١ .

ومن الانصاف للتاريخ الحق أن نذكر ما أورده المؤرخ المنصف الدكتور شاكر الخوري في صفحتي ٣٣٢ و ٣٣٣ من كتابه : مجمع المسرات يوم كان مقيماً في الشام قال :

كان ضيا باشا أحد الولاة « المشيرين » العظام الذين تولوا دمشق . وقد تلقى علومه في أوروبا . وكان متمدناً جداً عفيف النفس . ذا حمية وغيرة . وعندما زار قبر صلاح الدين الأيوبي ورآه بحالة دارسة قال لمن حوله : أهكذا تفعلون بمحافظ الدين والإسلام بتعبه وجهاده ؟ ولولاه لما كنتم فيها الآن .

ثم ذكر الدكتور عن صلاح الدين ما يلي : صلاح الدين هو الذي حكم سوريا ومصر . وكان أعظم حاكم بالعدل . والانصاف . وقد حفظ له التاريخ ذكراً مجيداً وحسنات وشهامةً لم يذكرها لسواه . حتى ان أعداءه الصليبيين يشهدون له هذه الشهادة . وكان عدوه الأكبر ، ريكاردوس قلب الأسد مالك الانكليز فكانا عند انتهاء المواقع يجتمعان ، ويأكلان سوية . وفي الحرب يعودان إلى العداء . ثم أورد خبراً عن صلاح الدين يضعه في المحل الأرفع من الشهامة . وخلاصته: أنه لم يشاهد يوماً ريكردوس ووزيره في ساحة الحرب. فسأل عنهما فقيل له : انهما يقاتلان راجلين . حيث قتل جواداهما . فأرسل لهما فرسين عربيّين . ولما امتطياهما ، ندّا[1] بهما إلى معسكر صلاح الدين اسيرين فاعتذر لهما صلاح الدين قائلاً . ان هذين الجوادين الفا خياليهما : فلا يقبلان فارساً غيرهما . واعادهما مكرّمين على جوادين غير أصيلين .

ثم أمر ضيا باشا بإصلاح القبة وإقامة مقام لائق بصلاح الدين . ووزع

---

١ فرا بهما .

الكلفة على ذوات دمشق . وأناط هذا العمل بأحمد عزت باشا[1] العابد الذي كان يومئذ رئيس الاقلام بدمشق . والذي بنى الحجرة رجل نصراني من دمشق اسمه : الوردي . وهو من النحاتين المشهورين . ثم قال الدكتور شاكر : قد أخبرني يومئذ دولقلو[2] أحمد باشا والوردي الذي كان نحاتاً مسيحاً « كما ذكرنا » : انهما حين أرادوا نقل التابوت إلى الحجرة وجدوا الجثة على حالتها الطبيعية كأنها دُفنت حديثاً وليس من ستماية سنة . وكان لم يزل شعر رأسه وشاربه ولحيته . ولم تطل مدة ضيا باشا حتى نقل إلى ادرنه وتوفي فيها[3] رحمه الله . « انتهى » .

وفي سنة ١٢٥٧ ب م بعث المعزايبك ملك مصر إلى الأمير سعد الدين خضر التنوخي عهداً أقطعه فيه من الشوف الحيتي على المعاصر الفوقية ونيحا وبعدران وعماطور وبتلون . ومن الشوف السويجاني على عين وزيه[4] وكفرنبرخ وغريفة وبريح . ومن وادي التيم على تشورا والظهر الأحمر ومن اقليم الخروب على برجا وبعاصير[5] .

وهكذا بقي الإقليم في حوزة أمراء الغرب حتى سنة ١٣٧٣ ب . م إذْ طلب تركمان كسروان من بيدمر الخوارزمي قائد يلبغا أن يسيروا إلى قبرص في ألف رجل . طلباً لحرب الافرنج . ولقاء ذلك يُزوِّدهم بكتاب الى يلبغا[6]

١ أصبح فيما بعد الصدر الأعظم عند السلطان عبد الحميد الثاني .
٢ دولتلو كلمة تركية معناها صاحب الدولة .
٣ مجمع المسرات ٣٣٢ و ٣٣٣ .
٤ غير سكانها اسمها في هذه الأيام وسموها عين وزين .
٥ ذخائر لبنان ١٥٣ .
٦ هو نائب سلطان مصر في دمشق وقد بنى فيها جامعاً يعد واحداً من جوامع دمشق الكبرى . وأوقف عليه أوقافاً كثيرة . ذخائر لبنان ١٥٣ .

الأتابكي المذكور ، فيسيروا به إلى مصر ويستحصلوا من السلطان على أمر بتمليكهم اقطاعات امراء الغرب التنوخيين . لكن الأمير سعد الدين خضر وسيف الدين التنوخيَّيْن ، سبقاهم وكشفا أمرهما للقاضي علاء الدين ، كاتم سر الأمير يلبغا . فقال للأمير أن أمراء الغرب من غرس الملوك الأوائل . فحاشا لسيدي الأمير أن يقطع عنهم في أيامه ، ما أولاهم اياه الملوك الأوائل من النعم . فأقرّ يلبغا أمراء الغرب في اقطاعاتهم . ومنها إقليم الخروب . وأوعز اليهما القاضي : أن عمّر اخان الحصين[1] فأنيط تعميره بالأمير زين الدين صالح « أحد الأمراء التنوخيين » . ووقف على ذلك المزرعة المعروفة بجرن الدب[2] . غير أن الأمراء أولاد الحمرا اغتصبوها لأنفسهم .

وفي سنة ١٦١٤ قدم جركس باشا والياً على صيدا وصفد وبيروت وغزير وعلى جميع المناطق التي كانت تؤلف إمارة الأمير فخر الدين المعني الكبير الذي كان فاراً في ايطاليا. واتخذ المدبر مصطفى الذي كان مدبر الأمير فخر الدين الثاني المذكور ، مديراً له . فبنى هذا المدير حارة الناعمة بإذن الامير ناصر الدين التنوخي ، خال فخز الدين وجدد بناء المعنية[3] على انقاض قرية قديمة . وهكذا صار الإقليم مقاطعة للمعنيين كما قدمنا . يتمتعون بخيراته ويلتجئون اليه كلما حزبهم[4] الأمر . ويختبؤن في أحراجه . كما فعل الأميران أحمد وقرقماز ابنا الأمير ملحم المعني حيث اختبئا في أحراج مزبود ، هرباً من أحمد باشا الكيرلي .

١ لا يدرى أين مكانه بالضبط . إلا أنه يقع بين صوفر وظهر البيدر . ذخائر لبنان ١٥٩ .
٢ هكذا في الأصل واليوم اسمها جرن الرب وهي حي من أحياء الوردانية في اقليم الخروب .
٣ ذخائر لبنان ٢٣٢ .
٤ أحرجهم .

وفي سنة ١٦٦٢ ب . م عُزل علي باشا الدفتر دار ، خلف الكبرلي عن ولاية صيدا . وتولى مكانه محمد باشا . فكتب إلى الأمير أحمد وأخيه الأمير قرقماز . وأطلق لهما الأمان . وأمرهما أن يرسلا رجلاً من خواصهما ليعقد لهما الصلح. فيوجّه لهما خلعة الولاية معه . فخُدِعا بذلك . وظهرا من مخبئهما . وأرسلا له مدبرهما ومعه هدايا ثمينة . وعند وصوله اليه ، أمّنه وأطلق للأميرين الأمان . وعاهدا المدبر على أن يحضر الأميران الى عين مزبود[1] . وهو يرسل مدبره إلى هناك لمقابلتهما ومخاطبتهما بما يلزم . وعندئذ يفرغ عليهما خلعَ الولاية .

فسار الأميران مطمئنّين الى المكان المحدد . ولما وصلا ، وجدا مدبر الوالي ومعه خلق غفير من الجند . ولم يكادا ينزلان عن جواديهما ، حتى دهمهما رجال الوالي من كل صوب ، واعملوا فيهما وفي اتباعهما السيف . فنهضا للهزيمة . ولكن أسرعت شرذمة من الجند وقتلت الأمير قرقماز[2] .

أما الأمير أحمد ، فقد نجا بنفسه وفرَّ هارباً وبه جرح بليغ في رقبته ، ورجع الى مخبئه ، واختفى فيه سنتين أخريَيْن .

أما محمد باشا فلم يكتفِ بقتل الأمير قرقماز ومعاقبة الحزب القيسي هذا العقاب الصارم ، بل انعم بولاية البلاد على الأمير محمد اليمني ، رئيس الحزب اليمني . وأشرك معه الشيخ أبا علوان من قيسية الباروك .

---

١ ذخائر لبنان صفحتي ٢٣٧ و ٢٣٨ . وأخبار الأعيان في جبل لبنان ٢٩٧ . وهي عين قديمة أنشأها يوسف قصر ملي الذي شيد جامع القرية .

٢ أخبار الأعيان في جبل لبنان ٢٩٧ وذخائر لبنان ٢٣٧ .

وفي سنة ١٦٦٤ عُزِل محمد باشا عن ايالة صيدا . فغادر الأمير أحمد مخبأه في أحراج مزبود وأوعز للقيسية فحضر إليه جمع غفير منهم . فنهض بهم من مزبود الى الشوف . وحارب الأمير محمد اليمني ، والي الشوف واتباعه فانتصر عليه[1] .

وبعد أن هُزِمَ الأمير أحمد مجدداً أمام جيوش اسماعيل باشا والي دمشق ومصطفى باشا والي صيدا ، وأحمد باشا والي غزة ، ودرويش باشا والي حلب ، نزعوا الإمارة منه والأقاليم كلها ومنها اقليم الخروب ، وولّوا مكانه الأمير موسى اليمني .

أما الأمير أحمد ، فبعد أن اختبأ هذه المرة في وادي التيم سنة واحدة ظهر سنة ١٦٩٤ ، ونهض بالقيسية الى الشوف ، ومعه الأميران نجم وبشير الشهابيان ، ورجالهما فهرب الأمير موسى علم الدين اليمني . فتولّى الأمير أحمد[2] البلاد كلّها كما كان سابقاً .

وفي سنة ١٦٩٦ ، فرض الأمير احمد مالاً جديداً على الشوف خاصةً ، وفيها توفي ابنه منصور وفي سنة ١٥٩٧ ناهز الأمير أحمد الثمانين من عمره واحس بدنو الوفاة . فجمع وجوه البلاد وابدى رأيه بأن ينتخب حاكماً بحياته حسماً للنزاع بين الفئات المتنازعة في الجبل . ولما لم يكن له عقب ولا لأحد من أقربائه ، ارتأى اناطة الأحكام بآل علم الدين، زعماء الحزب اليمني يومئذ . فلم يرضَ بذلك القيسيون لشدة البغضاء والشحناء بينهم وبين اليمنيين . فاعترض الأمير على رأيهم هذا وأنذرهم عاقبة تحكم بني شهاب قائلاً لهم : ان هذا الجبل

---

١ الحركات في لبنان صفحة ٦٤ .

٢ الحركات في لبنان ١٦٥ .

للدروز . فلا تجعلوه للنصارى بإقامتكم بني شهاب حكاماً عليه . لأنهم إذا أقيموا حكاماً ، تنصروا بلا مرية[1] . ثم لم يلبث طويلاً بعد ذلك حتى أدركته الوفاة في السنة ذاتها . بدون عقب كما قدمنا . فآلت الامارة والأحكام إلى الأمراء الشهابيين . وآل إليهم الإقليم بما وبمن فيه . طبقاً لما وصف المرحوم داود بك عمون . كيفية وراثة امبراطور روسيا إمبراطوريته الواسعة .

وَرِثَ الملك بالرجال وبالمال — كأن الرجال بعض الحطام .

1 الحركات في لبنان ١٦٤ .

الفصل الثالث

من الجزء الأول

الإقليم في عهد الشهابيين :

لم تتبدل حالة الإقليم في أول عهد الشهابيين عما كانت عليه في عهود سالفيهم من التنوخيين والمعنيين . بل ظل كما كان سابقاً ، بقرة حلوباً عندهم يستخدمون سكانه ويستثمرونهم ، ويقاسمونهم أتعابهم . بل ظلَّتْ هذه القطعان البشرية لا تفرق في نظرهم شيئاً عن أشباهها من قطعان الأنعام[1] وسائر الماشية التي يشربون ألبانها ويذبحونها عند اللزوم للتلذذ بأكل لحومها والتغذي بها . . . الخ .

ذلكم هو واقع تاريخ الإقليم ، رغم ما نتمنى جميعاً أن يكون له تاريخ حافل في جميع المجالات ننقّحه ونضم إليه ما جد ، ونحرص عليه ، ونحفظه ونباهي به . غير أن التواريخ ليست مرهونة بالرغبات الذاتية والمنى[2] . ولا تُبنى على الظنون والأماني . ولا على الحرص والحدس بل تُبنى على الواقع والحقيقة الملموسة . ولذلك عنّيْتُ[3] النفس بالبحث والتفتيش عن شتى الآثار والروايات والحوادث التي تخلفت عن السلف ، وجمعتها كلها —

1 الأنعام جمع مفردها نعم وهي الإبل والغنم .
2 جمع منية وهي الرغبة والمراد .
3 أتعبت النفس .

« كل ما وجدتُه لا بعضه » . والتّمت منها هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القارىء ، لافتاً نظره إلى أن واضعي التواريخ حصروا همهم – وخصوصاً في لبنان – بذكر الحكام والقواد والأمراء في العصور السابقة . وخصوصاً عصر الشهابيين ، وكل منهم نمرود جديد ، وما كانوا ينشؤونه من مظالم ، ويوقدونه من فتن تؤدي إلى تنافر القلوب ، وإنشاء القلاقل [1] . وقد يتجاوز ذلك إلى ذكر المشايخ ولسوء الحظ لم يكن أحد من هؤلاء آنئذ في الإقليم . حتى انه لم ينبغ رجل واحد في غير المجالات الدينية . ولذلك اقتصر عملنا في تدوين تاريخه على ذكر الحوادث والوقائع التي جرت في قراه . وشارك سكانه فيها .وعلى ذكر الأشخاص النادرين جداً – الذين تولّوا بعض المراكز والمهام في الحكومات المختلفة ، أو الذين عملوا عملاً يذكر للمصلحة العامة أو الذين رفعوا عقيرتهم محتجّين على الظلم والاستعباد .

ولا نرى مندوحة – بعد هذا الاستطراد – من أن نعود – والعود أحمد – إلى ذكر وتسطير وسرد ما كنا بدأنا به مما حصل في الاقليم في أول عهد الشهابيين فنقول :

أول ما ظهر من اهتمام الشهابيين بأمر الاقليم ، هو مبادرة الأمير ملحم لتجنيد سكانه وضمّهم لجيشه لمحاربة عثمان باشا والي ايالة صيدا سنة ١٧٤٨ . وقد سار بهذا الجيش ، واتخذ قاعدة له في مزبود ليتمكن من إتمام تجنيد رجال الاقليم كلهم كما قدمنا . وليقف حائلاً دون تقدم جيش عثمان باشا إلى الجبل . ولحسن الحظ لم تقع الحرب يومئذ . حيث توصل الخصمان بالحوار السلمي ، لإحلال الصلح والسلام بينهما [2] .

---

١ ميشال سليم كميد . في كتابه عن اللادي استير ستانهوب صفحة ٢٠ .

٢ أخبار الأعيان في جبل لبنان صفحة ٣٢٠ . وذخائر لبنان ٢٥٧ وتاريخ الأمير حيدر شهاب ٣٢٠ .

اليزبكية والجنبلاطية تحلان محل الحزبين اليمني والقيسي :

وفي عهد الأمير ملحم ، انقسم اللبنانيون إلى فريقين [1] . فريق يعتزي إلى الجنبلاطية بقيادة علي ريح جنبلاط ، وفريق يعتزي إلى اليزبكية ، ويدعى الغرضية بقيادة المشايخ آل عماد الدين أخذوا هذا الاسم من جدهم يزبك العفيف .

وبعد معركة الأمير يوسف مع ظاهر العمر وانكساره ، وهرب درويش باشا والي صيدا الذي كان سند الأمير يوسف ، طفق مناولة جبل عامل يتحرشون بإقليم الخروب واقليم جزين ويعتدون على السكان .

فأرسل لهم الأمير يوسف : الشيخ كليب النكدي ، ليصدهم عن العدوان . فعسكر في قرية برجا وأشهر سيف الحماية . وفي بعض الأيام ، التقى بجماعة منهم في قرية علمان فأغار عليهم ونكّل بهم ودحرهم وانتصر عليهم [2] .

وفي سنة ١٧٧٦ اختلف الأمير يوسف وأحمد باشا الجزار الذي كان ولاه على بيروت . فعصى عليه وتحصّن فيها ، وطالب الأمير يوسف بالأموال الكثيرة . فاستنجد الأمير بالصدر الأعظم الذي كان سافر إلى استانبول وبلغ قبرص . فرجع حالاً إلى بيروت وأخرج الجزار منها .

أما الجزار فسافر إلى صيدا بحراً . وارسل جنده البالغ ٦٠٠ براً . فأوعز الأمير يوسف إلى بني نكد أن يكمنوا لهم في السعديات ، بعد أن أصحبهم

---

١ أخبار الأعيان في جبل لبنان ٣٣١ وذخائر لبنان ٢٥٧ وتاريخ الأمير حيدر ٣٢ .

٢ أخبار الأعيان في جبل لبنان ٣٣١ وذخائر لبنان ٢٦٦ وتاريخ الأمير حيدر ٩٢ .

بمايتي رجل . وبوصول العسكر لهناك، تعرض النكديون لهم بالشر والوقيعة ، فانقض العسكر عليهم وشتّتهم بعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً . وغنم سلاحهم واسلابهم . وكان بين القتلى عميدهم أبو فاعور . كما جُرِحَ أخوه الشيخ بشير وترك هناك بين القتلى ، لا حياً فيُرجى ، ولا ميتاً فيُسلى . وصادف ان مرَّ من هناك بعد المعركة كاهن الدبيّة فحمله إلى الدبيّة ومرضه وأخبر ذويه فحضروا وأخذوه . وكافئوا الكاهن بقسم من أملاكهم في الاقليم [1] .

وقد أسر العسكر في هذه المعركة : الشيخ محمود بن الشيخ أبي فاعور والشيخ واكد .

وفي سنة ١٧٧٧ استطاع رجل ملكي كاثوليكي من كرخا أصلاً ، ومن مواليد قرية الوردانية في الاقليم — كان خادماً عند المشايخ النكدية — أن يخدع حراس القلعة في صيدا ، ويُخلّص الشيخيْن الاسيريْن من سجن الجزار في قلعة صيدا . فقد كسر قيودهما ودلاّهما بحبل إلى البحر من نافذة السجن . وتمكن بهذه الواسطة « الحيلة » أن يوصلهما سالميْن إلى دير القمر [2] سنة ١١٩٢ هجرية .

ومما يُروى عن الجزار بعد هذه الحادثة ، انه كان يخاطب بلاطته [3] قائلاً :

يا بلطه خلَّيْتِ الدنيا بيدر الاحنا بيدر خلاك بيدر

---

١ أخبار الأعيان ٣٣٨ وذخائر لبنان ٢٧٣ و ٢٧٤ .

٢ أخبار الأعيان في جبل لبنان ٣٣٩ وذخائر لبنان ٢٧٤ وتاريخ الأمير حيدر ٢١ . والجواب على اقتراح الأحباب لمخائيل مشاقه ٥٤ .

٣ فراعه صفيره .

وقد استعرَّتْ — يومئذ — نيران اليزبكية « الغرضية » والجنبلاطية في جبل لبنان عامة وفي الشوف خاصةً . وحدث أن قتل المشايخ بنو علوان ابن عمهم الشيخ ظاهراً لميله لفظرائهم العمادية [1] اليزبكية . ولما أراد الأمير يوسف معاقبتهم ، ذهبوا إلى صيدا وطلبوا الأمداد من الجزار ، ووعدوه إن أمدهم ، بأن يملكوه البلاد . فوجّه معهم عسكراً فصعدوا من صيدا للاقليم . فالتقاهم الشيخ كليب النكدي اليزبكي برجاله عند نهر الحمام فكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً [2] .

وفي اليوم الرابع ، أعادوا الكرة وزحفوا بقوة كبيرة واجتاحوا قرى اقليم الخروب . فالتقاهم هذه المرة ، الشيخ بشير بن الشيخ كليب النكدي برجاله في قرية البرجين . وبعد معركة عنيفة ، انكسر الشيخ بشير وهلك من جنده خلق كثير . أما العلوانيون ، فقد رجعوا إلى صيدا [3] .

وفي سنة ١٧٨٣ ، لاذ الأمير يوسف بالجزار ، والتمس منه أن يمده بقوة . فأمده بجحفل جرار جعل عليه مملوكه سليم باشا ليقتصَّ من أخيه سيد أحمد الخارج عليه والمستأثر بالولاية دونه . فنهض بالجيش من صيدا إلى علمان في اقليم الخروب ، وخيّم في صحرائها [4] . ولما شاع خبر نزوله في

---

١ تألف الحزب اليزبكي بعد معركة عينداره الشهيرة بين الأمير حيدر ومحمود باشا هرموش. وكان زعماؤه آل العماد وقد نسب إلى جدهم يزبك العفيف كما ذكرنا في الصفحة ٣٧ السابقة. ومن أركانه آل تلحوق وآل عبد الملك وآل حماده وآل حبيش وآل الخوري وسواهم أوراق لبنانية ١٩٥٦ ص ٤٢٣ .

٢ أخار الأعيان ٣٣٢ وذخائر لبنان ٢٧٥ والأمير حيدر ١٢٢ .

٣ أخبار الأعيان ٣٣٩ وذخائر لبنان ٢٧٥ والأمير حيدر ١٢٢ .

٤ أخبار الأعيان ٣٤٢ وذخائر لبنان ٢٧٧ والأمير حيدر ١٢٩ .

القرية المذكورة ، قدم عليه المشايخ النكدية وآل تلحوق وآل عبد الملك وغيرهم من أصحابه واحبابه وأخواه قاسم وحسن . أما الأمير سيد أحمد وخليفةُ الأمير قعدان ، فتوجها بجيشهما إلى الاقليم ، فالتقاهما الأمير يوسف في قرية عانوت . وهناك نشبت الحرب بين العسكرين . فانتصر الأمير يوسف واليزبكيون على سيد أحمد وحليفه الأمير قعدان اللذين وليّا الادبار بمن معهما . وبعد ذلك نهض الأمير يوسف ومعه الشيخ قاسم جنبلاط بالعسكر من علمان[1] إلى الشوف وخيّم في الجديدة . ونزل سليم باشا إلى المختارة فهدم مساكن الجنبلاطية وضبط أملاكهم وجعل يده عليها .

وفي سنة ١٧٩٠ انقلب الجزار على الأمير يوسف ونزع منه الولاية وحبسه في عكا . وسلم الولاية للأمير بشير . وبعد ذلك ذهب للحج . ولما بلغ المزاريب ، وصله كتاب الأمير بشير بان اللبنانيين ثاروا عليه بسبب دسائس الأمير يوسف فكتب إلى نائبه في عكا يأمره أن يشنق الأمير يوسف ومدبّره . ولما صحا الجزار من سورة الغضب ، ندم على تسرعه . فكتب إلى نائبه بألاّ يشنق الأمير يوسفاً . غير أن النائب أمر بشنق الأمير يوسف ومدبّره ، رغم وصول الكتاب الثاني ، بناءً لإغراء ابن السكروج الذي كان يحقد على المدبر الشيخ غندور الخوري . فشنق الأمير حالاً . أما الشيخ غندور فمات من الخوف[2] .

وبعد رجوع الجزار من الحج ، اطلق جماعة الأمير يوسف من السجن ، بناءً على رأي الأمير بشير . فلم تسكن الفتنة ، بل عمّت اليزبكية وكل اللبنانيين وخاصةً أهل الغرب والشحار والجرد وأهل دير القمر أيضاً .

---

١ أخبار الأعيان ٣٤٢ .

٢ أخبار الأعيان ٣٥٥ وتاريخ الأمير حيدر ١٦١ .

ونهضوا على المغاربة الموجودين عند الأمير بشير وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً[1] . فخاف الأمير بشير ونهض بعسكر الجزار « المغاربة » إلى صيدا ومعه المشايخ الجنبلاطية . وكتب للجزار يخبره . فكتب هذا إلى الارناؤط الذين في حرش بيروت ان يحضروا إلى صيدا . ولما بلغ النكدية ذلك ، توجهوا برجالهم وكمنوا في أرض السعديات[2] .

ولما بلغ العسكر السعديات ، طلع عليهم النكديون من مكامنهم واصلوهم ناراً حاميةً وقتلوا منهم مايتي رجل وغنموا سلاحهم واسلابهم[3] .

ولما بلغ الجزار ما فعل النكديون ، غضب غضباً شديداً وأرسل جيشاً كبيراً لتأديبهم واحتلال الشوف . فقابله اللبنانيون مجتمعين بما فيهم الجنبلاطية وقد جرت وقائع عديدة بينهم كان الفوز في أكثرها حليفاً للبنانيين . نذكر واحدة منها ونثبتها نقلاً عن كتاب الحركات في لبنان للأستاذ عارف أبي شقرا . قال :

« انقسمت جنود الجزار إلى قسمين قسم جاء إلى شحيم فاستولى عليها . والقسم الآخر إلى عانوت فملكها . فأغار الشيخ بشير جنبلاط برجاله على عانوت ففتكوا بالانكشارية[4] واحرقوا البلدة وأغار أحد النكديين المدعو الشلق

---

١ أخبار الأعيان ٣٥٥ .

٢ أخبار الأعيان ٣٥٦ وذخائر لبنان ٢٩١ .

٣ أخبار الأعيان ٣٥٦ وذخائر لبنان ٢٩١ وتاريخ الأمير حيدر ٦٦٢ .

٤ الانكشارية جمع مفردها انكشاري في العربية . وهي محرق كلمة يكي جاري التركية ومعناها الجندي الجديد لأن الكاف تلفظ كالنون وجاري تلفظ تشاري . وأصل هذا الجيش من الأطفال الذين كان الجيش التركي يجمعهم من البلدان التي يحتلها . وقد طغى هذا الجيش وتحكم بالسلطنة لدرجة أن قواده كانوا عندما يريدون ، يعزلون السلطان الذي لا يعجبهم ويولون غيره .

على شحيم ففتك بالانكشارية وأحرق البلدة . ورجع الاثنان « أي الشيخ بشير والشلق » بغنائم من خيل وسلاح . . . الخ ويقال : ان استيلاء عساكر الجزار على البلدتين المذكورتين كان برضاء من أهلهما واستدعاء منهم انتهى » هذا ما كتبه عارف أبو شقرا في صفحة ١٧٠ من كتابه الحركات في لبنان .

نقول : ولئن صح هذا الزعم ، أي استدعاء الأهلين عساكر الجزار لاحتلال قريتهم ، يكن سببه ما كانوا يكابدونه من ظلم الأمراء والاقطاعيين وإرهاقهم . وعدم اعتبارهم ومعاملتهم إياهم معاملة السيد المطلق المستبد المتغطرس للعبد الرقيق الذليل .

ثم تتابعت المعارك بعد ذلك بين عسكر الجزار ومعه الأمير بشير وبين أخصامه اليزبكية واللبنانيين حتى نهاية سنة ١٧٩٠ . وعند ذلك كتب الجزار للأمير بشير أن ينهض بالعسكر إلى صيدا ليكون ابتداء القتال من ناحية اقليم الخروب . لقرب الامداد . فرجع الأمير إلى صيدا . ثم قام بالجيش إلى اقليم الخروب . وكان عدده اثني عشر ألفاً . فأقام بجانب منه في عانوت حيث كان هناك رجل يدعى : أحمد آغا أبا عواد كان جعله الأمير بشير مربياً لخيله . وانزل الباقي من الجيش في داريا وشحيم[1]. ورغم أن أكثر أهالي شحيم كانوا يومئذ من أتباع الأمير بشير . فقد أخذ العسكر يقطعون الأشجار ويحرقون المنازل وينهبون البيوت ، ويأخذون الرجال قسراً إلى القتال .

وفي سنة ١٧٩١ نهض الأمير بجيشه قاصداً دير القمر . فعسكر ببعض منه في عانوت . وحدثت عندئذ وقعة بينه وبين عسكر الأمير حيدر ملحم

١ أخبار الأعيان ٣٥٩ وذخائر لبنان ٢٩٤ وتاريخ الأمير حيدر ١٦٤ .

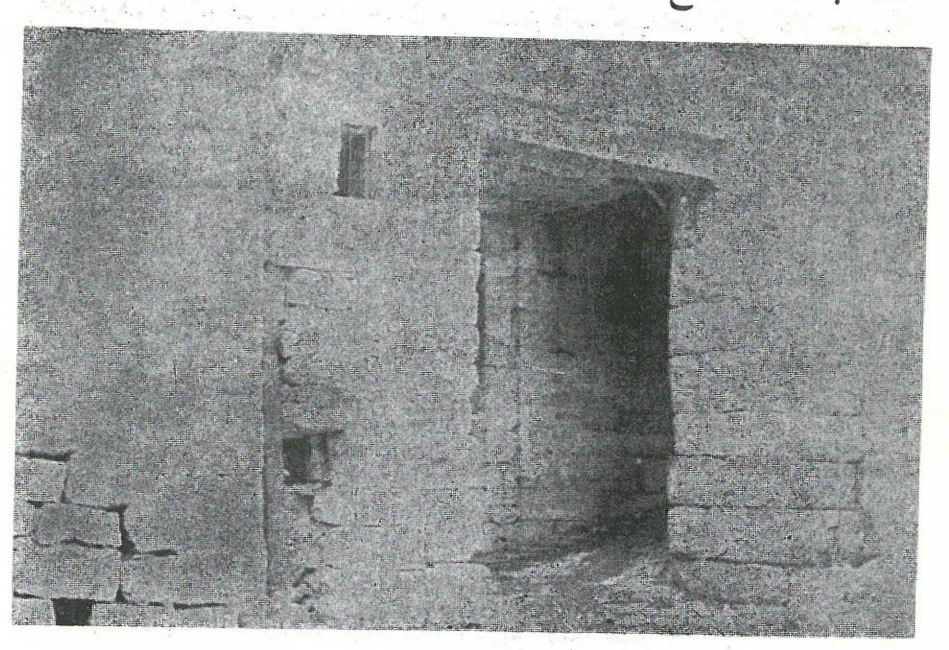
شهاب وابن أخيه الأمير قعدان في الجاهلية . فانتصر الأميران . وفي اليوم السادس عشر من ك[1] ، حدثت وقعة في نهر الحمام وانتصر فيها الأمير بشير . وفي السابع من شباط ، سيّر الأمير بشير فرقةً إلى غريفه وفرقةً إلى المزرعة وفي العاشر منه نهض الأمير بشير من عانوت إلى غريفه ثانيةً وأضرم نار الحرب على عسكر الأميرين وكسرهما شر كسرة . وأحرق القرية[2] . وبلغ ذلك عسكر الأميرين في عنبال ، فانحدر أصحابه فوراً إلى غريفة . فتقهقر عسكر الأمير بشير ورجع كل منهما إلى مكانه[3] .

وعندئذ جمع الأميران ومناصب البلاد على البطش بعسكر الأمير بشير البطشة الكبرى . بأن يهجموا عليه هجمةً واحدةً . واجتمع إليهم جمع غفير فنظّموهم ورتبوهم . ولكن حدث من الشيخ قاسم جنبلاط الذي كان خارجاً على اقاربه ، ومناصراً الأميرين واليزبكية ، ما راب الأميرين من خيانة رجالهما إذ سار الشيخ قاسم إلى عانوت ، زاعماً أنه قاصد مواجهة ابن أخيه خطار . وذهب ابنه الشيخ حسن إلى الشوف لتشديد الرجال . لذلك عزم الأميران على الفرار من البلاد وأرسلا رسولاً إلى بيروت ليستأجر لهما مركباً[4] .

تأثر النكديه من جزع الأميرين ورفضهما مقابلة خصمهما الأمير بشير . وأوجسوا خيفةً مما ينتظرهم واليزبكيين جميعاً من الذل والمهانة ان تركوا الحبل على الغارب للأمير بشير يعيث في ديارهم فساداً . ويصادر أملاكهم

١ أخبار الأعيان ٣٥٩ وذخائر لبنان ٢٩٤ وتاريخ الأمير حيدر ١٦٥ .
٢ أخبار الأعيان ٣٦٠ وذخائر لبنان ٢٩٤ وتاريخ الأمير حيدر ١٦٦ .
٣ المصدر السابق .
٤ أخبار الأعيان ٣٦٠ وذخائر لبنان ٢٩٤ وتاريخ امير حيدر ١٦٦ .

ويستأثر بها هو والجنبلاطية دونهم . وتأكل صدورهم الحقد مما رأوا وشاهدوا بأم أعينهم من شدة بلاء غنم « رجال » الاقليم مع جيش الأمير بشير حليف وحافظ الجنبلاطيه .فدبروا مكيدة ً بأن يداهموا قره محمد ، قائد فرقة عسكر الدالاتيه في جيش الأمير. الذي كان متمركزاً في شحيم . فاختاروا لهذه المهمة رجلاً شجاعاً . وأصحبوه بخمسماية مقاتل أبطال من رجالهم . ونرى لزيادة الإيضاح ، قبل الشروع في تفصيل هذه الموقعة المشؤومة ، أن نُعيد هنا وصف وضع شحيم وكيفية بنائها وآثارها عندما هاجمها وحرقها أولئك المعتدون المجرمون . ولا نرى لبلوغ ذلك أفضل من أن ننقل هذا الوصف حرفياً عن كتاب قاموس لبنان المطبوع سنة ١٩٢٧ لصاحبه الاستاذ وديع نقولا حنا صاحب محلة المعارف المحتجبة فقد كتب :



بوابة شحيم الشرقية كما هي منذ القديم

شحيم :

« شحيم بلدة قائمة على روابي ممتدةمن الشرق إلى الغرب. وكلها منعكفة لجهة الجنوب . تحيطها من كل جانب غابات الزيتون الكثيفة . وموقعها في وسط الاقليم [١] . وبعد سير نصف ساعة للجهة الشمالية آثار مدينة قديمة من عهد الرومان مهدومة .واسم المكان : « القصر ». ولاتزال بعض جدرانه قائمة بأحجار هائلة القطع . وخصوصاً بوابته القائمة لحد الغاب . وحوله بنايات قديمة مهدومة . وآبار كثيرة مما يدل على أن المياه هناك قليلة . وعلى مسافة مايتي متر منه للجهة الجنوبية ، آثار بناية تدعى الكنيسة[٢] ، ولا يزال بعض جدرانها قائماً بعلو خمسة أمتار . ومبنياً بأحجار كثيرة . وعواميدها لم تزل ملقاةً على الأرض . وكانت شحيم من القديم ، بعد عهد الرومان مركزاً للحكومة . وكانت لها بوابتان[٣] : لم تزل أركانهما للآن . وكان متى أغلقت هاتان البوابتان ، تأمن البلدة من الطوارىء . ولم يزل أثر لمكان سراي الحكومة بذاك الزمن [٤] . وكانت بيوتّها متلاصقة لدرجة انه كان باستطاعة كل انسان ، التنقل من سطح إلى السطح الآخر من أول البلدة حتى آخرها . » انتهى .

وفي حداثتنا كنا نتنقل على السطوح من سطح إلى سطح ، من حي السهلة « اليوم » إلى المدرسة في حي الجامع « اليوم » .

---

١. قاموس لبنان صفحات ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ .
٢ هدم هذا الأثر لسوء الحظ . وأقيم مقامه بيت عادي .
٣ ومن الغريب ان هاتين البوابتين لا تزالا ن قائمتين ومتينتين إلى يومنا هذا .
٤ ولسوء الحظ أيضاً ، هدم هذا الأثر وأقيم مقامه معصرة ريت . وشيد في الساحة بيت كبير ولم يبق من أثر هناك ، إلا الجامع القديم المتهدم والذي يحمل إلى يومنا هذا : اسم جامع الساحة.

أما شحيم اليوم ، فقد اتّسعت اتساعاً عظيماً . بحيث أصبح طولها أكثر من سبعة كيلومترات بعرض خمسة كيلومترات تقريباً . وبُنِيَتْ فيها الدور المرتبة . وقامت في أحيائها البنايات الشاهقة وأصبح فيها أثرياء ورأسماليون . وأدباء وشعراء وكتاب وصحافيون . وقضاة ورؤساء محاكم ومدراءو أطباء . وقادة وضباط وتجار ورجال أعمال ونواب . ولا أكون متباهياً ان قررت كما يثبت التاريخ الحق انه : نبغ من أبنائها الميامين ، من تسلم مقدرات الشرق الغربي « الأردن » والحجاز وسوريا ولبنان. بل لست متجاوزاً الحقيقة والواقع في شيء ، ان اعدت إلى الذواكر اعمال من مضى وطواه الموت أو انتهت خدماته وبقي حياً منهم ففؤاد الخطيب كان أمين سر الملك حسين ووزير خارجيته ثم ابنه الملك عبد الله من بعده . ثم سفير الملك عبد العزيز سعود في الافغان . وعبد الرؤف الخطيب كان مدير قصر الملك عبد الله وبهيج الخطيب كان رئيس مجلس المديرين في سوريا . وتلاعب بمقدراتها . وأديب الخطيب كان مدير الدوائر العقارية العام فيها. وحسين شعبان كان مدير المراسيم ونسيب الخطيب كان متصرف لواء الفرات هذا في خارج لبنان . أما في لبنان ، فلا ننسى الشيخ ابراهيم يوسف الخطيب قاضي جبل لبنان في آخر عهد الأتراك وأول عهد الفرنسيين حتّى الثلاثينات من هذا القرن . ولا ننس حسين الحجار عضو مجلس ادارة جبل لبنان . وقد كان له فضل كبير على الاقليم . حيث أمّن له الاعاشة أيام المجاعة الكبرى سنة ١٩١٧ إلى آخر الحرب الأولى وذلك بفضل صداقته لرضا باشا رئيس المجلس العرفي وجمال باشا قائد الجيش الرابع في الدولة العثمانية . وقد زار جمال باشا هذا مجلس الادارة يوماً في مركزه « في بعبدا » . فألقى عبد الحليم الحجار ابن حسين الحجار قصيدة عصماء بين يديه تحفظ منها :

يا أمير اللواء ربَّ الجنود ... حكم السيف في رقاب العنيد
كلما رأيناك مرةً تلو أخرى ... ذكرتنا الأيام بابن الوليد

ومن غرائب المصادفات الأدبية وتوارد الأفكار أن يسبق عبد الحليم الحجار أمير الشعراء أحمد شوقي بك لهذا المعنى عندما مدح — شوقي بك — مصطفى كمال باشا بطل انقلاب تركيا بعد معركة سقاريا التي انتصر فيها على اليونان وأخرجهم من الأناضول — بعد نهاية الحرب الكبرى . ويقول في مطلعها :

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

وأما توزيع الاعاشة والقمح ، فقد جعل مركزه في وادي الزانيه . وأناط ادارته بابنه عبد الحليم الحجار وصهره سليم قبلان الحاج شحاده . وقد ساهم بالحاحه الدائم على المتصرف اسماعيل حقي الذي أصدر أمره بشق طريق العرباة للاقليم أولاً لبرجا وثانياً لشحيم . وخلد ذلك بنظمه بيتي الشعر اللذين حفرا على حجر وضع في الجدار الواقي للطريق ، تجاه عين الخربة « المعروفة اليوم بعين الجسر » والبيتان هما :

بكى الاقليم أياماً طوالاً ... ونادى ربّه قد ضاع حقي
فرق له اله الخلق عدلاً ... وأرسل نحوه اسماعيل حقي

كذلك لا ننسى عبد الحيلم الحجار الأديب والشاعر والاداري الحازم ومحافظ البقاع ثم محافظ الشوف ، ثم قائمقام بعلبك الممتاز . والذي ترك أثراً أينما حل سواءً في طرابلس وزحله وبعلبك وغيرها . واجل عمل قام به في شحيم ، هو قسمتها إلى أربعة أحياء فوفّر على سكانها شروراً واقتتالاً لا يعلم مداهما إلاّ الله . وهمّ بإيجاد تشريع بقسمة انتخاب بلديتها ،

أي بأن ينتخب كل حي من أحيائها الاعضاء الذين يحق له أن يمثلوه في مجلس بلديتها الواحد . لكن المنية عاجلته كذلك لا ننس أخاه عبد الكريم قائمقام النبطية . ومصباح الخطيب قائمقام جزين وجميل الخطيب قائد درك الجمهورية اللبنانية . ونسيب الخطيب متصرف لواء الفرات . وأخيراً لا آخراً القاضي والمتشرع حسن قبلان مدير عدلية الجمهورية العام طيلة عشر سنوات . والنواب أحمد يونس الخطيب والدكتور عبد الغني الخطيب وقبلان سليم قبلان الحاج شحاده . والنائب والوزير والمتشرع أنور الخطيب . وهناك العديد من ابنائي الذين افخر بهم — امدّ الله في حياتهم — لا يزالون يؤدون الخدمات الجلّى لرفع شأن الاقليم . خاصة ولبنان عامة . منهم النواب والقضاة والقادة والضباط في الجيش والدرك والجمرك وكثيرون سواهم . ولا يزال كثير من أعمالهم في سبيل الاقليم وأبنائه طبريّ الذكريات وفي غنىً عن جلاء وتوضيح . . . الخ .

ونعود لما كنا فيه من سياق البحث فنقول :

ان الرجل الذي اختاره اليزبكيون لهذه المهمة ، هو حنا بيدر[1] لأنه ابن الاقليم الذي هو أدرى بشعابه وهو أول رجل من الاقليم تولى قيادة عملية حربيةٍ من حرب تلك الأيام . ولدى سيره ، عاهد جنوده أن يسبقهم بشرذمةٍ من اشدائهم إلى أول القرية . ثم يحرق بيتاً من البيوت الواقعة خارج السور . حتى إذا نظروا اضطرام النار ، يهجمون على القرية هجمةً واحدة : محدثين

[1] هو رجل ملكي من الوردانية . ومن غرائب القدر أن يقتل أحد أفراد عائلته عبد الصمد اليزبكية . حنا بيدر هذا غدراً بعد هذه الحادثة . كما رواه الدكتور ميخائيل مشاقة في صفحة ٥٥ من كتابه : الجوب على اقتراح الأحباب . وانظر ٣٨ من هذا الكتاب .

جلبةً[1] كبيرةً . ثم يطلقون الرصاص دفعةً واحدةً . وهكذا تمّت الخطة بالتدقيق فلم يكادوا يرون اندلاع اللهيب ، حتى هجموا هجمة رجل واحد على القرية . وعندما فوجيء الدالانيه[2] برؤية النار ، وصمّت مسامعهم أصوات البارود على حين غفلة ، وما تبع ذلك من صراخ الرجال وصياحهم ، وعويل النساء ونواحهن ، وزعيق الأطفال وبكائهم ، وما كان للبهائم من ثغاء[3] ورغاء[4] ونباح ونهيق[5] . إلى غير ذلك مما جعل الضوضاء . تصمّ المسامع وتملأ الفضاء عندما فوجئوا « الدالانية » بكل ذلك ، ذعروا وخرجوا من القرية منهزمين لا يلوون على شيء . تاركين القرية فريسةً تتأجج فيها النيران ، وتتلبد في سمائها غيوم الدخان — يتلو ذلك للسعير زفير ، ولسقوط الانقاص قرقعة وطقطقة . وأصوات البارود تقصف ، ورعود البنادق تهدر ، وجماهير المهاجمين — الذين كبسوا شحيم على حين غفلة — ينشدون الأغاني الحماسية المهيجة . وهم يوالون الكر والاقدام ، ويتابعون الحمل والهجوم ، إطلاقاً وضرباً وطعناً إلى غير ذلك مما جسّمَ الهول ورفع الجلبة . واضاءت الجوّ نيران البيوت المتأججة ، وتفاقمت الأهوال فكانت ساعة تشيب لها الأطفال وتقشعر لها الابدان ، خلا فيها الجو للمهاجمين ، فعاثوا في القرية فساداً من هدم بيوتٍ ونهبٍ وسلبٍ وقتلٍ ، وقد قتلوا زهرة شبابها . وكان بين القتلى أولاد الشيخ علي شعبان الرجل الجنبلاطي المنظور يومئذ . ويُقال أنه شخصياً قد

[1] ضجة .
[2] عسكر الأمير بشير .
[3] الثغاء صوت الشاة والماعز .
[4] الرغاء : صوت ذوات الخف من الحيوانات .
[5] النهيق : صوت الحمير .

تمكن من الهرب ونجا بنفسه[1] .

ولما بلغت فلول الدالاتيه قرية عانوت ، أضطرب جيش الأمير بشير. كله وكاد أن يتفرق لو لم يُسْرِع الأمير ويُسَكِّن اضطراب الجنود ويرفع معنوياتهم[2] .

أما حنا بيدر ، فقد رجع منتصراً بمن معه إلى دير القمر . ولما اطلوا على الدير ، ممتطين خيل الدالاتيه ومعتمرين قلا نسهم — « قلابقهم » — توهّم أهل الدير : ان هذا العسكر المقبل هو عسكر الدالاتيه فاستعدوا للحرب وخافوا على حريمهم وأولادهم من السلب . ولكن لما دنَوْا منهم وعرفوهم ، سُرّوا كثيراً وتعاظمت أفراحهم . وعندئذ تشدّد الأميران وعساكرهما ، واستبشر الجميع بالنجاح .

وفي التاسع من آذار سنة ١٧٩١ ، هاجم عسكر الأميرين عسكر الأمير بشير في عانوت ليلاً . ودامت المعركة إلى الصباح حيث اندحر الأميران ونكصا على عقبيهما تاركين ثمانية قتلى من أتباعهما[3] . وفي ١٢ آذارسنة ١٧٩١ قدم المنلا اسماعيل من البقاع بألف واربعماية فارس وصدم جيش الأميرين من الشرق. ودهمهم الأمير بشير وقره محمد بمن معهما من اقليم الخروب من الغرب[4] فانكسر عسكر الأميرين لوقوعه بين نارين فتشتّت شمله وتبعثرت كتائبه .

---

١ حكى لي الشيخ حسن أبو زينة شعبان نقلا عن والدته قال : أبصر أحد قواد المهاجمين جدي الشيخ علي شعبان هارباً على فرسه . فصرخ من بعيد : إلى أين غادرت بيتك والعيال ؟ فأجابه : أنا عائد إليكم . ثم ذهب ولم يرجع إلا بعد أيام .

٢ أخبار الأعيان ٣٦٠ وذخائر لبنان ٢٩٤ وتاريخ الأمير حيدر ١٦٦ و١٦٧ .

٣ أخبار الأعيان في جبل لبنان ٣٦٠ وذخائر لبنان ٢٩٤ .

٤ المصدر السابق .

ولكن لما يلفت عساكر الأمير مرج بعقلين حدث اختلاف بين قائدي جيش الأمير بشير . اي المنلا اسماعيل وقره محمد ، سببه التحاسد . فتقاعد قرة محمد عن نصرة المنلا اسماعيل الذي جاء النصر بوجهه . فاغتنم الفرصة الشيخ جهجاه العماد وباغت جيش الجزار « أي جيش المنلا اسماعيل » ودحره فتقهقر إلى عانوت . وعندئذ تشجع الأميران و، جعا بأتباعهما إلى عنبال حيث اجتمع إليهما جم غفير من الجند. وعزموا على مهاجمة عانوت[1]. فدرى المنلا اسماعيل بذلك فأدخل العسكر إلى داخل القرية . ولما أقبل الأميران بجيشهما قابلهما عسكر الأمير بشير ودام القتال إلى الصباح فرجع المهاجمون على أعقابهم بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير وبعد ذلك هدأت الأمور قليلاً حتى آخر السنة . ثم في ١٠ كانون الأول سنة ١٧٩١ رجع الأمير بشير من عكا من قبل الجزار مصحوباً بأربعة آلاف جندي من الدولة[2] . ووصل لصيدا وأمر بقطع ارزاق الشيخ قاسم جنبلاط التي قدرها خمسة بساتين . ثم طلع إلى شحيم وبرجا وأمر بقطع خمسة بساتين إلى المشايخ النكدية . وإذْ بلغ ذلك أصحاب الارزاق وبقية المدرزة[3] ، جمعوا حالهم ونزلوا إليهم ووقعت حرب شديدة بين الفريقين دامت طيلة اليوم الثاني عشر من شهر كانون الأول سنة ١٧٩١ . وأخيراً انتصرت الدروز على الأمير بشير وعلى عساكره[4] .

ولما تحقق الجزار أنه لا يمكن اخضاع البلاد بالقوة ، أمر الأمير بشيراً والسر عسكر ، أن يقدما بالعسكر إلى عكا ، وأمر بحجز القوت عن البلاد .

---

١ أخبار الأعيان ٣٦١ وتاريخ الأمير حيدر ١٦٧ .

٢ أخبار الأعيان ٣٥١ .

٣ الدروز .

٤ أوراق لبنانية مجلد ١٩٥٦ صفحتي ٢٢٣ و٢٢٤ .

وهكذا بقي الاقليم في عهدة الأميرين[1] « حيدر ملحم شهاب وابن أخيه الأمير قعدان .

وفي سنة ١٧٩٣ ، اتفق رأي أكثرية مناصب البلاد على إرجاع الأمير بشير إلى الولاية . فكتبوا إلى الجزّار بعد رجوعه من الحج ، يلتمسون منه ذلك . فأجابهم وأنعم على الأمير بشير بولاية البلاد . وأرسل معه عسكراً إلى صيدا بقيادة المنلا اسماعيل فصعد الأمير بعسكر الجزار إلى عانوت ، بعد أن أرسل أخاه والمنلا اسماعيل ومعهما الشيخ بشير جنبلاط إلى المختارة فنهض عندئذ الأمير قعدان وجرجس باز بألف مقاتل من العمادية والنكدية ودهموا عسكر المختارة ليلاً . واشتعلت نار الحرب بينهم ثلاث ساعات . وعند الفجر انكسر اليزبكيون وتبعهم المنلا اسماعيل بعسكره إلى مرج بعقلين[2]

ولما بلغ الأمير بشيراً ذلك ، لاقاهم بعسكر الجزار من عانوت إلى السمقانية. ففر الأميران قعدان وحسين ابن الأمير يوسف من بعقلين إلى عبيه [3] . أما الأمير بشير فدخل إلى دير القمر واستعاد الولاية . ولاحق الأميرين وأتباعهما حتى استأمنا منه وأخلدا إلى السكينة . وهكذا بقي الأمير بشير في الولاية حتى سنة ١٧٩٤ إذ قدمت بحقه شكاوي للجزار ، فاعتقله وأخاه ، وسجنهما في عكا . ثم اعتقل الشيخ بشير جنبلاط وفارس نصيف مدبر الأمير . وأرسل وراء أولاد الأمير يوسف ، فخلع عليهم وولاهم [4] لبنان كله .

---

١ أخبار الأعيان ٣٦٣ و تاريخ الأمير حيدر ١٧٤ .
٢ أخبار الأعيان ٣٦٣ وتاريخ الأمير حيدر ١٧٤ .
٣ تاريخ الأمير حيدر ١٧٥ . سلم باشا طرابلس ولاية الجبل لإبني الأمير يوسف حسين وسعد الدين . فرضخ لهما الأميران حيدر ملحم وقعدان وسارا بركابهما لمحاربة الجزار والأمير بشير .
٤ ذخائر لبنان ٢٩٨ وأخبار الأعيان ٣٦٥ .

ثم لم يلبث أن انقلب عليهم بعد رجوعه من الحج وأعاد الولاية للأمير بشير وأخيه ، بعد أن أطلق سراحهما وأطلق سراح الشيخ بشير جنبلاط[1] .

وبعد ذهاب بونابرت سنة ١٧٩٩ ، انقلب الجزار على الأمير بشير ، لعصيانه أوامره ، وولى أولاد الأمير يوسف . وبعد معارك عدة بينهم وبين الأمير بشير ، وعدم التفات الجزار لأوامر الصدر الأعظم بالتوصية بالأمير بشير ، أصحب الأميرين حسيناً وسعد الدين ، بستة آلاف فارس وأربعة آلاف راجل . فسار سعد الدين بالمشاة إلى إقليم الخروب ، ومعه مديره عبد الأحد باز ، والعمادية والنكدية ونزل في عانوت [2] .

ثم أصبحت الأمور فوضى . فتارة كان الإقليم يدخل في حوزة أولاد الأمير يوسف . وأخرى في حوزة الأمير بشير . وطوراً في حوزة الأمير عباس أسعد الذي نهض بالعسكر من صيدا إلى عانوت سنة ١٨٠١ . ومنها نهض إلى دير القمر . ثم عاد الإقليم إلى حوزة الأمير بشير ، بعد أن رضي الجزار واستثنى منه برجا ، حيث أدخلها مع إقليم جزين [3] .

وبهذه الطريقة الجهنمية التي ظل الجزار سائراً عليها في مدة حكمه الطويل ، وبدهائه العجيب كان يتمكن من اقتحام عرين لبنان ويتدخل في شؤونه . وكان يضرم الفتن فيه . ثم يعود ليقمعها بتسليط الأمراء على بعضهم : فأحياناً يميل مع الأمير عباس أسعد شهاب . وحيناً مع الأمير سلمان سيد أحمد وصديقه بشير جنبلاط . ثم تارة مع الأمير بشير ، وأخرى مع أولاد الأمير

---

١ أخبار الأعيان ٣٦٦ وتاريخ الأمير حيدر ١٧٩ .
٢ أخبار الأعيان ٣٧١ وتاريخ الأمير حيدر ١٩٦ .
٣ أخبار الأعيان ٣٨١ وتاريخ الأمير حيدر ٤١٤ وذخائر لبنان ٣٠٢ .

يوسف وهكذا دواليك . يصادق هذا ويناصره . ويُدخل في روع ذاك أنه اصطفاه . ثم لا نلبث أن نرى طريد الأمس رجل اليوم . وحاكم اليوم شريد الغد . حتى أضحى الإضطراب يعم لا لبنان وحده ، بل سوريا كلها وكان يساعده في ذلك عدم تنظيم المواصلات البريدية بين عاصمة الخلافة ومراكز ولاياتها . فلم يكن وجود لبوسطة « بريد » مرتبة لنقل المحررات بين البلدان . وكانت الدولة وولاتها في الإيالات ، يرتبون عندهم رجلاً مخصوصاً لحمل الأوامر من السلطة إلى الولاة . ومنهم إليها . واسم هذا الرجل أو الرسول : تاتار [1] أو ططر . وفي الأمور المهمة ترشل الدولة أشخاصاً تعتمد عليهم من أصحاب الوظائف. كالقيوجي [2] باشي ، والسلحشور والبستانجي باشي ، وقد دامت هذه الحال حتى استأثرت يد المنون بالجزار سنة ١٨٠٤ .

وبعدما توفي الجزار ، اغتصب الولاية اسماعيل باشا الذي كان الجزار قد سجنه قبل موته . إذ أخرجه الشيخ طه الكردي من السجن خفية، وألبسه ثياب الجزار ، وأعلن للناس أن الجزار بايعه بالولاية عند موته . كما أخرج حاييم اليهودي رئيس كتبة الجزار من السجن ، وأرجعه إلى وظيفته [3] .

أما الأمير بشير فلم يعترف بولايته . وكتب إلى نائب الجزار في دمشق قائلاً: إني لا أنقاد إلى إلا أوامر من تنصبه دولتنا العلية . فأرسل النائب ذلك الكتاب إلى استانبول . وكان نتيجته: ارتفاع قدر الأمير ومكانته عند السلطان

---

١ كتاب الجواب على اقتراح الأحباب صفحة ٦ .

٢ القيوجي باشي رئيس الحجاب والسلاحشور لقب شرفي كان يطلق في أوائل عهد السلطنة على الكتيبة الأولى من الحرس السلطاني . والبستانجي باشي رئيس حرس البستان الذي يصحب معه ٤٠ نفراً من التتار صفحة ١٦ من الكتاب ذاته .

٣ أخبار الأعيان ٣٨١ وتاريخ الأمير حيدر ٤٠٩ .

الذي أمره أن يساعد ابراهيم باشا الوالي الذي عينّه السلطان على اسماعيل باشا . فأنجده الأمير بشير بستة آلاف مقاتل أوصلهم إلى صيدا ، واعتذر عن مقابلة ابراهيم باشا لأنه بعد خروجه من سجن الجزار ، أقسم ألا يقابل وزيراً فقبل الباشا عذره : وبعد أن ترك جرجس باز مع الجيش عند أبراهيم باشا ، قفل راجعاً إلى قرية جون ومعه الشيخ بشير ليجبي الأموال للعسكر من الإقليم [1] .

وفي سنة ١٨٠٧ تعهد الأمير بشير بان يدفع للوزير سليمان باشا ثلاثمائة ألف فرس موزعة على ثماني سنوات ثم وزعها على ساحل بيروت وزحلة وإقليم الخروب [2] .

ملاحظة :

تتضح للمطالع كيفية سياسة الرعية والنظر إليها عند الأمير بشير وغيره من الأمراء . فلا مرية بأنهم كانوا يرهبون جانب القوي ويدارونه ويعتبرون الضعفاء كالإبل السائمة . فلم يوزع الأمير بشير الأموال الأميرية والضرائب إلا على زحلة والإقليم وساحل بيروت ، ولم يكلف لا أهالي دير القمر ، ولا أهالي المتن ولا أهالي الشوف ولا . . . ولا . . . الخ بشيء من تلك الأموال وذلك لخوفه من مقاومة الأقوياء . فإن كان السبب في ذلك كما يزعم البغض بأن جند الأمير من هؤلاء الأقوياء ، فقد كان رجال الإقليم في طليعة الجيش دائماً . وفوق ذلك فقد كانت قرى الإقليم وأملاكه مرسح الحرب والقتال طيلة تلك العهود السوداء . وليس للاقليم تاريخ — كما قدمنا — غير الخضوع

---

١ تاريخ الأمير حيدر ٤٢١ وأخبار الأعيان ٣٨٤ .

٢ أحبار الأعيان ٣٨٧ وتاريخ الأمير حيدر ٥١٣ .

والسمع والطاعة على امتداد تلك الفترة . وكان من جراء ذلك أن هدأ بال الأمير ، واستراح من منافسيه ، وساد الإقليم هدوء نسبي لأنه كان حقل تجارب للأمراء والحكام ، فإن الأمير بشير لما تفشى مرض الجدري سنة ١٨١٠ في لبنان ، قدم له قنصل النمسا وغراندوقة توسكانا في بيروت صندوقين من اللقاح ضد الجدري . لكنه لم يثق بنفعه حتى جربه ببعض خاصته أولاً وأرسلهم إلى برجا ليخالطوا المجدورين حيث كان المرض هناك فتاكاً . ولما تحقق نجاتهم من العدوى تلقح هو وأهل بيته وخاصته . ولكنه لم يفكر بتلقيح أهل برجا وغيرهم من أهل الإقليم . وكان الدكتور يوسف بربران هو الملقح [1] .

وقد كانت هكذا حالة الإقليم .

---

١ مباحث علمية واجتماعية ص ١٨٠ .

الفصل الرابع

من الجزء الأول

خلو الجو للأمير بشير وللشيخ بشير جنبلاط بعد مقتل الشيخ شرف الدين القاضي :

وفي سنة ١٨١٩ . أمر الأمير بشير بقتل الشيخ شرف الدين القاضي الملقب بشروف [1] للنحيب . وذلك بناء لالتماس وإلحاح الشيخ بشير جنبلاط الذي كان يرى في الشيخ شرف الدين ، رجلاً خطراً على شعبيته [2] لأنه قد سعى ويسعى دائماً بمصالحة اليزبكية وجمع شتاتهم كلما تفرقوا . ثم عين مكانه في مركز القضاء رجلاً من برجا كان خطيباً يقال له : الشيخ أحمد البزري . ولكن هذا لم يلبثْ أن مات فور تعيينه . وعندئذ أضطر الأمير بشير أن يعين في مركز القضاء الشيخ محمد الخطيب من برجا وأن يكتب له : الأخ العزيز رفعةً لمقام القضاء الشرعي في عهد الدولة العلية الإسلامية ثم وزّع أعلاماً في البلاد يخبرهم بعزل شرف الدين وتولية محمد الخطيب بعد موت أحمد البزري . وكان ذلك سنة ١٨٢٠ [3] ومحمد الخطيب هذا هو أول رجل من الإقليم نال مركزاً مرموقاً في الدولة وأصبح له قدر وقيمة .

---

١ تاريخ الأمير حيدر ٦٥١ وأوراق لبنانية مجلد ١٩٥٦ صفحة ٢٠ والجواب على اقتراح الأحباب ٦٦ .

٢ تاريخ الأمير حيدر ٦٥١ وأوراق لبنانية ١٢٠ مجلد سنة ١٩٥٦ .

٣ تاريخ الأمير حيدر ٦٥١ وأوراق لبنانية ١٢٠ مجلد سنة ١٩٥٦ وذخائر لبنان ٣٠٢ .

لم يطل هدوء بال الأمير كثيراً . فقد تعقدت الأمور من جديد ، بسبب جشع الولاة الذين خلفوا الجزار في الولاية ، وتعطشهم لحيازة المال . فقد عـُزل الأمير بشير أو بالأحرى اعتزل الحكم قرفاً . وتولى مكانه الأميران سلمان سيد أحمد والأمير حسن علي . ولكنهما لم يلبثا طويلاً في الحكم ، حتى عزلهما الوزير عبد الله باشا الذي سلخ إقليم الخروب وإقليم التفاح وجزين وجبل الريحان ومدينة جبيل عن حكومة لبنان [1] .

وبعد ذلك أعاد الحكم للأمير بشير الذي لم يطل به الأمر أن هرب إلى مصر من وجه درويش باشا والي دمشق ومصطفى باشا والي حلب . وذلك لأن درويش باشا اشتكى على عبد الله باشا . فأرسلت الدولة جيشاً كبيراً . ثم أنذرت الأمير بشير بأن يترك عبد الله باشا فلم يقبل بأن يخذل عبد الله باشا . بل فضل الهرب لمصر كما قدمنا . وقد ركب المركب الفرنسي الذي كان كلف ابراهيم الجوهري الصيداوي بأن يستأجره له وأخذ معه أولاده وماله ومائة إنسان من خدمه وأتباعه [2] وذلك في ٢٦ تموز ١٨٢٦ سنة .

وبعد زمن يسير ، رجع الأمير بشير من مصر إلى لبنان . وتولى الإمارة مرضياً عنه من عزيز مصر محمد علي باشا . ولدى وصوله للبنان ، ظهر واتضح له سوء قصد وتصرف الشيخ بشير جنبلاط نحوه . وذلك لأنه صالح أخصام الأمير ببعضهم وحالفهم ضد الأمير بشير عازماً على إثارة ثورة كبيرة عليه بمساعدة كثير من الأمراء والرؤساء الأحزاب والمشايخ العمادية والأمراء الأرسلانيين وغيرهم . ولما تحقق من ذلك ، عزم على التنكيل به . ولم تلبث

---

١ الجواب على اقتراح الأحباب ٧٣ .

٢ تاريخ الأمير حيدر ٣٢٥ وأبو سمرا غانم ٢٣ .

أن نشبت الحرب بينهما في سهول السمقانية . فانكسر الشيخ بشير والثائرون معه . وتفرقوا في البلاد شذر مذر هائمين على وجوههم في كل صقع وناد وقد تعقبهم جيش الأمير إلى آخر حدود إقليم البلان . حيث ألقي القبض عليهم جميعاً . فكان نصيب الشيخ علي العماد أن قطـّع بالسيوف تقطيعاً على أبواب دمشق بأمر واليها . وشـُنق الشيخ بشير جنبلاط والشيخ أمين العماد في عكا . حيث بقيت جثتاهما معلقتين ثلاثة أيام . كما سُملتْ أعين الأمراء الشهابيين سلمان سيد أحمد وأخوه فارس والأمير عباس أسعد . وقُطعتْ ألسنتهم [1] . وكان ذلك في ٢٧ كانون التثاني ١٨٢٥ سنة .

ثم أنعم الأمير بشير على الذين ناصروه وشدوا أزره وعلى الذين خدموه وانحازوا إليه . ففرّق عليهم المقاطعات كما يلي :

أناط أحكام الشوفيّيْن الحيتي والسويجاني مع بعقلين وإقليم الخروب وإقليم التفاح وجبل الريحان وإقليم جزين وسهل البقاع بولده خليل . وخصّ ولده قاسم بالعرقوب . وجعل الأمير بشير ملحم على الشويفات وعهد بأمور اللمعيين إلى الأمير ملحم . وجعل الغرب الأسفل ما عدا الشويفات في يد التلاحقة . وجعل قسماً من الشوف بيد الشّيخيْن حمود وناصيف النكديّيْن .

إلا أن الأمير خليلاً لم يكن ليفترق عن أبيه ويهجر سراي بيت الدين فأقام من قبله وكلاء يثق بهم جاعلاً لكل مقاطعة وكيلاً . أما الشوف الحيتي فوكل إدارة شؤونه إلى غنطوس القهوجي من بعدران . وأما الشوف السويجاني فسلم أزمة أحكامه إلى شاهين آغا رزق من مزرعة الشوف . وكلاهما نصراني [2]

---

١ ذخائر لبنان ٣١٠ – ٣١١ وتاريخ الأمير حيدر ٧٦٥ و٧٦٦ إلى آخر ٧٧٦ والحركات في لبنان ١٥ و١٦ .

٢ الحركات في لبنان ١٦ .

وسلّم إقليم الخروب لبني حمادة من بعقلين . وجعلها وكالة مطلقة مفوّضة لقول كل وكيل منهم ولرأيه ولفعله . فلا تسل عند ذلك عن طغي وبغي، وهتك وفتك ، وزيغ في الدعاوى وخبط في القضايا . ولنترك الآن البلاد على مثل هذة الحالة ، تنساب فيها جداول العبث ، وتلعب فيها أيدي الحدثان وهي خالدة إلى الرضوخ ، غير مبدية حراكاً[1] لنعود إلى ذلك في مقام آخر والعود أحمد . موسعين مجالاً من البحث لذكر الإقليم الذي نحن بصدد كتابة تاريخه . لنضع أمام أعين أبنائه صورة عن كيفية تصرف الأمير وأبنائه بمقدراته. وكيفية عدم اعتبار من فيه،وعدم إقامة أي وزن لهم.ولنذكر حرفية هبة الأمير بشير الإقليم ومن فيه للشيخ حسين حماده . وبالتأكيد هبة القسم الأوسط منه.

هو أنه بحسب صدق خدمات أخونا « أخينا » الشيخ حسين حماده المرضية لدينا ، قد أنعمنا عليه: أن يكون متعاطياً أمور وموارد إقليم الخروب من سائر الخدمات التي يصدر بها أمرنا . ويستوفي جميع المطاليب « مطالب » المرتبة « المترتبة » على الإقليم المذكور ، ومن ميري وطرح وغيرها . ويوردها إلى خزينتنا . وأنعمنا بالخدمة التي تطلب على الميري وباقي مطاليب « مطالب » الإقليم . والشكوى التي تحصل ، تعرض لدينا عن يده . وخدمنها له . ولا يكون منه ثقلة على الرعية . ويكون مرفوع المقام بين أهل الإقليم المذكور. وإنعامنا هذا عليه ، وعلى إخواننا أولاده وذريته من بعده ممدود غير محدود وسندنا هذا يكون محفوظاً بيدهم لأجل البيان تحريراً في جمادى الآخرة[2] ١٢٤٠ سنة ويوافق كانون الثاني سنة ١٨٢٥ » انتهى .

١ الحركات في لبنان ١٦ وذخائر لبنان ٣١٢ وأخبار الأعيان ٤٣٨ .
٢ أوراق لبنانية . مجلد سنة ١٩٥٧ صفحة ٤٤٨ .

هذه هي صورة الهبة . وقبل أن نعود لما كنا فيه من البحث ، نفصح أن القسم الأوسط من الاقليم الذي وهبهم إياه الأمير بشير ، بقي في عهدة أحفاد الشيخ حسين حماده عهداً طويلاً . حتى انه قد بقي منه لأيامنا : « دلهون والمعنيه وقسم من كترمايه ».

وكان السعيد السعيد من سكان الاقليم ، من توكل إليه مراقبه أملاكهم والعناية بها . وقد أدركنا في حداثتنا : الوكيل العام لهذه الأملاك وهو المرحوم أحمد قميح الحجار . ومن بعده : الشيخ حمد شاهين نصر الدين مختار دلهون الاسبق .

وجهة نظر و استنتاج :

يتبين من هذه الوثيقة التاريخية التي لا تزال بأيدي آل حماده ، كيف كان الأمراء ينظرون إلى الاقليم من دون المقاطعات كلها . كانوا مطمئنين إلى أن سكانه أطوع من البنان . فلا يعترضون على أمر . ولا يرفضون ضريبة أو يتمردون على ادائها . مما يجعل المتأمل في هذه الحالة العجيبة التي كانت تسوده منذ العهد العربي وخاصة طيلة العهد الشهابي،فريسة دهشةٍ لا تنقضي من كيفية هذه التركيبة المجتمعية التي جعلت منه — جغرافياً واستراتيجياً وسياسياً وتركيباً بشرياً — واحداً من حجارة الشطرنج بين أيدي كبار اللاعبين أو بالأحرى الطامعين في الحكم من الامراء والرؤساء والمتنفذين والاقطاعيين الذين لم يكونوا ليقيموا أقل وزن لمن يحويه من السكان « الرمم » على طراز ما شاهدناه ورويناه في الفصول السابقة . وكيف نريدهم يقيمون لهم وزناً وهم كانوا يرونهم يجيبون كل داعٍ . ويتجاوبون مع كل ناعق[1] . ويشرئبون[2]

١ ناعق : صارخ .
٢ اشرأب : رفع عنقه لينظر .

لكل صارخ . فيتحولون وبسرعة من يمنيين إلى قيسيين . ومن جنبلاطيين إلى يزبكيين . ويتركون الأمير يوسف مثلاً ، ليحاربوه بسلاحه منحازين للأمير بشير . ثم لا يلبثون أن يتركوه ويحاربوه بسلاحه منضمين إلى الاميرين سيد أحمد وقعدان . وهكذا دواليك . . . الخ .

أجل انها حالة مهما أوتي العاقل من الحصافة وبعد النظر ، وعمق الادراك وقوة الملاحظة ، يقف عاجزاً عن فهم أسبابها وتعليل بواعثها . والذي أراه شخصياً ، أنه لا شك — أحياناً — في أن للأمكنة والأجواء والساعات والفصول ، ومختلف الظروف ، لمنطقة ما من الأرض ، علاقة وثقى متصلة بقلوب وجسوم سكانها . تؤثر عليهم في طبيعة معاشهم وتفكيرهم ومجرى حياتهم . وذلك لأن الطبيعة واحدة في قلب الإنسان وفي عينه . وما يجري في عصاراتها من الحياة ، هو نفسه ما يجري في عروقه . وما تحسه هي وتقوله لعينيه بلسان مناظرها ووجوهها ، وطلاقتها وعبوسها ، يتبيّن في نفسه وحيه واثره .

من هذا كانت الصلة وثيقة بين هذا الاقليم المجدب في العطاء — لانفصاله عن بقية أجزاء الشوف المتصلة بمساقط المياه والثلوج — وبين سكانه اسلافنا في التفكير ، إذا ما قيسوا بغيرهم من سكان بقية المناطق الذين لم يكتفوا فقط بأنهم تنبهوا وكتبوا ودوّنوا لخلفهم الاحداث . بل غالباً ما شاركوا الحكام والمتسلطين الأقوياء في الرأي والحكم والإدارة . خاصة سكان الشوف . وكان من جراء ذلك : ان اقطعوهم أراضي الاقليم ، يستأثرن بحاصلاتها . ويتنعمون بما خُصَّت به من خيرات دون سكانه . ويقاسمونهم عرق جبينهم وأتعابهم . ويو، ثونها ذراريهم من بعدهم أباً عن جد . ويسخرونهم بنقل الرمل وماء البحر حتى على ظهورهم من الاقليم لبعقلين وبيت الدين وغيرها

لبناء قصورهم [١] وبيوتهم .

أجل لا غرو بعد ذلك ان هدأت الحال وسكن الجو نوعاً ما في الاقليم لأنه استراح من اقتتال الامراء فوق أرضه . وتقتيل شبابه ورجاله . ولم يبقَ يومئذٍ ما يعكر صفو الحياة فيه .

كذلك تنفّس الأمير بشير الصعداء بعد موت الجزار . وتخلّص من كل منافسيه وآزره في مهمته أولاً سليمان باشا والي عكا بعد الجزار وقد كان محباً للسلام . وثانياً بعد رجوعه من مصر بتكاتفه مع عبد الله باشا والي عكا بعد سليمان باشا . وقد كان عبد الله باشا ساعد الأمير بشير الايمن للتخلص من الشيخ بشير جنبلاط الذي لم يشفع به احسانه وفضله على المواطنين ولا سيما الاكليروس منهم . ومن الانصاف أن نذكر بعض احسانه واحسان أبيه إليهم :

في سنة ١٧١٢ وهب الشيخ علي ربح جنبلاط جد العائلة ، أرضاً من أملاكه في شرقي جون في اقليم الخروب لرهبان الروم الكاثوليك . لبناء دير على اسم المخلص [٢] . وسلّمهم عقاراتٍ لمعاشهم . فشادوا هذا الدير الكبير الذي يفخر الاقليم بأنه يحويه .

وفي سنة ١٧١٧ جعل الأمير يوسف ضريبة على البلاد . وخاصةً إقليم

---

١ روى لي أديب الخطيب مدير الدوائر الأسبق في سوريا قال : بينما كان جد أبي يعلم الأولاد في الفخارة من شحيم ، أقبل فارسان على فرسيهما . فهم الأولاد — عندما شاهدوهما — بالهرب فاستوقفهم جد أبي وسألهم عن السبب فأجابوه : إن هذين يريدان تسخيرنا بنقل الرمل و ماء البحر . فطمأنهم وتكاتف معهم ومع آبائهم ضد الفارسين اللذين عادا بخفي حين .

٢ مجمع المسرات للدكتور شاكر الخوري صفحة ١٨ .

الحروب . فالتمست الأهالي من الشيخ علي أن يتوسط لهم عند الأمير لإلغائها ولما لم يُستَجَبْ طلبه ، دفعها من ماله الخاص . فأحبته لذلك البلاد وعلت منزلته فيها . فأوجس منه الأمير يوسف شراً . فسعى برمي الفتنة بينه وبين الشيخ عبد السلام العماد . فنال غرضه وانقسمت البلاد إلى قسمين جنبلاطي ويزبكي ولم تزل [1] .

وبعد أن تولى الشيخ بشير جنبلاط مكان أبيه قاسم المتوفي سنة ١٧٩١ ، وعمره يومئذ ١٤ سنة ، ساعد بتجديد عمار دير مشموشة في اقليم جزين فأرسل له البابا مرسوماً يشكره على ذلك [2] .

وبعد أن تخلّص الأمير بشير من الشيخ بشير جنبلاط كما قدمنا ، شرع يعيد الطمأنينة والرَّخاء إلى البلاد . التي نعمتْ يومئذ براحة نسبيّة لا بأس بها. ولكن قدر الله ألاّ يرتاح بال الأمير من المشاغبين فقد جاءت لهذه البلاد إمرأة انكليزية معتوهة [3] نوعاً ما. كانت تعتقد أنها تركية الأصل واختارت مقاماً لها بجوار قرية جون . في محلة تدعى : « ضهر الست » . وقد اخلصت هذه المرأة للسلطان وشعرت أن الولاة يتدثرون بدثار الولاء للسلطان إلى أجل . على أهبة نقضه عند أول سانحة . وكانت تعلم أن الأمير بشير يكره الحكم التركي كل الكره . فثارت عليه وبادأته العدوان . ثم مالأت عبد الله باشا الذي يمثل السلطان في شخصه على الأمير بشير الذي اضطر إلى الهرب إلى

---

١ مجمع المسرات ١٨ .

٢ مجمع المسرات ١٩ .

٣ ميشال سليم كند في صفحة ٥ مؤلفه عن اللادى أستر ستانهوب . وقد لخص حياتها فقال : إنها من إحدى عائلات إنكلترا الشريفة . وخالها وليم بت رئيس وزراء إنكلترا في القرن التاسع عشر من أعظم الساسة الذين أنجبتهم إنكلترا على كر الدهور .

حوران . ثم عاد — وفي تلك الساعة كشفت اللادي أسترستانهوب عن نواياها في مقاومة الأمير . فعزم على التخلص منها . فأرسل لها أولاً رسلاً من ضباطه ينصحونها بترك مقرها ومغادرة البلاد . لكنّ الدخيلة المهووسة رفضت . فبعث الأمير عندئذ منذراً كل من يخدم الست بالهلاك ومصادرة الأملاك. وزاد أن أرسل إلى جون والقرى خمسماية فارس وحاصرها مهدداً إياها بالويل ان لم تُذعن [1] . ولكنها لم تهتم . بل بلغت بها الوقاحة أن قالت عنه لأحد ضباطه : انني أعلم علم اليقين ، ان ليس في الوجود طاغية أكثر سفكاً للدماء منه . كما أعلم أن ليس من أحد في مأمن منْ سمومه وخَنجره. ولكن كل ذلك لا يخيفني ولا يمنعني عن احتقاره احتقاراً عظيماً . قل له: انه كلب ووحش . وانه إذا أراد أن يجرب قوته معي ، فاني له بالانتظار [2] .

وقد هددته مرةً أخرى بواسطة أحد ضباطه أنها تحظّرُ عليه إرسال أحد إلى منزلها . وان ابنه خليلاً لا يجسر على وضع قدمه في منزلي . « وإلاّ فإني أقتله بيدي . لا بواسطة اتباعي » وكانت كثيراً ما ترد له رسائله التي بعثها إليها مقفلةً . ولكن لأمر ما ، أغفل الأمير أمرها . ولعله احتقرها واستخفّ بها .

أما هي ، فكانت تكره ابراهيم باشا كرهها للأمير وأزود . ولذلك لما فتح ابراهيم باشا عكا ، لم يجد أهلها المنكوبون ملجئاً يلجئون إليه . فآوتهم وفتحت لهم أبواب منزلها على مصاريعها . وسهلت لهم السكنى في منازل القرويين القريبة [3] منها .

---

١ اللادي أستر ستانهوب صفحة ٤٨ د .

٢ اللادي صفحة ٤٩ .

٣ المصدر ذاته صفحة ٥٠ .

ولم يكد الأمير بشير يرتاح من اللادي التي قضت نحبها سنة ١٨٣٩ ، حتى آذنت شمس ابراهيم باشا وجيشه بالافول . وابتدأت المتاعب تتوالى على الأمير من ثورة اللبنانيين على المصريين . ورغم كل ذلك، فقد رفض الأمير التخلي عن ابراهيم باشا . بل فضّل ترك الإمارة والحكم على ان ينكث بعهده مع محمد علي باشا .

أما في الإقليم ، فلم يحدث شيء له أهميته في ذلك الوقت . إلا ما كان من لجوء عامية دير القمر إلى قرى مجدلونا وكترماية وسبلين [١] ومزبود ، وانطلاقهم منها مغيرين على أطراف الجيش المصري عند نهر الأولي . واستفرادهم بعض أنفاره وقتلهم ورجوعهم من حيث أتوا [٢] . وذلك سنة ١٨٤٠ وانسحب المصريون وسلم الأمير نفسه للدولة العلية .

وننقل عما أورده لحد خاطر في صفحة ٨٤ من سيرة أبي سمرا غانم نقلاً عن مذكرات رستم باز ما يلي : « خرج الأمير من بيت الدين قبل غروب الشمس بساعة . بعد أن عهد إلى مشايخ آل حماده من بعقلين بمناظرة سرايته ودوره . وفيها من الأثاث والفرش والنحاس والزخرفة والسلاح والخيل والساعات الكبار . ومن البن ستة قناطير فرغتها بيدي « رستم باز » في أوضة بدار الحريم . ولو قوّم ما كان فيها ، لبلغ أكثر من ثلاثة آلاف كيس » انتهى .

وبعد ذهاب الأمير بشير بقي الإقليم في حالة من الخنوع طيلة عهد الأمير بشير الثالث المعروف بأبي طحين ، لا يحسد عليها . بل طيلة الفترة التي مضت

١ أخبار الأعيان ٤٥٨ .
٢ أبو سمرا غانم ٨٤ من كتاب لحد خاطر .

حتى عهد المتصرفية يتصرف سعيد جنبلاط [١] وأولاد حسين حماده . وآل أبي نكد بمقدراته على هواهم . يفرضون الضرائب التي يريدونها . ويحصلونها بالعنف والجور . وبطريقة سيئة من غير عدل ولا إنصاف . لأن الحاضر كان يسام ما على الغائب [٢] والمتنفذ الفني ، تعفيه سعة يده وتقيه .

١ كانت شحيم وعانوت وداريا ومزبود وكترماية ودلهون والمعنية في إقطاع آل حماده . وبرجا والبرجين والجية والدبية وضهر المغارة في إقطاع آل أبي نكد وسبلين وسائر القسم الجنوبي من الإقليم حتى بيقون في إقطاع آل جنبلاط . أما الخريبة والشميس فبقيتا في ذرية الأمير بشير الثاني حتى أوائل القرن العشرين حيث اشتراها الوجيه علي الحاج الحجار من السيدة رشيدة شهاب حفيدة الأمير بشير .
٢ مباحث علمية واجتماعية ٣٥٢ .

الفصل الرابع

من الجزء الاول (تابع)

أول انتفاضة في الإقليم :

لم يكن في الإقليم رأي عام يشعر بظلم . وان شعر فلا ينطق . لأن عنف الإقطاع أزماناً طويلة أمات الشعور وأخرس الألسن . وأشد ما كان الإقليم بحاجة إلى من ينبه الرأي العام فيه ، ويلهب الشعور عند الناس ويلفت نظرهم إلى ما سامهم ويسومهم الإقطاعيون من بحتريين ومعنيين وشهابيين وأتباعهم كالنكديين والعماديين والجنبلاطيين وغيرهم من الحيف والجور وما ينزلون بهم من الخسف والذل وهم صابرون بل راضون . ويستنزفون قوام حياتهم التي تجمعت بما يتحلّب من عرق جباههم — بالعصا والمقرعة[1] والصوت وهم صامتون . لذلك كان من الضروري أن يوجد قادة يشعرون الناس وينبهونهم أن من حقهم أن يرفعوا الصوت بنقد الحكام ورفع الظلم والحكم بالعدل . وهذا ما حصل بعض منه .

....

[1] دليل ذلك ما حدث في عهد الأمير يوسف : إذ جاء أحد الإقطاعيين إلى الفخارة — من مزارع شحيم وكان يسكنها آل نجم الدين وآل زغلان. وأعجب هذا الإقطاعي بثور لصاحبه ابراهيم نجم الدين وكان يحرث الأرض . فادعاه وفكه ليأخذه . ولكن صاحبه تغلب عليه وربطه في مكان الثور . وكانت عاقبة ذلك أنه في اليوم التالي هجم الإقطاعيون النكديون بقيادة أحدهم المدعو الشلق وأحرقوا الفخارة وأحرقوا شحيم وفتكوا بالإنكشارية فيها كما ورد في صفحة ١٧٠ من الحركات في لبنان .

غير أنه عندما ازداد العسف والجور الفاحش ، خصوصا بعد سنة ١٨٤٥ في الإقليم ، تململ الناس فاندفع ثلاثة من وجهاء الإقليم : الحاج ضاهر الحجار من شحيم وأحد آل عازار من جون وأحد آل البستاني من الدبية : واشتكوا على ملتزمي سعيد جنبلاط وسليمان حماده إلى متسلم ببروت : بواسطة أحد وجهاء مسلميها المدعو مصباح الدنا .

وقد تمكن سعيد جنبلاط وسليمان حماده لدى سؤالهما عن ذلك ، من تفشيل هذه الدعوى « الشكوى » باستحصالهما على عرائض وقعها مشايخ قرى الإقليم ، تشهد لهما بحسن السيرة . وأنهما لم يجبيا إلا الضرائب التي يخولهما إياها القانون . وأنهما لم يظلما أحداً من الرعية . وكان من نتيجة ذلك أنهما صادرا المشتكين في أموالهم . وثقّلا على عائلاتهم لإرغامهم على الإستسلام . أما الحاج ضاهر فلم تلن قناته . ولبث يسكن اضطراب رفيقيه ويطمئنهما ويمنيهما بالفرج القريب . وأنهم سيخرجون من هذه الورطة موفوري الكرامة وعالي الجبين . وبما أنه كان ممثل الحزب اليزبكي في شحيم ارتأى أن يذهب إلى نصيف بك أبي نكد في دير القمر ، راجياً منه رفع الحيف الذي ألحقه زلم سعيد بك وسليمان حماده به وبزميليه . فاستجاب له . غير أن الحاج ضاهر لم يقنع بالكلام . وذلك لأن صاحب الحاجة أرعن . فطلب من نصيف بك إشعاراً خطياً يثبت للمنحولين والمثقلين عليهم أن نصيف بك شملهم بحمايته . ولما سمع ذلك نصيف بك ، استشاط غضباً وصرخ بالحاج ضاهر ثائراً : قلت لك : إرجع إلى بيتك يا حاج ضاهر آمناً . فإذا لم تحمكم هيبتي في بيوتكم . ماذا تفيدكم الكتابة[1] ؟ فرجع الحاج ينتابه اليأس تارة

....

[1] حكى لي هذه المحاورة عن جده . محمد الحاج الحجار .

ويحدوه الأمل طوراً . ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى . ولما بلغ شحيم ، وجد الناس يتناجون بعودة زلم سعيد بك جنبلاط ومن معهم بخفي حنين مكبرين صولة النكديين ويرددون المثل الشهير يومئذ : سيف البلاد نكد وعماد[1] .

وبعد هذه الحادثة ساد الهدوء الإقليم وامّحى أكثر الجور السابق .

تأثير هذه الحادثة على السكان :

نستطيع أن نقول أنه منذ ذلك الوقت ، صار بإمكان المتأمل الواعي الشعور بتغيير جذري في نفوس سكان الإقليم . وخصوصاً بعد هذه الحادثة التي ظهر أنها نفخت فيهم روحاً جديداً ، وبعثت في نفوسهم أملاً قوياً حافزاً . وكان فاصلاً بين عهدين :

١ – عهد الخنوع والخضوع الأعمى ، وتقبل كل ما يفرضه الأمراء الإقطاعيون من ميري وسخرة وخلاف ذلك بالرضا والقبول ورحابة الصدر ، وعدم إبداء أي تذمر واعتراض .

٢ – عهد بدء الوعي والمشاورة وتداول الآراء وتمحيصها . كما سيتضح من الحادثة التي سنرويها في حينها أي يوم تشكلت القائمقاميتان .

١ ثبت لي هذه الرواية المرحوم عارف بك النكدي عندما زرته في عبيه برفقة الأخ الأستاذ أمين خال وأعاد لي المثل المذكور أعلاه وكانت الزيارة قبل وفاته بسنة واحدة .

الفصل الخامس

من الجزء الاول

١ً عهد الأمير بشير قاسم ملحم شهاب المشهور بأبي طحين

٢ً عهد عمر باشا النمساوي

توالت بعد ذلك على لبنان أحداث وأحداث كثيرة . يصعب حصرها وليس لنا فائدة في سردها . إلا ما نرى من لزومه استكمالاً للبحث الذي يوصلنا إلى عهد القائمقاميتين وأهم هذه الأحداث تولي الأمير بشير قاسم ملحم لبنان . بعد ذهاب الأمير بشير الثاني الكبير . ولكنه لم يحسن السياسة فعقب ذلك ما لم تحمد عقباه أولاه ولا عقباه . إذ ثارت ثائرة الدروز . وعصفت نكباء القلاقل ، وتناوحت رياح الاضطرابات . وذلك لأن الأمير بشيراً هذا لم يتلطف بمقابلة زعمائهم عند إيابهم من المنفى . بل كان يزدري بهم ، ويهضم حقوقهم . وكثيراً ما صادرهم في أملاكهم . ثم أعطاها لذوي قرباه . بدلاً من أن يتلطّف بهم . وزاد الطين بلة أنه لم يُحسن تمكين سلطته في الجبل كما قدمنا . ولم يحمل الرعية على مهابته واحترامه . ولم يتحرّ معرفة طرق جباية الأموال . وأفضى كل ذلك مضافاً إلى رعونته ورعونة أمين[1] سره فرنسيس مسلك إلى حدوث تصدع في الرأي . وتفرق في الكلمة وتضارب في الأغراض والأهواء . فدبّت عقارب العبث والفساد . وهاجت

١ أوراق لبنانية صفحة ٧٨ من مجلد سنة ١٩٥٥ .

الأحقاد والبغضاء بين الدروز والنصارى. ونَشَبت فتنة من شرارة موّنها الأمير بالوقود. بدلاً من أن يعالج إطفاءها[1]. هلك فيها خلق كثير. وسالت الدماء أنهاراً.

ولما بلغت أصداء هذه الحوادث المابين الهمايوني[2]. ورفعت إلى أعتاب الباب العالي «مركز عرش الخلافة» تشكيات المشتكين، وادعا آت المتداعين أرسلت الدولة العلية: شكيب افندي «وزير الخارجية» وأصحبته بقوة عسكرية بقيادة علّو باشا وسليمان باشا، والسر[3] عسكر مصطفى باشا النوري. فعزل الأمير بشير المعروف بأبي طحين[4]. وأرسله إلى الأستانة «اسطنبول» ثم أقام على الجبل والياً هو عمر باشا النمساوي[5]. وسيره بعسكر إلى بيت الدين سنة ١٨٤٢. وهناك قبض على بعض زعماء الدروز من أمراء ومشايخ. وبعث بهم إلى مصطفى باشا في بيروت فسجنهم.

ورغم ما بذله عمر باشا من أعمال لرأب الصدع، ولم الشعث وجمع الشمل باتخاذه مدبِّرَيْن حكيمين: هما الشيخ منصور الدحداح وخطار بك العماد الذي أخذ بعين حكاماً وضباطاً ومأمورين في جميع الأنحاء. لم

---

١ ذخائر لبنان ٣١٨ ومباحث علمية واجتماعية ٣٥٧.

٢ وزارة الخارجية العثمانية.

٣ كلمة تركية معناها: رئيس العسكر.

٤ سمي هكذا لأنه كان يفرق الطحين على ذوي قرباه وعلى المحتاجين.

٥ هو قائد عثماني شهير، نمساوي الأصل. ولد في كرواتيا من أعمال النمسا سنة ١٨٠٦ وخدم في الجيش النمساوي ثم دخل الإسلام. واستخدم في الجيش العثماني. وترقى حتى نال أعلى الرتب. وخدم الدولة بإخلاص وصدق وانتصر على الجيش الروسي في موقعة أوبانوريا في حرب القرم وتوفي في ١ سنة ١٨٨١.

تهدأ الحالة: وقد قرّب إليه بني حمادة فعيّن أحدهم داليباش[1] وأناط بهم حكومة اقليم الخروب الذي كان الأمير بشير الكبير أقطعهم إياه كما مرَّ معنا في صفحة ٦٠ من هذا الكتاب. ولكي يظهر عمر باشا تجرده وعطفه على الشعب كما أمرته الدولة العلية جعل على عسكره اثنين من قواد النصارى مشهورين بالبسالة والاقدام. الأول أبو سمرا غانم البكاسيني من بكاسين. والثاني يوسف الشنتيري[2] من بكفيا. وجعل نعمان بك جنبلاط مديراً على الشوفين الحيّي والسويجاني. فوكل نعمان بك لكل مقاطعة وكيلاً على النصارى منهم. وجعل ناصيف لطفي من نصارى البرجين، وكيلاً على نصارى اقليم الخروب[3].

وكل هذه الأعمال العادلة لم تمنع نشوب الحرب بينه وبين اللبنانيين: وحصول مواقع عديدة معهم كان غالب النصر فيها للباشا. بفضل حنكة ودراية قواده وأركانه المذكورين. فاستقدمته الدولة العلية إلى الأستانة وعزلت عزت باشا من ولاية بيروت وولّت مكانه أسعد باشا الذي استقدم الأمير حيدر اللمعي وولاه على نصارى لبنان. من نهر ابراهيم إلى المعاملتين ودعاه قائمقام النصارى. وجعل على بلاد جبيل والياً مسلماً وجعل الأمير أحمد الارسلاني قائمقاماً على الدروز[4] سنة ١٨٤٢. ولكن هذا التقسيم، لم يَحُل دون نشوب الفتن والقتل والنهب والسلب بين الدروز والنصارى.

وفي سنة ١٨٤٤ ضمت بلاد جبيل إلى قائمامية النصارى. غير أن الحالة ازدادت سوءاً. ونشبت الفتن بينهم بدرجة أكثر إيلاماً. فعُزل أسعد باشا

---

١ الحركات في لبنان صفحة ٤٤.

٢ أبو سمرا غانم ١٣١ وأخبار الأعيان ٦٤٠.

٣ الحركات في لبنان ٦ ٦.

٤ ذخائر لبنان ٢٠٩ والحركات في لبنان صفحة ٦٥.

وجعل وجيهي باشا مكانه . فوضع قوةً من الجند النظامي في عبيه وكفرشيما والحدث وغيرها من القرى لمنع استفحال الشر ، فلم يُجْدِ ذلك نفعاً .

وإذا أحسَّ سكان دير القمر أن الدروز عازمون على مهاجمة الدبية ، طلبوا من الوالي الجديد داود باشا أن يوجه إلى القرية عسكراً يقيها . فأرسل إليها عسكراً باتوا فيها ليلة واحدة . ثم غادروها صباحاً عندما رأوا رجالها تركوها إلى الرزانية الواقعة في شمالي الدبية . لمقاتلة علي صالح أحد دروز دير القمر . ومن معه في مزرعته الدلهمية القريبة منها . فاستصرخ علي صالح أهل الجاهلية ودروز المناصف فاحتدم القتال وحمى الوطيس في مرج عقليه : فاستظهر الدروز على جموع الدبية وبقعون وعقليه فانسحب البستانيون ليحموا قريتهم الدبية. ولم يكادوا يصلون إليها ، حتى أحاط بها الدروز من كل جانب ورغم أن عدد رجالها ، كان لا يتجاوز الثمانين رجلاً ، فقد بقوا رابطي الجأش شديدي اليأس . وعندما هوجموا في القرية ، خرجوا منها إلى مكان يبعد عنها خمسماية متر مكتنف بالصخور وتحصنوا فيه [1] . وكان بينهم من النكديين الشيخ [2] نجم نكد الذي كان يومئذ مقيماً في البرجين يناظر أملاكه . فقد ركب بشركائه المسيحيين من البرجين عندما أتاهم المستصرخون : وأتى لمساعدة البستانيين .

ولما وقعت الواقعة ، كان الشيخ نجم يحرك دائماً النخوة في رؤوس البستانيين ويستنفر الهمم . وكان البستانيون بدورهم حريصين عليه : حرصهم على واحدٍ منهم ويقذفون نيرانهم دفاعاً عنه . ولما شاهد المهاجمون شدة

١ ذخائر لبنان ٢١٩ والحركات في لبنان ٤٨ .

٢ ذخائر لبنان ٢١٩ .

بأس البستانيين ، ورباطة جأشهم ، انصرفوا عنها بعد أن حرقوها . وقتلوا رجلاً واحداً كان تخلّف عن رفاقه فيها . ثم تحولوا للبرجين لينهبوا بيوت المسيحيين ويحرقوها . فأتاهم مشايخ آل أبي عرم من أهلها المسلمين ، شافعين بمواطنيهم ، طالبين إليهم عدم اشعال النيران لتلاصق بيوتهم وبيوت المسيحيين ولحقهم الشيخ نجم وتوسط في استبقاء أموال شركائه وحقن دمائهم . فأجيب إلى طلبه . وقد انجلتْ هذه المعارك في الرزانية ومرج عقليه والدبية ، عن سبعة عشر قتيلاً من النصارى وقتيلاً واحداً من الدروز [1] .

استدراك وتوضيح :

كتب ملحم ابراهيم البستاني في كتابه سفر الخالدين صفحة ٢٣٤ ما يلي :

رسالة زعيم [2] :

« لا تخافوا لأنه قد كتب أمر إلى حامية عبيه بمساعدتكم . وكتب أيضاً إلى مشايخ اقليم الخروب وأعيان المسلمين : ان الباب العالي قد جاد وسمح بمهاجمتها وان دولة افندينا داود باشا المعظم قد فوّض إلينا محاربتها . وساعدنا عليها بجنوده السلطانية . فيريد من همتكم وبسالتكم : أن تسرعوا حالاً وتهاجموا الدبية . لأن الحامية التي فيها قد برحتها بأمر من مصطفى بك . فلا تخشوا شيئاً لأننا نحن والباب العالي يد واحدة في هذه المسألة . وهذا كاف لطمأنتكم وبه غناية عن اطالة الشرح » انتهى نقول : ان هذا الطلب — ان صبح انه صدر لم يُحبَبْ البتة لأنه لا يطابق واقع يومئذٍ لعدة أمور أهمها :

١ الحركات في لبنان صفحة ٤٨ .

٢ سفر الخالدين ٢٣٤ .

١ً – لم يثبت أن المسلمين في الاقليم اشتركوا أو اشترك أحد منهم في عمل ما ضد المسيحين . وذلك لأن الاقليم ، هو المنطقة الوحيدة في لبنان التي طُبقتْ فيها – ولا تزال – قاعدة لا طائفية . ولا وجود لها أبداً في الاقليم .

٢ً – ان الدليل الحسي على وحدة سكان الاقليم ونبذهم الطائفية ، هو ما فعله المسلمون في شحيم أثناء حوادث سنة ١٨٦٠ المشؤومة . باستقدامهم آل عازار من جون إلى شحيم والمحافظة عليهم من كل أذى طيلة الحوادث .

٣ً – ان مسلمي الاقليم عامة ومسلمي شحيم خاصة كانوا ولا يزالوان يداً واحدة مع مسيحي الاقليم لا سيما أهل الدبية منهم . يتعاونون في الملم العصيب . والدليل على ذلك : ان اربعين رجلاً من مسلمي شحيم ومن بعض قرى الاقليم ، رفضوا ذات مرة الانخراط في جيش الأمير بشير الثاني ، وهربوا من وجه قائد فرقة التجند يومئذٍ ، المدعو قاسم يوسف : واحتموا عند سلوم نادر البستاني شقيق المطران عبد الله البستاني . فشفع لهم وخلصهم من غضب الأمير بشير[1] .

٤ً – كذلك لم يجد الحاج ضاهر الحجار أحداً يشترك معه بالتشكي على زلم سعيد بك جنبلاط وأولاد حسين حماده سليمان وأخوته إلاّ أحد وجهاء بستاني الدبية .

كل ذلك لا يجعل عدم جدوى ما كتبه المؤرخ المذكور وحسب ، بل

١ كوثر النفوس وسفر الخالدين ٢٤٨ .

يُثْبت – كما قلنا – وطنية وأخوة سكان الاقليم المثلى . إذ لم يحصل في الاقليم طيلة كل تلك الحوادث المؤلمة التي اجتاحت يومئذٍ لبنان عامةً والشوف خاصةً ما يكدر صفو تلك الأخوة ، إلا حادثة عابرة مؤلمة ، وقعت عن غير قصد . سببها سوء تصرف أو سوء نية جنود داود باشا . ننقلها حرفياً عن رواية ابراهيم بك الأسود في تاريخه : ذخائر لبنان وهي :

التمس النصارى الذين كانوا في دير القمر من غير أهلها ، من داود باشا أن يخفرهم بعسكر يبلغهم صيدا . فصحبهم بفرقة ، ولما كانوا ما وراء الحمّام ، وبالقرب من قرية عانوت من اقليم الخروب ، نكص عنهم الخفراء . أما هم فدخلوا عانوت . ولما شاهدهم سكان عانوت قادمين عليهم ، ظنوهم آتين يهاجمون القرية . فأحاطوا بهم من كل جانب . وقتلوا منهم أربعةً وثلاثين ولم ينجُ إلاّ اثنان . فرّ احدهما إلى صيدا . ورجع الثاني إلى دير القمر[1] .

أما الرجلان الناجيان ، فكان أحدهما القس انطونيوس رئيس دير جزين . وأما الثاني فهو جرجس جعيان من بكاسين[2] .

أما في المتن ، فقد عزم النصارى على حرق قرنايل . ولمّا أحرقوا بيتين منها ، ووقعت عين داود باشا على الدخان ، غضب وأمرَ من لديه من الهوّاره[3] بإطلاق المدافع كفاً للقتال . وعندئذ بادر بحري باشا ، متسلم بيروت لتلافي الخطر قبل استفحالة . وجمع أولي الإقطاعات والكلمة النافذة من الدروز والنصارى الموارنة . وأمرهم بالتصالح . اصلاحاً لذات البين ، واستئصالاً لبواقي الأحقاد ، فتمّ له ما أراد . وكتب زعماء الطائفتين ميثاق الاتفاق

١ ذخائر لبنان صفحة ٢٢٠ .
٢ أبو سمرا غانم البكاسيني صفحة ١٢٧ .
٣ جيش الدولة .

في ٢ – ٦ سنة ١٨٤٥ [١] .

ولكن كل ذلك لم يكن كافياً لإطفاء نار البغضاء ومحو أثر الحقد من القلوب . فاندلعت نار الشر من جديد . فاقتضت شدة الحال شخوص شكيب افندي ناظر الخارجية العثمانية الجديد إلى سوريا إقراراً للأمن العام والراحة التامة في البلاد . وازالة لأسباب الفتن والهياج . فطلب إلى قناصل الدول : ان ينذروا التابعين لهم من الافرنج وأبناء العرب أن يخرجوا من الجبل . والا فلا يسأل عما يلحق بهم من الضرر ففعلوا . وخرج المعتدون [٢] .

وفي أثناء ذلك قدم السرعسكر [٣] نميق باشا من دمشق إلى زحلة بأربعة آلاف مقاتل . ثم سار بفريق من هذا العسكر إلى بيت الدين . حيث أتاها شكيب افندي ومعه الأمير حيدر اللمعي والأمير أحمد الارسلاني ، وبعض أرباب المناصب . فأمر كل مقاطعة أن تنتخب وكيلاً عنها ، وتوجهه إلى بيت الدين [٤] .

---

١ ذخائر لبنان ٢٢٠ .

٢ ذخائر لبنان ٢٢١ ومباحث علمية واجتماعية ٣٥٩ .

٣ السر عسكر وهو معناه : رئيس العسكر .

٤ ذخائر لبنان ٢٢١ .

الفصل السادس

من الجزء الاول

أول اجتماع انتخابي في الإقليم :

في صفحة ٧٠ من هذا الكتاب – آخر الفصل الخامس – أشرنا إلى الأثر الذي أحدثته أول انتفاضة في الاقليم : وقلنا : انها كانت الحد الفاصل بين عصر الخفوع والخضوع الأعمى ، وبين عصر الوعي في الاقليم . وكان من نتيجة ذلك الحادثتان التاليتان .

الحادثة الاولى :

فالأولى حصلت في بدء عهد تشكيل القائم مقاميتين . وهي مع أول انتفاضة في الاقليم لا أسانيد لهما . ولا هما مرويتان في سجلات تنقلهما عنها . ولكننا أخذناهما عن أشخاص سمعوهما من آبائهم الذين ردّدوهما أمامهم أكثر من مرة . وأعادوهما أمامنا مراراً . وقد وعيناهما لما في أخبار الأجداد والأوطان من اللذة . ولا سيما إذا كانت منسيةً ومطويةً . ولا ريب في أنه لولا أحاديث المعمرين في كل عصر ، لضاع كثير من حقائق التاريخ الجديرة بأن تُروى . وهذه الحادثة هي :

لما وصل أمر السلطة إلى سكان الاقليم بانتخاب وكيل عنهم ، وتوجيهه إلى بيت الدين ، اجتمع الوجوه في ساحة التيّاب [١] .

---

١ التيّاب عين غزيرة المياه عمرها ١٢٨سنة ، أحمد منصور الحجار . شقيق الحاج ضاهر صاحب=

الحجر المحفور عليه تاريخ البناء ورسم الباني :

وبعد أن تداولوا في الرأي وقلّبوه على جميع الوجوه ، اتفقوا على ارسال أحمد الخطيب الذي كان يومئذ أمام المسجد ومعلم الأولاد في نفس الوقت . نائباً عنهم . وذلك لخوفهم من أن يلقيهم شكيب افندي في غياهب السجون كما فعل بوجوه الدروز . فقد وقّفهم وأدخلهم السجن بعد أن انتزع سلاحهم [1] .

وعندما حضر نواب المناطق كلها إلى بيت الدين ، أعلن التعليمات التي عُرفت باسمه في التاريخ وخلاصتها : تقسيمه لبنان إلى قائمقاميتين . قائمقامية مسيحية ، قائمقاميها الأمير حيدر اسماعيل أبي اللمع ، وأخرى درزية . جعل لها مجلساً مؤلفاً من رئيس وستة أعضاء وسماهم قضاة ومستشارين :

١ً — القائم مقام : الأمير أحمد الارسلاني « درزي وهو الرئيس الطبيعي للمجلس .

القضاة

٢ً — الشيخ محمد الخطيب البرجاوي « سني »

٣ً — الشيخ محمد القاضي من دير القمر « درزي »

= أول انتفاضة في الإقليم المذكورة في الفصل السابق . وقد بنى عيوناً أخرى كعين الحربة سنة ١٢٨٢ وعين يوسف وغيرها . كما يظهر من التواريخ المحفورة فوق هذه العيون . وقد جرت مياه التياب لشحيم بهمة المدير علي أبي خزعل الحجار مدير الإقليم في أواخر القرن التاسع عشر .

١ يقال : انهم لما علموا أن أحمد الخطيب عين مستشاراً في المجلس ، ذهبوا وصرحوا لشكيب أفندي بأن أحمد الخطيب مصري وليس لبنانياً . ولكن عندما تحقق أنهم أميون لم يلتفت لكلامهم.

٤ً — الشيخ بشاره الخوري من رشميا « ماروني »

٥ً — الشيخ حنا الخوري من الشويفات « ارتوذكسي »

٦ً — درويش روزا من دير القمر « روم كاثوليك »

المستشارون

١ً — الشيخ أحمد الخطيب من شحيم « سني »

٢ً — قاسم العرب من برج البراجنة « شيعي »

٣ً — الشيخ يوسف نصر من كفرمتى « درزي »

٤ً — سجعان عون من الدامور « ماروني »

٥ً — ضاهر بو نبهان من راس المين « ارتوذكسي »

٦ً — فارس شكور من عين زحلتا « كاثوليكي »

ويلاحظ أن العضو والمستشار السنيين ، هما من اقليم الخروب ومن برجا وشحيم .

والمشهور أن بيت العرب من البرج سنيُّون ، ولا نعلم لماذا كتب قاسم العرب شيعياً . وقد أخذنا هذا التقسيم من :

١ً — ذخائر لبنان صفحة ٢٢٤ .

٢ً — من أوراق لبنانية مجلد سنة ١٩٥٥ صفحة ٥٢٢ و ٥٢٣ ومجلد سنة ١٩٥٦ صفحة ١٢١ .

٣ً — من مباحث علمية واجتماعية صفحة ٤٨ .

٤ً — من كتاب تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك صفحة ٢٥٣ .

٥ً — من كتاب الدكتور عادل اسماعيل الفرنسي الجزء الرابع ٢٨٥ .

وجعلت طريق الشام القديمة فاصلاً بين القائمقاميتين . وسمّى شكيب افندي رئيس وقضاة ومستشاري هذين المجلسين بنفسه عند تشكيلهما . وجعل مدتهم مدى الحياة . ونرى من المناسب أن نثبت النص الفرنسي الحاوي شروط قبول أفراد هذين المجلسين . وشروط انتخابهم كما ورد في كتاب الدكتور عادل اسماعيل المشار إليه . الذين يسمّون أو ينتخبون البديل في الحالات التي تنتهي بها شرعية العضو هم :

En cas de démission, de destitution ou de décés, des membres successeurs devaient être désignés par leurs chefs religieux respectifs; Ukhal et évêques Les sunnites et les Chihites seraient désignés directement par le Muchir de Saïda en commun accord avec le Caïmmacam et les smembres du Majlis en question .

وترجمة ذلك :

عند استعفاء أو عزل أو موت أحد الأعضاء ، يُسمى البديل كما يلي :

إن كان العضو درزياً ، يسميه العقال . وان كان مسيحياً ، يسميه المطارنة . اما ان كان سنياً أو شيعياً ، فيسميه مشير « والي » صيدا . ويكون كل ذلك بمشاركة وبموافقة القائم مقام وأعضاء المجالس المذكور .

Leur nomination n'entrerait difinitivement en vigueur qu'une fois revêtue du cachet du pacha de Saïda .

وترجمة ذلك :

كذلك لا يعتبر تعيينهم نهائياً وقانونياً ، إلاّ بعد أن يُمهرَ « يذيل » بخاتم باشا صيدا

* * *

أما الشروط التي يجب أن يحوزها — « التي يجب أن تتمثل في » — الطامح لدخول المجلس فهي :

Pour être agréé à paser sa candidature au Majlis , trois conditions étaient requises :

1o être soumis à la juridiction du Caïmmacam du conseil auquel le candidat serait appelé à siéger .

2o N'avoir jamais été au service des agents étragers « consuls en particulier

3o N'avoir jamais prétendu à une protection étrangère pour cause d'association avec un étranger .

وهاكم ترجمتها :

أما الشروط التي يجب أن يحوزها — « تتحقق في » — الطامح لدخول المجلس ، فهي التالية : حتى يصبح طلبه مقبولاً — « مدعوماً » — ، يجب أن يكون قد حاز ثلاثة شروط .

١ً — أن يكون خاضعاً لصلاحية محكمة قائمقام المجلس الذي سيعيّن فيه .

٢ً — الاّ يكون خدم البتة ممثلين أجانب — « خاصة القناصل . . . » .

٣ً — ألاّ يكون قد سعي لنيل مطلق حماية أجنبية مسبّبة من مشاركته مع أي أجنبي كان [1] .

* * *

وهكذا عادت الحادثة الأولى على الاقليم بفائدة كبيرة . فقد أصبح له

١ عادل اسماعيل في تاريخ لبنان . الجزء الرابع . الحوادث من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٨٦٠ . وقد تفرد عادل اسماعيل بهذه التفصيلات الدقيقة التي أخذها عن محفوظات الوزارة الخارجية الفرنسية .

سهم وافر في تسيير أمور الامارة من أول عهد القائمقاميتين . إذ أصبح السكان يجرعون على رفع عقيرتهم إذا جزبهم أمر أو نزلت بهم نازلة كما تثبته لنا الحادثة التالية التي حدثت في عهد القائمقاميتين . وهي : خلاف بين أهل مزبود والدروز بسبب عدم تأدية الأخيرين الضريبة المستحقة على أملاكهم في قرية مزبود واجبار أهلها بدفعها عنهم .

والجدير بالذكر أن الشيء الذي شكا منه أهل مزبود ، كان حاصلاً من قديم . غير أن الأهلين لم تكن لهم الجرأة الكافية لإظهار ظلامتهم إلاّ بعد ظهور الوعي كما قدمنا . وانكسار حدة حكم المقاطعجيه . وإلى القارىء وقائعها مفصلة كما وردت في صفحات ٤١٩ و ٢١ و ٢٢ من مجلة أوراق لبنانية للمؤرخ المنصف البحاثة الثقة : يوسف يزبك في سنتها سنة ١٩٥٧ .

خلاف بين أهل مزبود وآل هرموش وأبو حمزة :

نقلنا هذا القرار عن الأصل المحفوظ بين أوراق الوجيه الشيخ سعيد أبو حمزه . وهو يعطي فكرةً عن الاجراءآت القضائية والادارية التي كانت في عهد القائمقاميتين . وقد فرنجنا التسطير يجري العمل بموجبها .

أمين ارسلان قائمقام جبل الدروز .

« الخاتم غير مقروء »

باره غروش أولاد الشيخ نجم العقيلي ٠٠١١ الشيخ حامد بو حمزة
١٠ ٥٢٥ ١٠٨ وخمس بارات . أولاد الشيخ معروف . ١٠٠ حرمة
الشيخ عبد الله بو حمزة ١٢٨ . وخمس وعشرون بارة .
ورثة الشيخ شبلي بو حمزة ٣٢ . وخمس بارات .

الشيخ أحمد جهجاه بوحمزة ١٠٣ وعشرون بارة . الشيخ عبد الله هرموش وأخوته ١١١ وخمس عشرة بارة . الشيخ فارس هرموش ٨٣ وعشر بارات . الشيخ عبد الخالق ٠٠٦٨ وخمس وعشرون بارة .

٥ ٣٩٩ فقط تسعماية وأربعة وعشرون قرشاً وخمس عشرة
٣٥ ٩٢٤ بارة لا غير .

انه في ٢٤ ل « شوال ٦٧ (١٢٦٧ هجرية) أحيل إلى مجلس شورى جبل لبنان ، عهدة . سعادة عزتلوا فندم قيمقام جبل الدروز ، الأمير أمين ارسلان الأفخم ، دعوى فيما بين :

الشيخ عبد الله بو هرموش ، الأصيل عن نفسه والوكيل الشرعي عن اخوته واولاد عمه الشيخ فارس والشيخ عبد الخالق ، الثابت ، وكالته عنهم فيما يأتي ذكره ، بشهادة كل من الشيخ حامد والشيخ حسين بو حمزة : والشيخ حامد « حمزة » المذكور أيضاً . أصيلاً عن نفسه ووكيلاً عن المشايخ أقاربه ، الثابت الوكالة عنهم بشهادة كل من الشيخ عبد الله أبو هرموس المذكور والشيخ حسين بو حمزة .

وبين وكلا أهالي قرية مزبود وهم : السيد حسين خالد وعلي حسين ومحمود عبد الله ودرويش الشهيّب[1] ويوسف علي يوسف الثابتة وكالتهم عن عموم أهالي القرية المذكورة بشهادة كل من : أحمد عيسى وقاسم الشهيب « الشيب » وياسين السقلاوى وعلي طعمه ، بموجب قايمه معين بها اسامي الموكلين ، محفوضة « محفوظة » بالمجلس .

[1] هكذا وردت في الأصل . والصحيح هي : الشيب كما صححناها بعدها .

فادعوا وكلاء أهالي مزبود المذكورين : بأن المشايخ المرقومين لهم أرزاق في القرية المذكورة وعليها أموال ميريه بنسبه أرزاق الأهالي ، وانه في الخمس سنين السابقة دفعوا لهم بعض الأموال . وفي الست سنين التي بعدها ما دفعوا شيئاً . ويطلبو منهم المحاسبة عن الاحد عشر سنة . ودفع ما هو باقي عندهم .

فسئلوا المشايخ المذكورين ذلك فأجابوا : بأن الأموال الميرية الراتبة على أرزاقهم وأرزاق موكلهيهم دافعينها بموجب وصولات بأيديهم . وانه لم يبقى «يبقَ» عندهم شيء ان ما يطلبوه أهالي مزبود هو زيادة عما يخص أرزاقهم .

وغب مراجعة الفريقين إلى المجلس مراراً ، تشكى المشايخ بأن الأهالي طالبين منهم زيادة عما يخص ارزاقهم وأرزاق موكليهم . وتشكّى الأهالي بأن المشايخ لم يدفعوا الذي عنهدهم على أرزاقهم بتمامه . فطلب من وكلاء أهالي مزبود دفتر خراج قريتهم فأحضروه . فلم يجدوا محررة أرزاق المشايخ فيه . فسُئلوا عن ذلك أجابوا : بأنه في وقت الخراج المذكور ، الذي جرى بمدة حياة الأمير بشير الشهابي ، تخرجت أرزاق المشايخ لوحدها . وانهم بناءً على عدم وجود ذلك الدفتر عندهم فكانوا يوزعوا « يوزعون » على أرزاقهم بموجب الخراج الذي قبله .

فمن ذلك قرر المشايخ المذكورين بأن من هذا التوزيع حاصل عليهم مغدورية . فعند ذلك طلب دفتر الخراج الذي قبله ، المحتوي على دراهم كافة أرزاق القرية المذكورة المختصة بالمشايخ والأهالي . ففي ص « صفحة » ٦٨ ستة ثمانية وستين ، حضروا الفريقين ، وأحضروا الدفتر المذكور وصارت مطالعته في المجلس . فبموجبه تبين بحسب التوزيع : خص كل درهم عشرين بارة عن ميرة واجرة نطاره في كل سنة . وعلى هذا التوزيع قد خص المشايخ

الأصيلين المذكورين وموكليهم كما مرقوم : أعلاه تسعماية وأربعة وعشرين قرش وخمس عشرة بارة عن كل سنة كما محرر مفردات الاسامي أعلاه .

وبناءً على ذلك تعرفوا المشايخ بأن يجروا حساب مع الأهالي المذكورين على الوجه المشروع عن الاحد عشر سنة الماضية . وان الذي منهم باع من أملاكه للأهالي المذكورين فليخصموا عليهم قدر ما يخص المباع من أصل المطلوب من المشايخ المذكورين بموجب تاريخ المبيع . والذي منهم باع لغير أهالي مزبود فليحاسب على هذا الوجه .

وغب المحاسبة على هذا الوجه ومقابلة الواصل وخصم ميرة الرزق ، فالذي يبقى عند المشايخ يدفعوه للأهالي .

ثم وتعرفوا الفريقين بأنه على [المستقبل ينتخبوا مقدّرين اثنين وكتّاب اثنين ، أي الاهالي ينتخبوا كاتب مقدّر ، وليخرجوا كافة أرزاق القرية المذكورة بالعدل والتسوية من دون تمييز رفيع عن وضيع . وعلى موجب ذلك الخراج . يصبر توزيع الأموال الميرية ودفعها إلى أن يتم المسح فيصير العمل بحسب عمليته وقراراته .

وبياناً لواقعة الحال ، روئي بتحرير هذه المضبطة لتعرض لسعادتلو افندم القائمقام المشار إليه الافخم . لكي إذا حسن بأمره الكريم اجراء العمل بموجبها . تحريراً في اليوم التاسع من شهر صفر الخير سنة ثمانية وستين ومايتين وألف ١٢٦٨ .

حررت نسختين بيد كل منهما نسخة ، صح .

عيســــــــــــــــاوين

بنده	بنده	بنده	بنده
بشارة الخوري	حنا الخوري	درويش روزا	فارس شكور

محمد يسّن

بنده[1]	بنده	بنده	بنده
أحمد الخطيب	قاسم العرب	سليمان تقي الدين	يوسف نصر الدين
بنده[2]	بنده		
محمد الخطيب	محمد القاضي	وكيل لمجلس	

أوراق لبنانية : ان تاريخ هذا القرار « ٩ صفر ١٢٦٨ » يصاقب ٥ كانون الأول سنة ١٨٥١ ان الياءآت في آخر الكلمة ومثلها التاءات المربوطة كُتبت في القرار مهملة . فنقطناها . والبارات المذكورة في السطور الأولى كتبناها بالحروف ، وهي في الأصل مكتوبة بالأرقام .

وقد مهر أعضاء المجلس تحت تواقيعهم بأختامهم . وظهرت اختام الأعضاء المسيحيين عادية أي منطبقة على أسمائهم . واما اختام الأعضاء المحمديين فظهرت هكذا : أحمد « أي أحمد الخطيب » — قاسم العرب — الواثق سليمان — (أي سلمان تقي الدين) — يوسف — أي يوسف نصر الدين) — محمد (أي محمد الخطيب) . انتهى .

وبالانتهاء من إثبات هذا القرار كما ورد في الأصل وبغض النظر عن عشرات الأغلاط اللغوية والاملائية وتعابيره العامية ، أكون قد أظهرت تفصيلاً كيف التفتْ الدولة العلية القائمقاميين ومجلسيهما . وماهية الشروط التي أوجبت توفرّها في كل عضو من أعضائهما . وأوضحت ما طواه التاويخ من كيفية الاجراءات القضائية والادارية التي كانت سائدةً طيلة ذلك العهد.

---

١ من شحيم .

٢ من برجا .

الفصل السابع

من الجزء الأول

١ً مسببو حوادث ١٨٤٤ و ١٨٤٥ التي أدّت لحادثة ١٨٦٠ المشؤومة :

٢ً الإجراءات التي اتخذتها الدولة العليا بحق المسببين :

لا مراء في أن حادثة سنة ١٨٦٠ المشؤومة ، لطخة عار في جبين الإنسانية وان جلاء غوامضها وإظهار المسببين واجب تحتمه الأمانة التاريخية ويقتضيه الحق دفعاً لاعتقادات خاطئة ومزاعم باطلة تخفي تحتها الدافعين الأصليين وتنسبها لأناس بريئين منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب . إذ أصبح بمنزلة اليقين عند الناس . أن العثمانيين كانوا سبب البلاء والدافعين لإثارتها .وأراني مضطراً لدحض تلك الفرية . ان أنشر ما خبأته بطون الكتب وأنبش ما أخفته التقارير . وأبدأ بإثبات بعض المقاطع من كتاب الدكتور عادل اسماعيل ذلك الكتاب البعيد الغور ، والمحيط إحاطة شاملة بتاريخ لبنان في ذلك العهد وهو كما قال عنه العقيد لحود : خير كتاب أخرجته المطابع في هذه الأوقات عن لبنان . وذلك لما حواه من أسانيد ثابتة وحجج مُفْحِمَةٍ ، وربط الأسباب بمسبباتها . ومن هذه الشهادات — « المقاطع » . يُعرَف من هم الذين كانوا يدفعون اللبنانيين — من وراء الستار للاقتتال وإزهاق الألوف من النفوس البريئة . حتى جرت الدماء أنهاراً . وعمّ البلاء والفقر . ولنقهر القلم بالوقوف عن الوصف لنثبت رواية الشاعر الفرنسي المستشرق جرار دونرفل ، التي أوردها عادل اسماعيل في كتابه[1] : قال دونرفل : لقد اشتركت شخصياً

---

١ عادل اسماعيل في تاريخ لبنان من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٨٦٠ صفحة ٣١ و ٣٢ .

في معركة بيت مري التي حصلت بسبب قطع أشجار التوت ، بين شعوب يستشف منها المنصف : ان العداوة غير متأصلة في قلوب متحاربين لم يستطيعوا أن يقطعوا وشائج القربى وصلة الرحم فيما بينهم . ولكن المرسلين الإنكليز كانوا يدفعونهم – رغماً عنهم – للاقتتال . حيث كانوا يخطبون فيهم . بينما كان الرهبان الإيطاليون يعظونهم ويستحثون هممهم . ولقد دُهشت فيما بعد ، من إمعان هؤلاء المرسلين والرهبان » في المبالغة في التهويل ، وجعلهم من هذه المبالغات التي كان المبشرون يرمون من ورائها لإشعال نار الحرب بين سكان الجبل . ويرسلونها للغرب ، لإثارة النفوس وتهييج الخوطر والدول[1]
ونقل الدكتور عادل اسماعيل أيضاً في الكتاب ذاته عن الأب اليسوعي كميل روشمنتكس في كتابه : لبنان والحملة الفرنسية إلى سوريا في سنتي ٦٠ – ١٨٦١ قال : هنالك ٣٦٠ قرية هُدمت و٥٦٠ كنيسة دُمّرت و٤٢ ديراً أحرقت . وبلغت خسارة المسيحيين خمسة أو ستة ملايين فرنكاً في فيالج الحرير . كما أن مساحة الجنائن والحقول التي أجتيحت أو قُطِعَتْ أشجارها بلغت ١١٦٣٦٠ كلم مربعاً[2] .

وإذا ما علم القارىء : أن عدد القرى والكنائس التي نهبت ولم تحرق ، لم يتجاوز العشر ، تأخذه الدهشة من هذه التهويلات والمبالغات . وتأخذه دهشة أشد ، إذا ما تحقق أن مساحة لبنان اليوم ، بعد أن ضُمّت إليه البقاع والجنوب وطرابلس وعكار وبيروت ، تبلغ ١٠٥٥٠ كلم٢ فمن أين أتى الأب روشمنتكس بهذه المساحة التي تفوق مساحة لبنان إحدى عشرة مرة؟.. وإليك يا قاريء مثلاً ثالثاً من أحد الآباء العازاريين في الجنوب ، يغطي

١ عادل اسماعيل حوادث ١٨٤٣٠ إلى ١٨٦٠ صفحة ٢٧ .

٢ المصدر والصفحة ذاتهما .

بمبالغته الخرافية على ما ذكرنا . فقد قدّم هذا الأب عريضة مطوّلة للجمعية الوطنية « المجلس النيابي » في باريس عن حوادث ٤٤ – ١٨٤٥[1] نذكر منها :

ان قرية جزين وحدها خسرت ٣٥٠٠٠ رأس بقر غنم وماعز . ونهبت كنيستها وأحرقت بعد أن أتلفت مكتبتها . وسُرقت الأواني المقدسة التي تبلغ قيمتها ٩٠٠٠٠٠ فرنكاً . ولم يبق في هذه القرية حجر على حجر : وشرّد سكانها البالغ عددهم أربعة عشر ألفاً . وأصبحوا بلا مأوى . وحصل الشيء ذاته لـ ١٢٠ قريةً لاقت نفس المصير . ولم يبق للموارنة كنيسة ولا دير ولا مدرسة ولا بيت حتى ولا كوخ من مدينة القدس حتى إنطاكية :

وتأثر النواب بهذه المبالغة الأسطورية . وغلى الدم في عروقهم من جراء حرب الإفناء التي أضرمت على الموارنة . فأحالوا العريضة فوراً إلى وزير الخارجية الذي أرسلها من توّه إلى قنصل فرنسا في بيروت . ولما اطلع القنصل عليها ، كاد يجن من هذا الهراء الخيالي . ورفع – فوراً . تقريراً معجلاً إلى وزير الخارجية المسيو جيزو نقتطف منه :

١ً – إن المبلغ الذي قدّرت به الكنيسة ، لا يتجاوز إثني عشر ألف فرنكاً . رغم أنه ضوعف تقديره .

٢ً – إن ال ١٤٠٠٠ ماروني في جزين ، لا يتجاوز عددهم الحقيقي ١٨٠٠ شخصاً

٣ً – إن القرى الموجودة في المنطقة يبلغ عددها ٤٧ قرية بما في ذلك المزارع التي تحوي عشرة أو ١٥ أو ٢٠ شخصاً .

٤ً – إن عدد قرى لبنان كلها من صيدا إلى طرابلس ، يبلغ ٦٦٥ قرية . وإن القرى التي جرت الحوادث فيها ، لم يتجاوز ال ٣٠٠ قرية .

١ عادل اشماعيل ٢٧ .

وكأني بهؤلاء القسس والمبشرين ، يحسبون الناس عندكم جهلاء وأغبياء يصدّقون هذه المبالغات الولاّدية الأسطورية [1] .

وهاكم مثلاً رابعاً وأخيراً . أورده الدكتور عادل عن الكونت لالمان الإنكليزي المرسل بمهمة إلى سوريا . فقد رفع الكونت المذكور ، للبارون بوركانسي تقريراً مؤرخاً في ٥ – ١٢ – ١٨٤٧ عن الحوادث التي حصلت بين الدروز والموارنة في سنتي ٤٤ – ١٨٤٥ وخلاصته :

قيل : إن هذه الحوادث الدامية وقعت لأسباب دينية وطائفية . وأنا أثبت أنها ليست دينية أصلاً . كما انها ليست حرباً طائفية . وقد أدركت هذا منذ أن وطئت قدماي هذه البلاد [2] .

وهكذا يتضح لنا أن هؤلاء الذين يتسترون بالدين من كل الطوائف ، هم أصل البلاء . وهم الذين يشعلون الشرارة الأولى لإيقاد نار الفتنة . وفي الكتاب عشرات الوقائع من مثل ذلك فليرجع إليه من يريد الإسهاب .

ولا ينفرد عادل اسماعيل في نقل هذه الحقائق الثابتة عن مخزونات وزارة الخارجية الفرنسية وكلها كما قدمنا . لا تدين رجال الإكليروس والمبشرين وحسب . بل تثبت براءة العثمانيين من إشعال نار الحرب بين اللبنانيين . بل يوافقه في ذلك المؤرخ البحاثة الدكتور أسد رستم في كتابه : « لبنان في عهد المتصرفية » . وقد أثبت ذلك بقوله : « كانت تقارير القناصل البريطانيين من بيروت وصيدا وطرابلس ، تعظّم تدخل الإكليروس الماروني في الحوادث الجارية وتحمّله شطراً وافراً من المسؤولية ولا سيما رئيس أساقفة

١ عادل اسماعيل صفحة ١٨ .
٢ عادل اسماعيل ١٨ و ١٩ .

بيروت المطران طوبيا عون [1] .

وفي موضع آخر من كتابه قال :

« قال اللورد دفرون جنرال الحملة الانكليزية وعضو لجنة تسوية الأمور بعد سنة ١٨٦٠ ان قناصل بريطانيا ، شهدوا أن الاكليروس الماروني الكاثوليكيّ ، كان مسؤولاً عما جرى بقدر مسؤولية بعض زعماء الدروز . وانه لم يكن هنالك مذابح ، بل حرب أهلية أثارها المطارنة والبطاركة من الطوائف الغربية لغاية سياسية غير دينية [2] ، ويتابع اسد رستم لإيراد هذه الشهادات المنصفة ، فيصف الصدر الأعظم فؤاد باشا الذي حضر لإصلاح الأمور كما يلي : « كان ذكياً رائقاً ، حازماً ، عادلاً ، مولعاً بالإصلاح إلى درجة الهوس . ومصمّماً على إنقاذ الدولة من مفاسدها . ملحاً بوجوب القضاء على كل استقلال داخلي في جميع أنحاء السلطنة ثم جاء بعد أن كان ما كان ينقذ الموقف [3] . وفي موضعٍ آخر ، يذكر أسد رستم وصية فؤاد باشا لجنوده فيقول : « ان بعض الجنود الفرنسيين والانكليز سيصلون قريباً إلى هذه البلاد ليساعدونا على قمع الاضطرابات فيها . ولا يخفى أن هؤلاء الجنود ، هم جنود الدول التي عاضدتنا بكل قواها في عهدٍ سابق [4] . فعليكم أن تقوموا بواجب الاخوة نحوهم . فأنتم في بلادكم . فاعملوا بواجب الضيافة . . . الخ » .

كذلك كتب لحد خاطر في كتابه : عهد المتصرفين قائلاً :

١ أسد رستم في كتاب به : لبنان في عهد المتصرفين صفحة ٢١ و ٢٢ .
٢ أسد رستم صفحة ٣٠ .
٣ أسد رستم ٢٣ .
٤ أسد رسم ٢٧ بشير فؤاد باشا إلى حرب القرم التي جرت بين العثمانيين والروس سنة ١٨٥٥.

أما فؤاد باشا داهية تركيا المتفوق بعلمه وسمو مداركه ، واقتداره ، فكان يسعى قبل كل شيء إلى اقرار سلطة دولته على لبنان . وملاشاة النفوذ الأجنبي عنه . وللوصول إلى غرضه ، كان يخادع اللجنة ويماطلها ويتهرب من توقيع أي قرار مخالفٍ لذلك الغرض . وقد عرف كيف يسيطر على سائر الأعضاء حتى قيل أنه كان يلعب بهم ، كما يلعب القط [1] بالفأر . . . الخ .

وأما فؤاد باشا ، فلم يكن ليكتفي بالكلام كما قال اسد رستم . بل انه زار قرى روم وجزين وزحلة . وأخذ في ايناس الاهلين وتهدئة خواطرهم . مظهراً كدر الدولة العلية واستياءها مما جرى لهم وحلّ بهم [2] . ثم توجّه إلى دمشق . وهناك تحقق أن القوة الحاكمة لم تكتفِ بأنها لم تحاول ردع المتقاتلين وإخماد نار القتال ، بل مدت هي إلى العمل يداً . وعند ذلك أصدر أمره بشنق الوالي أحمد باشا الذي كان حائزاً على رتبة المشيرية . وأعدم نفراً من القادة ومن أعيان دمشق . بحيث أنصف بين عدد المقتولين من الطائفتين . وشكر الأمير عبد القادر الجزائري وبعض الأعيان لأنهم آوَوْا قسماً كبيراً من المسيحيين في بيوتهم وحموهم [3] . ثم رجع إلى لبنان وألقى القبض على ألف ومئتي رجل من الدروز وعامتهم وسجنهم [4] وكان بينهم سعيد بك جنبلاط . ورغم حسن دفاعه عن نفسه ، وإثبات تجرده ، لم يطلق سراحه وتوفي في سجنه .

ومما يدل على سمو أخلاق فؤاد باشا وحبه للسلام ، ولإطفاء نار الفتنة .

١ لحد خاطر في كتابه : لبنان في عهد المتصرفين صفحة ١٠ .
٢ الحركات في لبنان ١٣٤ .
٣ الحركات في لبنان ١٣٥ .
٤ الحركات في لبنان ١٤٢ .

ما رواه عارف أبو شقرا في كتابه : الحركات في لبنان . قال : ان مسألة إلقاء القبض على من صار توقيفهم من الدروز ، والاتيان بهم إلى المختارة ، قد حدث صباح يوم الأحد . بينما كان النصارى داخل كنائسهم . وفي ذلك حكمة عظيمة من فؤاد باشا . إذ اختشى حدوث أمر لا تحمد عُقباه . فيما لو كان حضور أولئك الدروز ، منقادين إلى السجون . مبعوثاً بهم إلى حيث يلقون العقاب والمجازاة ، ان يطارحوهم المشاتمة أو يعيدوا إمارات الشماتة بهم وما أشبه مما يُفضي إلى التشاجر ، ويذري عن جمار النزاع ، ما قد علاها من رماد أخمد ضرمها واخفى سطوعها : وهكذا كان اخلاء سبيل من أخلي سبيلهم في المختارة ، صبيحة يوم الأحد أيضاً [1] . . . الخ .

تلك كانت أعمال فؤاد باشا — الصدر الأعظم — الانسانية المستحسنة بل المثلى لتسكين الفتن واخمادها . وإزالة المنازعات ، ونزع ما تركته من حقدٍ دفين في النفوس . ومن الغريب ألاّ يذكرها أحد من المؤرخين الذين كتبوا تاريخ لبنان ، إلا من عصم ربك — وليس هذا جديداً . بل هو شأن أكثر واضعي التواريخ اللبنانية ، الذين كانوا يحصرون همهم بذكر الحكام والأمراء والمشايخ وأرباب الأسر الكبيرة الذين لعبوا بعض الأدوار في المجالات المنوّعة . وقد ذكروا عنهم أدق التفاصيل . وكرروا ذكرهم بمناسبةٍ وغير مناسبة . وغالوا في تعظيمهم وتخصيص الكتب بحوادثهم . حتى ملّ الناس مراجعتها . لكن أولئك المؤرخين ، كثيراً ما أهملوا ذكر مواطنيهم من لهاميم الرجال أولي المناقب والمفاخر وأقطاب الفضائل والمكارم . فلم يرد ذكرهم فيها مطلقاً : أو إذا ورد ففي القليل النادر . كما أهملوا ذكر كثير من المقاطعات الكادحة بصمت لرفع شأن الوطن كاقليم الخروب مثلاً . وليس هذا رأينا

١ الحركات في لبنان ١٤٤ .

وحدنا فحسب ، بل قال به مؤرخون آخرون . ونرى إتياناً لذلك ان نورد قول المرحوم أمير بك نصر الدين في كتابه : تاريخ الأمراء آل ناصر الدين . وقد نشره العلامة المؤرخ المنصف ، يوسف ابراهيم يزبك ، في المجلد سنة ١٩٥٦ من أوراق لبنانية[١] .

١ مجلد ١٩٥٦ من أوراق لبنانية من صفحة ٢٨١ فما فوق .

الفصل الثامن

إهمال المؤرخين ذكر إقليم الخروب وتتمة القسم الأول من هذا الكتاب :

قال المؤرخ أمين ناصر الدين في مقدمة كتابه المذكور في آخر الفصل السابع :

« أُلِّفت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، تواريخ خفَيت في أكثرها الحقائق وظهرت الأباطيل . فمن يتصفّحها لا تقع عينه إلا على أضاليل مترادفة ، وجنايات على التاريخ متتابعة فان المؤرخ كان يجاري أولي السلطة الغاشمة مع أهوائهم . فيكتب عنهم في تاريخه ما يريدون ان يكتب . ويرفع الوضيع[١] الذي يُسْني[٢] له الجائزة . ويضع[٣] الرفيع الذي يأبى أن يؤدّي لقول الحق ثمناً . ويُغفل ذكر من لهم مآثر[٤] تُحمد . وأياد بيضاء لا تُكفر . وأعمال عظيمة لا تُحصى . وانساب شريفة لا تُنكر ومن المؤرخين من كان يأبى التنويه بذكر هؤلاء ، أما تعصياً في دين . أو مذهب سياسي يحول بينه وبين إنصاف مخالفيه . واما نزولاً على إرادة قوم يسؤهم أن ينبهَ لغيرهم ذكر . . . الخ واكمل في كلام طويل . فليراجعه هناك من كان يريد صحة الاطلاع على ذلك .

١ المنحط القدر .

٢ يسني : يكبر له الجائزة .

٣ يحط أو يخفض .

٤ مآثر : جمع مأثرة وهي جليل العمل .

وللعلامة يوسف يزبك في مجلد سنة ١٩٥٧ من أوراق لبنانية ، كلام يقرب من هذا معنى وهو : « يقول الفرنجة : ان الشعوب الصغيرة لا تاريخ لها . وهم يريدون : الشعوب الصغيرة بماضيها وقيَمِها لا بأرضها وعددها .

قد تتألف أمة من عشرات ملايين البشر . أو من مئات الملايين . ولكنها لا تترك للعالمين من بعدها أثراً . فتظل صغيرةً لا يذكر التاريخ سيرتها . وقد يتألف شعب من جمهرةٍ قليلةٍ من الرجال ولكنه يزخر بالمآثر الكريمة التي يتركها نوراً للإنسانية . فيدخل هذا الشعب التاريخ من بابه الأوسع . ويكبر في عين الأجيال . وهكذا تراه الدنيا كبيراً وهو قليل . . . الخ .

ولا أرى واقع شعب تنطبق عليه هذه الاحكام كشعب الاقليم . وخصوصاً في آخر عهد المتصرفية . وبالتدقيق في عهد المتصرف اسماعيل [1] حقي الذي تولى متصرفية لبنان في ١٥ / ٥ / ١٩١٦ ومكث حتى ١٤ / ٧ / ١٩١٨ :
وكان هذا المتصرف من أبرز المتصرفين عدلاً وإدارةً ومن أبعدهم نظراً وأعمقهم ثقافةً. وأوفرهم غيرةً على لبنان. وقد استجاب ولبّى رغبة حسين كاظم بك . العالم العثماني الشهير الذي كان علماً من أعلام الدولة العثمانية علماً وسياسةً . فأمر بتأليف موسوعة عن لبنان تضم وصفه جيولوجياً ومناخاً ونباتاً وحيواناً واقتصاداً وما يحويه من الآثار وتضم وصف سكانه تفصيلياً . أديانهم ومذاهبهم وأخلاقهم وعاداتهم وثقافتهم واحزابهم وما فيه من تجارة وزراعةٍ وصناعات وغير ذلك .

وقد اختار لهذه المهمة ألمع أرباب الاختصاص من العلماء اللبنانيين والمقيمين

١ تولى الحكم بعد إقالة علي منيف بك . وهو الذي شقت في عهده طريق العرباة من وادي الزانية لشحيم ولبرجا .

في لبنان وولاية بيروت والذين يُعتبرون بحق من ألمع علماء الشرق يومئذٍ وهم :

١ حسين كاظم بك ٢ الأبوان اليسوعيان لويس شيخو وانطون صالحاني ٤ الفرد راي ٥ داود قربان ٦ الدكتور جورج يوسط ٧ بولس الخولي ٨ الدكتور وليم فانديك ٩ انيس الخوري المقدسي ١٠ منصور جرداق والسبعة الأخيرون هم أساتذة الجامعة الأميركية ١١ المؤرخ الشهير عيسى اسكندر المعلوف ١٢ بولس نجيم ١٣ سليم الاصفر مدير مالية جبل لبنان « يومئذ » ١٤ الفرد نقاش ١٥ ابراهيم بك الاسود المؤرخ الكبير ورئيس تحرير جريدة لبنان الرسمية وغيرهم من كبار موظفي لبنان يومئذ .

وقد كان هؤلاء العلماء عند حسن الظن بهم . حيث جاء هذا الكتاب – كما قال فؤاد افرام البستاني [1] – طرفةً تاريخية لم يوضع مثلها في أيام السلم والحرب والهناء جامعاً كل ما أريد من تأليفه .

ولكن مما يؤسف له ، ان المؤلفين على جلالة قدرهم علمياً وسعة اطلاعهم قد انجرفوا من حيث لا يشعرون في تيار الحركة الانعزالية التي قادها آنئذٍ الأب بولس شيخو والأب انطون صالحاني وعيسى اسكندر المعلوف وغيرهم من هذه الفئة . ولا يخفى أن هدف الفئة الانعزالية منذ وجودها ، هو إخفاء كل مسحة عربيةٍ مهما صغُرَت عن وجه لبنان العربي . ولذلك رأى المؤلفون المذكورون أن أفضل ما يُتحفون به اقليم الخروب الذي هو ناحية كبيرة من لبنان ، والذي تسكنه أكثرية مسلمة تخالف أراءهم وتبين خطلها ، هو عدم الإتيان على ذكره ولو بكلمة واحدة في مؤلفهم رغم أنهم لم يتركوا قريةً ولا دسكرةً ولا حتى مزرعةً من لبنان كله فيها شيء يسير من زراعة

١ في مقدمة الكتاب المذكور مباحث علمية واجتماعية .

أو صناعة محلية ٍ كصنع الصابون ، أو حياكة السجاد ، أو نسج البسط ، أو سلك الأجراس . أو عمل المدى [1] ، أو القصب المزركش ، أو غزل القطن ، أو حل الحرير [2] حلاً أولياً ، أو نسج الديما من القطن والحرير ، أو تقطير الملح حتى أو استخراج الاسفنج . . . الخ .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الوقت الذي ألّف فيه الكتاب وحالة الإقليم في ذلك العهد ، لادركنا أي خطأ مقصود وقع فيه المؤلفون . فقد كان في الإقليم يومئذ ٍ رجالات اسهموا في تسيير الأمور ، لا في لبنان وحسب ، بل في الدولة العثمانية كلها . يكفي ان أذكر : سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة والغابات والمعادن [3] في الدولة العثمانية كلها كما قدمنا . وقد عارض دخول الدولة في الحرب العامة الأولى . ولو عمل يومئذ ٍ برأيه ، لنجت الدولة العثمانية من التمزق ، ولم يذق رعاياها مرارة البؤس والجوع والفقر والتشتت والذل والهوان وكان من رجاله الشيخ ابراهيم يوسف الخطيب قاضي جبل لبنان الشرعي وحسين بك الحجار عضو مجلس إدارة جبل لبنان . وأحمد يوسف الخطيب عضو محكمة استئناف الحقوق في بعبدا . وعبد البديع الخطيب مدير إدارة الديون العمومية والملح وجمرك صيدا . وابراهيم عبد اللطيف الخطيب نائب القاضي ومقسم المواريث لجميع طوائف لبنان . وقد كان فيما أذكر – ولا أبالغ – إذا استعصت قضية تقسيم ميراث في ولاية بيروت كلها الممتدة من اللاذقية إلى يافا وغزة وعريش مصْر ، يؤتى بها إليه فيحلها

1 جمع مدية وهي السكين .

2 بواسطة دولاب الحلالة الذي يسحب الخيط من الفيالج المسلوقة في الخلقين . وقد أدركنا هذه الدوليب في حداثتنا في شحيم .

3 سفر الخالدين ٢٨٦ - و٢٨٧ و٢٨٨ .

بكل سهولة ٍ ويسر . وصدف ان تعقّد تقسيم ميراث المرحوم كامل بك الأسعد [1] في أول عهد الفرنسيين . فأُتي به إلى شحيم فحله بكل يسر مع قاضيه. وكان عبد الجليل الخطيب « مزبود » عضو محكمة الجزاء في بعبدا . وكان أحمد عمر الخطيب « برجا » عضو محكمة الشوف . وكان تامر البستاني « الدبية » طبيب المتصرفية الرسمي . وكان سعيد البستاني « الدبية » محرر جريدة لبنان الرسمية . وكان الشيخ عبد الله البستاني اللغوي المتعمق « الدبية » يُلقّبُ يومئذ ٍ برب اللغة العربية . وكان اليوزباشي الياس شاهين نقولا القزي « جدرا » من قادة الجند اللبناني . كما كان سعيد بك البستاني « الدبية » ميرالاي الجند اللبناني بعد أن رقّي إلى درجة « آلاي اميني » [2] وهي رتبة لم تكن من قبل في سلك الجندية اللبناني وكان فؤاد الخطيب « شحيم » أحد شعراء العرب القلائل عضو الجمعية اللامركزية . وقد حُكِم بالإعدام غيابياً . هذا إلى أن الاقليم له الفخر بانه يضم « يحوي » أكبر دير في الشرق المسيحي على الإطلاق . وكان خليل الكوسى وأخوه موسى الكوسى « جون » طبيبين في الجيش المصري . وكان الكولونيل أنيس العجمي « جون » ضابطاً كبيراً في الحبيس المصري . وغيرهم الكثيرون في القضاء والمحاماة في مصر والبلاد العربية . هذا في ميدان العلم والقانون والإدارة والاجتماع . أما في الصناعة ، فقد كان يومئذ ٍ في شحيم ألف دولاب لغزل صوف الغنم وشعر الماعز المحلول الذي كان يؤتى به من أوروبا وافريقيا الشمالية وسوريا والهند وباكستان والعراق وتركيا فيدخل شحيم محلولاً ثم يُغزل ويُحاك على أكثر من ثلاثماية نول . ويخرج بعد ذلك من شحيم عدلاً [3] وبسطاً وبلساً وشققاً

1 جد كامل الأسعد الحالي رئيس مجلس النواب .

2 سفر الخالدين ٢٣٧ .

3 العدل جمع عديلة وهي كيس متين لنقل الحب . وبسط : جمع بساط للفرس وبلس : جمع بلاس.

واخراجاً ومخالي للزيت . ثم يُحمل إلى كل أنحاء سوريا . أما الشقق فكانت تحمل إلى البدو الضاربين في بوادي سوريا والعراق من جبال طوروس إلى البصرة وعريش مصر .

وكان في برجا أكثر من مايتي نول لنسج الغزليات والخام والحرير البلدي المعروف بـ « السالب » . والديما وغيرها . ثم يحمل كل ذلك النسيج إلى مدن وقرى سوريا – وفلسطين يومئذٍ جزء منها – فيدُّر على خزينة الجبل دخلاً لا يُستهان به .

ولا نعلم السبب الذي حمل هؤلاء العلماء الذين كانوا يومئذ من صفوة علماء الشرق . بل كانوا في الواقع صفوة علماء الشرق ، على أن يتعمَّدوا اهمال ذكر الإقليم ولو بكلمة . وكأنه من غير لبنان . فان كان ذلك جهلاً ، فهو مصيبة . أما إذا كان تجاهلاً « وهو الواقع » فالمصيبة أعظم . وقديماً قال الشاعر :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وبعد فهذا ليس من صفات المؤرخ الحق الذي يجب أن يتحلّى بالإنصاف . ويتطهّر من كل نزعة انجراف تعصف في نفسه . ليكون المؤرخ الحق . وليعلم علم اليقين : أن المؤرخ الحق ، والقاضي العدل يتلاقيان على صعيد واحد . يجريان فيه إلى غاية واحدةٍ هي الوصول إلى الحقيقة والسبيل إليها . في سبيل الفهم وفي نزاهة القصد ، وفي التجرد والحياد ، والمقابسة والمقارنة ، والتدقيق والتحقّق في الأقوال والادعاءات ، والوثائق والمستندات . ليُصدر القاضي أحكامه صحيحة . ويروي المؤرخ وقائعه صادقةً . وإلاَّ انحطَّ من يتصدَّر للحكم عن ان يكون القاضي . وخرج من يكتب للتاريخ عن أن يكون المؤرّخ :

ونختم القسم الأول من كتابنا هذا ، بعد الفراغ من التحقيقات التي جرت في كل ما حدث من قتل وضرب ، ونهب وسلب في حوادث سنة ١٨٦٠ المشؤومة . ونلفت النظر : إلى أن الإقليم يحق له أن يفخر بأنه لم يحدث فيه شيء يكدر طيلة تلك الحوادث والتي سبقتها . إلا ما كان من نجدة بعض أهالي مزبود لقاسم بك اليوسف حماده الذي كان أرسله سعيد بك جنبلاط للمحافظة على أملاك آل جنبلاط في الرميلة وعلمان والبرغوتية وما جاورها . ونذكر هنا لتوضيح ذلك ما كتبه الاستاذ عارف أبو شقرا في كتابه الحركات في لبنان [1] قال :

سار قاسم بك اليوسف حماده ، من المختاره في عشرين خيالاً من أقاربه ومن خولية إلبك أيضاً . للمحافظة على أملاك آل جنبلاط في الرميلة وعلمان والبرغوتية وما جاورها . فانضمَّ إليهم خمسون رجلاً من مسلمي مزبود الموصوفين بشدة البأس . ثم بينما كان قاسم بك المذكور يتمشّى على سطح خان جسر الأولي ، اذبدت له رايات تخفق فوق عسكر يناهز الألفين محارباً . قد جمعه يوسف المبيض من إقليم التفاح ومن بعض قرى بلاد بشارة . كالحجة وعقتانيت والمعماريه وغيرها ومن جهة الكفور والحمراء وخلافها . وتحرك به يومئذٍ من دير بسّين نحو الرميله وعلمان وما جاورهما من أملاك الجنبلاطيين ، بغيةَ إتلافها بالحرق والقطع . تم التقدم نحو الشرق جرياً على الاتفاق الذي عقده بينه وبين بقية القادة المسيحيين . فللحال ركب قاسم بك جواده وقسَّم عسكره قسمين . قاد قسماً بنفسه ، وأمر أخاه أسعداً بقيادة القسم الآخر . وصعدوا إلى سهل بارد قرب البراميه حيث احتدمت معركة شديدة انتصر فيها عسكر الدروز على المبيض وعسكرِه الذي تفرَّق شذَرَ مذَرَ [2] .

١ الحركات في لبنان صفحة ١١٢

٢ الحركات في لبنان صفحة ١١٣ .

الجزء الثاني

عهد المتصرفية

الفَصْل الأول

بدأ عهد المتصرفية بداية سعيدة في لبنان ، وكانت فاتحة أعمال داود باشا[1] ، أول متصرفي لبنان ، وضعه النظام الجديد ، المعروف بالبروتوكول ، والمؤلف من خمس عشرة مادة موضع التنفيذ . وقد منحته الدولة العلية للبنان بعد أن صادقت عليه الدول الأوروبية الست : انكلترا وروسيا وفرنسا والنمسا وايطاليا وألمانيا . وبموجبه أصبح الجميع أمام القانون متساوين في الحقوق . وانهار النظام الذي كان سائداً في عهد الاقطاعية . وخصوصاً في عهد سعيد بك جنبلاط . والذي قبله . حيث كانت بعض القرى الدرزية[2] لم تؤدّ شيئاً أبداً . وأحصيت الأموال الأميرية التي لم يؤدّها آل أبي شقرا وآل أبي عبد الصمد ، فبلغت مائة وأربعين ألف غرش صاغ .

وهكذا ألغيت كل الامتيازات التي كان يتمتع بها الأقطاعيون ومن والاهم . وابتدأ ينعم جميع السكان بالهدوء والراحة منذ مطلع ذلك العهد السعيد الذي كان يُقال فيه : « نيال من له مرقد عنزة في جبل لبنان » .

---

١ يعد داود باشا من رجال الدولة العظام . وهو ورستم باشا واسماعيل حقي من خيرة المتصرفين الذين تربعوا على أريكة المتصرفية .

٢ الحركات في لبنان صفحة ١٤٩ .

التقسيمات الإدارية :

بعد أن انتهى داود باشا استشاراته ، عاد إلى دير القمر . ثم طبق النظام الجديد « البروتوكول الثاني » . وبموجبه جعل في المتصرفية ثلاثة مجالس :

١ً – مجلس الإدارة الكبير . وأعضاؤه اثنا عشر . والعضو السني منهم ، عمر الخطيب من برجا .

٢ً – مجلس وكلاء الطوائف لم يكن فيه أحد من الإقليم :

٣ً – مجلس المحاكمة الكبير . وأعضاؤه ستة وستة وكلاء دعاوي . والعضو السني منهم محمد الخطيب من برجا . والوكيل أحمد الخطيب[1] « الدهن » من شحيم ، وعيّن الأمير ملحم أرسلان ، قائمقاماً للشوف كما عيّن درويش بك القعقور[2] ، أول مدير على الإقليم من بعاصير . وجُعل في قضاء الشوف ، مجلس إدارة . كان العضوان السنيان فيه : محمد الخطيب من « برجا » والحاج محمد شمس[3] . ثم جُعل في الشوف أيضاً مجلس محاكمة على طراز مجلس المحاكمة الكبير كان العضو المسلم فيه : علي أبي خزعل الحجار « شحيم »[4] وأمين قاسم . وكان الكاتبان : الشيخ سعيد تقي الدين « بعقلين » وميخائيل ناصيف[5] من البرجين . واشتمل قضاء الشوف على مئة وثلاث

---

١ أسد رستم في كتابه : لبنان في عهد المتصرفية .

٢ الحركات في لبنان صفحة ١٤٦ .

٣ الحركات في لبنان صفحة ١٤٧ لم نسمع باسمه أبداً . ولم نعرف من أين هو . ولم يذكره مؤرخ غير عارف أبي شقرا .

٤ الحركات في لبنان صفحة ١٤٧ ونظن أن أمين قاسم من برجا إن لم يكن درزياً .

٥ الحركات في لبنان صفحة ١٤٧ .

عشرة قرية واثنتي عشرة [1] ناحيةٍ وشمل قضاء كسروان والبترون ستماية قرية وست عشرة ناحية . والمتن مابة وثمان وسبعين قريةً واثنتي عشرة ناحية . والكورة ثلاثاً وأربعين قريةً وتسعَ نواح .

وهكذا قسّم المتصرف الأقضية إلى نواحٍ . والنواحي إلى قرى . وجعل على كل ناحية عاملاً « مدبراً » وكان مدير الإقليم الأول ، درويش بك القعقور كما ذكرنا آنفاً . وجعل على كل قرية شيخاً واحداً [2] أو أكثر بحسب عدد النفوس . وكان الشيخ محمد منصور الحجار أول شيخ على شحيم .

نقل مركز الحكومة من دير القمر إلى بتدين :

وفي سنة ١٨٦٣ عندما عاد بعض المنفيين من الدروز إلى الوطن ، شجع داود باشا نزوح الدروز عن دير القمر . ثم جعلها ناحية مستقلةً عن الشوف ، مربوطةً مباشرةً بالحكومة المركزية ونزع منها عاصمتها ونقل حكومته منها إلى بتدين بعد أن اشترى سراياها بخمسة آلاف ليرة عثمانية ذهبية من أرملة الشهابي الكبير ، الست حسن جهان [3] . ثم شكل لجاناً عدةً للقيام بأعمال معينة . منها قومسيون المساحة . وقومسيون الأموال المتأخرة . وقومسيون التحقيق في بواقي الأموال الأميرية [4] .

---

١ الحركات في لبنان صفحة ١٤٧ وأسد رستم صفحة ٤٥ .

٢ أسد رستم ٤٥ و ٨٦ هو ابن أحمد منصور الحجار باني عيون التياب وعين يوسف وعين الحربه من ماله الخاص . كما يظهر من الحجارة التي لا تزال فوق هذه العيون . وهو ابن أخ الحاج ضاهر الحجار وصاحب الانتفاضة الأولى في الإقليم .

٣ أسد رستم في ابنان في عهد المتصرفية صفحة ٤٥ .

٤ أسد رستم صفحة ٤٤ ومجمع المسرات .

أما لجنة المساحة التي أوكل إليها أمر مسح الأراضي اللبنانية . فقد تألفت برئاسة الأمير مسعود شهاب وعضوية الشيخ أحمد أمين الدين والشيخ حاتم أبي حاتم . فأسهمت الأرض وجعلت حمل الورق سهماً . وكيل الزيتون سهماً . وبذار مد الحنطة سهماً . وضُربَ على كلّ سهم درهم في المساحة وجعل رسم الدرهم واحداً وعشرين قرشاً [1] صاغاً . وقسم الدرهم إلى أربعة وعشرين قيراطاً . والقيراط إلى أربع وعشرين حبةً . وبقي هذا التقسيم معمولاً به إلى أيامنا . حيث أبطلته المساحة الجديدة .

وهذه اللجنة هي التي أطلقت على سكان لبنان الألقاب سنة ١٨٦٤ . ولا يجوز نشر هذه الألقاب ، لأنها بمعظمها ، تجرح الناس الذين أطلقت على قراهم . مثلاً : واوية الغزار ، البسينات ، البقر ، الفيران ، الجحاش ، الحمير ، الكلاب ، الحوتان ، النوَر ، العجول ، الديوك بمناقيد بولاد لقب أهل « دلهون » . الغنّاجات [2] « لقب أهل شحيم » .

الضابطة :

وتابع داود باشا اصلاحاته وتطبيق النظام الجديد . فأسس بموجب المادة الخامسة عشرة من نظام لبنان الأساسي ، فرقة من الضابطة اللبنانية بنسبة سبعة عن كل ألف من السكان . فبلغ مجموع الضابطة ٩٧ اونباشياً « عريفاً »

---

١ كانت القروش – في الدولة العثمانية – يومئذ نوعين . ١ – القرش الصاغ والقرش الشرك وهو أقل من القرش الصاغ ببارة . وكانت الليرة العثمانية الذهبية مئة قرش صاغ .

٢ روى لنا الشيوخ المتقدمون من المعمرين : إن اللجنة حارت بتسمية أهل شحيم . وبينما كانت تغادر القرية ، سمعت بعض النسوة يصرخن لبعضهن . فأطلقت اللقب . نقلنا بعض هذه الألقاب عن العريف ابراهيم داغر في مجلة أوراق لبنانية ١٩٥٧ صفحة ٢٣٨ و ٢٣٩ .

وَ ١٢ شاويشاً « رقيباً » وَ ٢٣ ملازماً وَ ١٤ يوزباشياً « نقيباً » وآلاي اميني « الاياً احتياطياً » وأميرآلاي واحداً . وكان للدولة مفرزة من جيشها من نوع الدراكون[1] : لا يزيد عدد أفرادها على الخمسين ، تقيم في ثكنة خاصة في بيت الدين . وقد عُرف هؤلاء ، طوال العهد المتصرفي بالحشمة والتهذيب. والامتناع عن أي تدخل في شؤوننا الداخلية[2] .

ومن حسنات نظام لبنان ، فصل جنديته عن جندية الدولة فصلاً تاماً . ومنع العساكر السلطانية من دخول لبنان . إلاّ إذا طلبها المتصرف ووافق على طلبه المجلس الإداري الكبير[3] ونتج من ذلك : انه كان في طول العهد المتصرفي للجند اللبناني ، من الهيبة والسطوة ما جعل استتباب الأمن فيه مضرباً للأمثال ، ومدعاةً لترداد وانتشار العبارة التي ما زالت حتى اليوم شائعةً على الألسن وهي : « نيال من له مرقدْ عنزة في جبل[4] لبنان » .

ولا بأس في أن نروي القصة التالية ، التي أوردها الأستاذ لحد خاطر في كتابه عهد المتصرفين في لبنان والتي تدل على رهبة متصرّفي لبنان وخصوصاً رستم باشا في سوريا كلها . قال :

وفي أوراق لبنانية « السنة التالية صفحة ١٥١ » مقال لمنصور جرداق ، ذكر فيه رواية عن لسان مواطنهِ في ضهور الشوير ، بشاره مشرق والد فارس مشرق المعروف : انه كان مرة في فلسطين في مهمة تجارية جمع من ورائها مبلغاً من المال . ولفت نظره وهو في القدس ثلاثة أشخاص من البدو

١ اسم فرقة من فرق الجيش الفرنسي في المستعمرات أختير لفرقة حرس المتصرف .

٢ لحد خاطر في كتابه : عهد المتصرفين صفحة ١٥ .

٣ لحد خاطر صفحة ٢٣ .

٤ لحد خاطر صفحة ٢٣ .

يتبعونه ويراقبونه . فاهتم لهم وسأل عنهم . فقيل له انهم من قطاع الطرق . وهم يدرسون موقفه حتى إذا ترك المدينة وتوسط أحد الأودية المقفرة ، انقضّوا عليه وسلبوه دراهمه وربما قتلوه .

حينئذٍ خطر له أن يضلّلهم لينجو من شرهم . فأخذ يسأل على سمع منهم عن مدينة الخليل الواقعة جنوباً ، وعن حالة الطرق إليها ، ليوهمهم أن سفره سيكون في تلك الوجهة الجنوبية . حتى إذا تأكد أن اللصوص ، اقتنعوا بقوله ، حزم أمتعته وسافر شمالاً متجهاً إلى لبنان .

ومرّ اليوم الأول والثاني على سفره . وكاد ينقضي اليوم الثالث دون أن يعترضه أحد في طريقه . فاعتقد أن اللصوص ضلّوا السبيل ، وعدلوا عن اللحاق به . فشكر الله . وفيما كان يتضرّع إليه أن يوصله إلى لبنان سالماً ، سمع صوتاً عالياً يناديه ويأمره بالوقوف . وكم كان ذعره عظيماً حينما شاهد فرساناً ثلاثة شاكي السلاح ، هم أولئك اللصوص الذين كانوا راقبوه في القدس ، فأخذوا يقذفونه بالشتائم لأنه خدعهم . ويطلبون منه ما معه من الدراهم ، وإلاّ خطفوا روحه . قال : وكنت أحمل دراهمي في كمر تزنّرْت به . وإذ رأيت المقاومة ضرباً من الجنون ، حللته ودفعتُ به لزعيمهم عن يدٍ صاغرة . وإذ آنستُ انهم سيكتفون بالمال ، ولن يمسوني بأذى ، استجمعتُ شجاعتي وقلتُ للزعيم : خذه لا بارك لك الله به . انه يحتوي على أربعين ليرةً ذهبية . ولكني سأسترجعها من متصرفنا رستم باشا ثمانين .

وعندئذٍ رأيت الزعيم يركز رمحه في الأرض ، ويردّ لي الكمر وهو يقول : « خذه لعنة الله عليك وعلى متصرفك رستم باشا . إذ لم ينقضِ على خروجي من سجن لبنان إلاّ ثلاثة أشهر . فقد قضيت فيه مدة ثلاث سنين

بدعوى سلب وجرح مواطنكم شاهين أبي صالح . نعم انه باستطاعته أن يردّ لك مالك مضاعفاً ويميتنا نحن في السجن »[1] .

حادثة شاهين أبي صالح :

أما حادثة شاهين هذا ، فمفادها انه كان راجعاً مرةً إلى لبنان من تجرةٍ في حوران . فانقضّ عليه في السهل ثلاثة من قطاع الطرق . فقاومهم . ولكنهم تغلّبوا عليه وسلبوه دراهمه . وأثخنوه جراحاً . وبعد وصوله إلى لبنان ، شكا أمره إلى المتصرف رستّم باشا . وبعد أشهر قليلة طُلبَ شاهين إلى مركز المتصرفية لحضور محاكمة قطاع الطرق . وكانت حكومة دمشق قد اعتقلتهم امتثالاً لأمر مشدّد من حكومة الأستانة نزولاً على طلب رستّم باشا . فحكم عليهم بالسجن وبإعادة المال المسلوب مع العطل والضرر والتعويض . وكان أولئك الثلاثة الذين تعرّضوا لشاهين أبي صالح ، هم أنفسهم الذين تعرّضوا لبشاره مشرّق .

تلك كانت هيبة رستّم باشا التي تجاوزت لبنان ووصلت إلى سوريا وفلسطين وجعلَتْ اللبناني في عهده معزّزاً منظوراً إليه بلاحظة الاحترام أينما سار[2] .

وقد برزت انضباطية وشجاعة الضابطة اللبنانية في محاربة يوسف بك كرم الذي خرج على داود باشا في الشمال ، وأبَى قبول أية وظيفة منه . ورغم ما عرض عليه وما منّاه من الأماني بواسطة عيد حاتم وكيل الموازنة

....

١ لحد خاطر صفحة ٥٣ .

٢ لحد خاطر صفحة ٥٤ .

في مجلس الطوائف ، وابن الإقليم فضول البستاني[1] ترجمان المتصرفية لم يستجبْ له . فاضطرّ داود باشا أن يُبرق إلى فؤاد باشا في بيروت . فاستقدمه هذا إلى بيروت وأمر بحجزه في إحدى الثكنات[2] .

وقد لبّى ، يومئذٍ ، بعض رجال الإقليم دعوة داود باشا وانضموا للجيش الذي ذهب لمحاربة يوسف كرم وتأديبه ، تحت إمرة الشيخ أحمد الخطيب الشحيمي « الدهن » الذي أسندت إليه إمامة الطابور . وانتقى أحمد الخطيب المذكور شاباً جلداً من فتيان شحيم اسمه أحمد أبو حمد فواز . فجعله تابعاً ومرافقاً له طيلة هذه الحرب التي ذكرت كيفيتها في مقدمة الكتاب نقلاً عن هذا المرافق برواية أنيس قداح — « أحد رواة المحليّات الموثوقين » . . .

اهتمام داود باشا بالعلم :

قبل عهد داود باشا ، لم يعرف لبنان كله مدرسة غير مدرسة عين ورقة ، والمدرسة التي فتحها الشيخ بشير جنبلاط في المختارة في حارة المشايخ بيت نجم جنبلاط لكي يعلّم ولديْه سعيد بك ونسيب بك . وكان عدد تلامذتها سبعةً ما عدا البَيْكَيْن . وكان معهم الدكتور شاكر الخوري . وكان معلم هذه المدرسة ، الشاعر العظيم الشيخ ابراهيم الأحدب الطرابلسي الذي صار فيما بعد ، كاتب المحكمة الشرعية في بيروت وتوفي في هذه الوظيفة[3] .

....

١ أسد رستم صفحة ٥١ .

٢ أسد رستم صفحة ٥٢ .

٣ مجمع المسرات للدكتور شاكر الخوري صفحة ٢٠ .

لم تُشغل داود باشا ، ثورة يوسف بك كرم عن الاهتمام بأمر التعليم الرسمي ، في بلد طائفي مثل لبنان . فأمر بإنشاء بعض المدارس الرسمية للذكور والإناث في القرى الجامعة يومئذٍ . وأول ما أنشأ في دير القمر مدرسةً للذكور ومدرسة للإناث . كذلك أمر بفتح مدرسةٍ للذكور في شحيم[1] وذلك لأنها أصبحت من أول عهد القائمقاميتين ، أكبر قرية في إقليم الخروب . كما يقول الأب مرتين اليسوعي في كتابه : « تاريخ لبنان » المطبوع ١٨٨٩ : إن إقليم الخروب يمتد من الدامور إلى نهر الأولي . أكبر قراه شحيم[2] .

وشحيم كانت ولا تزال تتمتّع بمزيةٍ فريدةٍ هي : النفور من الهجرة . بل هي نبذ الهجرة والتعلق الشديد بسكناها وعدم مبارحتها البتة لدرجة ان إعدد سكانها تضاعف سبع مرات من أربعين سنة لليوم .

ومن الثابت أن هذه المدرسة[3] ازدهرت منذ افتتاحها . وكان من تلامذتها من الرعيل الأول ، السيد محمد زرزور شعبان الذي أصبح بعد ذلك من حفاظ القرآن ومن الصوفيين[4] . وقد زار ورفاقه عاصمة الخلافة وحصل له شرف المثول بين يدي الخليفة المعظم ، السلطان عبد الحميد خان الثاني فرتّل بصوته الشجيّ أمام جلالته ، عشراً من القرآن الكريم . فسُرّ الخليفة من حسن التلاوة وإتقان أحكام التجويد . فأمر له بجائزةٍ صرفها على نفسه وعلى رفاقه في شوارع اسطانبول[5] .

....

١ لبنان في عهد المتصرفية لأسد رستم صفحة ١٠٩ .

٢ أوراق لبنانية مجلد سنة ١٩٥٧ . صفحات : ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ .

٣ سنفرد لها مبحثاً خاصاً عندما نتكلم عن التعليم .

٤ تثبت هذه الحقيقة ، إضبارة إجازته المحفوظة في يدنا . وقد أجازه مشايخ كثيرون . وقد قدم لنا هذه الإضبارة ولدنا الأستاذ مصطفى محمد السيد شعبان أحد أولاد أحفاد السيد .

٥ نقل لي هذه الرواية ، عمي الحاج قاسم الحاج شحاده المشهور بأمانته وتقواه . وقد كان من مريدي وتلاميذ السيد زرزور المذكور .

الفصل الثاني

من الجزء الثاني

استطراد . اليزبكية والجنبلاطية :

روينا في صفحة ٣٧ من القسم الأول من كتابنا هذا كيفية تألف الحزب اليزبكي ، وذكرنا إسم أركانه كآل العماد وآل تلحوق وآل عبد الملك ، وآل حماده ، وآل حبيش ، وآل الخوري وسواهم . وقد أصبح آل نكد زعماء الحزب بدلاً من آل العماد في عهد الأمير بشير الكبير . وقد تعرّض هذا الحزب لنكبات أعظمها إثنتان :

الأولى : إغتيال الشهيد الشيخ جرجس باز وأخيه عبد الأحد باز سنة ١٨٠٧ في عهد الأمير بشير .

الثانية : وبعد اغتيال جرجس باز الذي كان رابطة العقد بين الجماعات اليزبكية ولا سيما الأسر الدرزية ، انهار التوازن الحزبي للعشائر في لبنان . فذلّت الغرضية « اليزبكية »واستفلحت منافستها الجنبلاطية . وأطلقت يد الحاكم بشير الثاني ، ويد مستشاره الشيخ بشير الجنبلاطي في حكم العباد . فعمّ البلاد طغيان رهيب ، لم تعرف مثله من قبل ، حتى في عهد الجزّار المجنون ، واستباح البشيران كل شيء وليس من يصدهما[1] .

....

١ الأستاذ العلامة يوسف يزبك . في مجلته أوراق لبنانية مجلد سنة ١٩٥٦ صفحة ٤٣٤ .

النكبة الثانية :

ثم لم يلبث شمل اليزبكية أن التأم من جديد . ولم يطل الوقت حتى أصبح زعماء اليزبكية الجدد « آل نكد » في الصف الأول بين الدروز . وأصبح أهل الدير . يجلّون المشيخة النكدية ، خصوصاً بني كليب منهم ، أكثر مما يجلون الحاكم نفسه . ويوثرون طاعتهم على طاعته ، مسلمين لهم مقاليد أمورهم ، منصاعين لأوامرهم انصياعاً شديداً . ولذلك عزم الأمير بشير على الفتك بهم بالاتفاق مع الشيخ بشير جنبلاط .

وصادف أن اجتمع في دير القمر . وفد يضم أكثر عشائر الدروز . وكان أكبرهم سناً الشيخ بشير نكد . وأصغرهم سناً الشيخ بشير جنبلاط . وحينما تعازموا على دخول النادي ، القى الشيخ بشير يده على عضد الشيخ بشير نكد قائلاً : أدخل يا عماه فدخل . فامتعض الشيخ الجنبلاطي . لأن الحق له في الدخول . « إذ التقدم للجنبلاطيين فالعماديين فالنكديين . . الخ ». واتصل ذلك بالأمير بشير ، فاغتنم الفرصة وأوغر صدر الشيخ الجنبلاطي واتفق معه بعد مخابرة بعض العشائر على الانتقام والفتك بآل نكد . ولما كان اليوم المعين ، توافد المشايخ من عماديين وملكيين وتلاحقة ، وعيديين على مقعد الأمير حيث وجدوا المشايخ النكديين بني كليب الأحد عشر جالسين . أما بقية آل نكد ، كبني أسعد أو أبي ظاهر ، فلم يكن منهم أحد . ثم وصل الشيخ بشير جنبلاط في موكب يناهز الخمسماية بين فارس وراجل . فدخل مقفلاً وراءه بوابة السراي . وما أقفلت البوابة حتى أصدر أمره لجنوده بالقبض على الأحد عشر نكدياً . وانتزاع أسلحتهم . فصدعوا بأمره . فتقدّم الشيخ بشير جنبلاط وضرب الشيخ بشير نكد بحسامه فقتله مكتفياً به . ثم

هبّ المشايخ الحضور على العشرة الباقين فأردوهم بالخناجر [١] .

وقد عادت اليزبكية مع الأيام إلى ما كانت عليه سابقاً . فعمّت لبنان كله والشوف خاصة ، وتغلغلت مع الجنبلاطية في الإقليم — لسوء حظه — أيام الأمير بشير وأيام القائمقاميتين من بعده . ونظرنا من مآسيها في القسم الأول من كتابنا هذا ، كيف أحرقت شحيم مرّتين في عهد الأمير بشير ثم ما تلا ذلك في أيام القائمقاميتين من استبداد سعيد جنبلاط وزبانيته في سكان « الإقليم » . حتى أدّى الأمر بالمسؤول عن الحزب اليزبكي . وكان يومئذ الحاج ضاهر الحاج إلى تقديم شكوى لمتسلم بيروت بواسطة مصباح الدنا البيروتي .

وفي أول عهد داود باشا ، استعرت نيران الجنبلاطبة واليزبكية من جديد وآلت زعامة الجنبلاطيين في شحيم إلى حسين قاسم شعبان — « جد الأستاذين حسين ورامز درويش شعبان » . بعد أن توارى عن مسرح الأحداث ، ممثل الحزب الجنبلاطي السابق الشيخ علي شعبان . وقد حدثت في أيام حسين قاسم هذا ، نادرة ذهبت مثلاً . ولا يزال الناس يتندّرون بها ويعيدونها إلى أيامنا هذه . وخلاصتها : أنه كان رجل من أقاربه يسمى : يونس شمّا . وكان مجنوناً جنوناً هادئاً . مشوباً أحياناً بذكاء نادر [٢] . وكان بينه وبين أخيه درويش خلاف على دراهم وفي يوم استدان من أخيه هذا زهراوياً [٣] . ورفض أن

---

١ الحركات في لبنان لعارف أبي شقرا صفحات ٥ و ٦ و ٧ و .

٢ صدف ان لج به الجنون مرة فحبس . ودفع الفضول ، جمهوراً من الناس لمشاهدته . وكان بينهم طفلة من غير حيه وأحد أقاربها مجنون مثله . وعندما شاهدها سألها ؟ لماذا أتيت إلى هنا ؟ أجابته : لكي أتفرج على الأخوت . فقال لها : ارجعي وتفرجي على ابن عمك .

٣ الزهراوي ربع ريال مجيدي وهو عبارة عن بشلكين أي ستة قروش ونصف من العملة العثمانية
١ — الجواب على اقتراح الأحباب لمخائيل مشاقه ٣٤ .

يرجعه له . فشكاه لسليمان حماده « صاحب الإقطاع » الذي كان نازلاً في بيت حسين قاسم شعبان . فحبسه في المعصرة التي كانت السجن يومئذ وجاء زعيمه حسين قاسم شعبان فخاطبه قائلاً : لِيكْ يا يونس : أعطنا الزهراوي لندفعه لأخيك فيطلق سبيلك سليمان حماده . فأجابه يونس شمّا على الفور : لِيكْ يا حسين — « كلمة لِك بالعامية تحقير » — لأيّ سبب سُجن يونس شمّا؟؟ قال له حسين قاسم : سُجن لعدم دفعه الزهراوي . فعندئذ قال له العبارة التي ذهبت مثلاً : عندما يدفع يونس شمّا الزهراوي ، شو بده بواسطة حسين قاسم وعندئذ يصبح بغنىً عنه . ثم شرع يغنّي مطلعاً من الشعر العاميّ ، نرانا مضطرين لإثباته هنا ، لا لبلاغته ، بل لأنه يكشف عن ناحية مهمة اندثرت وامّحت . ولكنها تدلنا على عروبة شحيم وسنشرحها بعد ما نثبت هذا المطلع :

فتشت في عقلي وأفكاري   ألعين إما بتْلاطم المخرزْ

افتشت في عقلي وأفكاري   ومعلقه اجوه الحشا ناري

وصرت أتأسف على داري   دروش[1] مالكهما وفيها فازْ

ادروش امالكها وفازْ فيها   وقال يونس ما ألقوا فيها

ياناس الأسبابْ واقيها   بالحرش مالي مثل بيْت فواز[2]

بالحرش مالي ولا إلي سَندي   ودرويش متقلد بسَيْفٍ هندي

وأمور بيَّ متورخة عندي   عما بداريه مثل حِمل قزار

1 درويش : هو أخوه .

2 آخر عائلة أتت إلى شحيم واستوطنتها قبل آل الخطيب .

يتضح من هذا المطلع أن يونس هذا كان يظن أن زعيمه حسين قاسم يساعد أخاه درويشاً على الاستئثار بالدار من دونه . ولذلك رأيناه يجيبه بلهجة التحقير ذاتها التي خاطبه كما ذكرنا في أعلى الصفحة . وأما قول يونس : بالحرش مالي مثْل بَيْتْ فَواز تفسيرها :

كان في شحيم ، بناء مخصوص يُسمى : المنزول . وكان مؤلفاً من غرفتين وملاصقاً الجامع . وكان قبل أن يُجْعَل مَدرسةً ، معبداً لاستقبال النزلاء « الضيوف » من حيث اكتسب اسمه . وكانت كل عائلة من عائلات شحيم الأساسية — « حجار وحاج وأبو عبد الله وشعبان ومراد ويونس »— تتولى التقديم للنزلاء أي الضيوف شهراً كل ما يحتاجونه من أكلٍ وشربٍ وقهوة ومنامة على عادة العرب الاقحاح ولما تبدّل الوقت ، وتحوّل الناس من حال إلى حال ، وشيد الجامع الحالي بجانب المنزول ، بعد أن هُجِرَ الجامع الأول المعروف بجامع الساحة . جُعِل المنزول مدرسة . وفي هذه الأثناء أتى آل فواز إلى شحيم قسمين : القسم الأول أتى من قرية بسري في قضاء جزين والقسم الثاني ، أي آل ديب وآل دحروج أتى من القرعون من البقاع . ثم لما تعين الشيخ أحمد الخطيب « الدهن » فيما بعد مستشاراً في مجلس القائمقامية كما ذكرنا في القسم الأول من كتابنا هذا ص ٨١ جدّد بناء الرواق الشمالي في الجامع . وثبّت ذلك كتابةً على حجرٍ وَضع في الجدار . وقد أزيل هذا الأثر عندما جُدِّد بناء الجامع بهمة ومسعى الأستاذ محي الدين محمد شعبان .

كذلك تنازل الحاج ضاهر الحجار عن زعامة اليزبكيين في شحيم والاقليم لصهره على أبي خزعل الحجاز الذي استطاع بسبب ذلك ، أن يكون العضو المسلم[1] في مجلس محاكمة الشوف الذي أنشأه داود باشا في مركز القائمقامية

1 الحركات في لبنان صفحة ١٤٧ .

كما مرَّ معنا في الصفحة ١٠٥ من الفصل الأول . وذلك بمساعدة القائمقام اليزبكي الأمير ملحم ارسلان . وهكذا انحاز آل الخطيب وآل شعبان وآل أبي عبد الله وأتباعهم إلى الجنبلاطية . كما انحاز آل الحجار وآل الحاج شحاده وآل يونس إلى اليزبكية وعمّ هذا الانقسام الاقليم بكامله . وكان من نتائجه . أن أدّى هذا التناحُر والتحزّب في شحيم والاقليم إلى التخلف والتأخر اللذين لا نزال نكتوي بنارهما :

تتمة عهد داود باشا :

ولنعد بعد هذا الاستطراد الطويل الذي اقتضاه البحث ، لما كنا فيه من أعمال داود باشا في لبنان . ففي مطلع سنة ١٨٦٢ أسس في عبيه ، بناء على اقتراح سعيد بك تلحوق ، وكيل الطائفة الدرزية في مجلس وكلاء الطوائف الكبير ، مدرسة كبيرة للعلوم العربية واللغات الأجنبية . وجعل مركزها « خاوات » الشيخ أحمد أمين الدين . ودُعيت المدرسةَ الداودية اعترافاً بفضله[1] .

المعلم بطرس البستاني :

وفي عهد داود باشا ، نبغ في الاقليم رجال لهم شأن . نخص بالذكر منهم : المعلم بطرس البستاني[2] الدبيّة . وقد بلغ من العلم والمعرفة ، الدرجة القصوى وحزت في نفسه حوادث سنة ١٨٦٠ المشؤومة خصوصاً بعد أن تحقق أن الطائفية الذميمة كانت شرارتها الأولى . وانها هي السم القاتل للبنان الفتي :

١ الحركات في لبنان لعارف أبي شقرا . صفحة ١٤٧ .
٢ أسد رستم صفحة ١٠٨ .

فهبَّ يقاومها بنفيره[1] وقد قال في عددها الثالث :

« ان الديانة الصحيحة من شأنها أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر . وكل ديانةٍ ليست لها هذه المزيةُ لا تستحق أن تُسمى ديانةً » . وقال في عددها الرابع الصادر في ٢٥ — ١٠ — ١٨٦٠ ما يلي :

« يا أبناء الوطن . نحذركم من أربعة : التعنت والتحكم والتعصب والبطل ، فإنها ليست من الخير في شيء . » وتابع نصائحه في أعداد التغير بعد ذلك محارباً : الطائفية والتعصب الذميم . وشمل نشاطه جميع النواحي ، فهذّب ولطّف عبارات : طنوس الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنان . كما روى لي ذلك المرحوم عارف بك النكدي[2] .

وقد أدرك البستاني الكبير ، وجوب زرع بذور المحبة والوئام في أفئدة صغيرة طاهرة كأفئدة الأطفال . فتنمو بنموّها ويجني المستقبل ثمارها . فأسس لذلك في خريف سنة ١٨٦٣ مدرسةً وطنيةً لا طائفيةً . وقبل فيها الطلبة من جميع الطوائف والمذاهب[3] . والف الكتب المفيدة . وهو أول من ألّف القواميس بعد القدماء . فوضع قاموسه محيط المحيط ، مرتباً ترتباً عصرياً . باعتبار الحرف الأول . ثم ألّف دائرة المعارف حاذياً بذلك حذو علماء الغرب ومجامعه العلمية . وهكذا أسهم الاقليم الطيب التربة بتقدم لبنان ونشر العلم والمعرفة لا في لبنان وحسب ، بل في ربوع الشرق كله . . . الخ .

١ جريدته التي سماها نفير سوريا .
٢ روى ذلك يوم قمت بزيارته — مع الأخ الأستاذ أمين خالد — قبل موته .
٣ أسد رستم صفحة ١١١ .

وقد بقي الاقليم طيلة عهد داود باشا ، معززاً مكرّماً . بعد أن كان نكرة في جميع العهود السابقة وكان فيه كما ذكرنا عمر الخطيب « برجا » عضو مجلس الادارة [1] الكبير ووالده محمد الخطيب « برجا » وأحمد الخطيب « شحيمي » عضوا مجلس الشوف [2] . وفضول البستاني ترجمان المتصرف داود باشا ورسوله لكل مهمّةٍ — ليوسف بك كرم مثلاً . ومديراً لمعارف [3] المتصرفية ومدارسها من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٦٤. وعلي أبي خزعل الحمار عضو مجلس [4] محاكمة الشوف . ودرويش بك القعقور أول مدير على إقليم الخروب [5] . ونصيف لطفي وكيل نصارى اقليم الخروب [6] . وابنه ميخايل نصيف [7] كاتب مجلس ادارة الشوف . وكلاهما من البرجين .

---

١ أسد رستم صفحة ٤٣ .
٢ أسد رستم صفحة ٤٣
٣ مجمع المسرات للدكتور شاكر الخوري ١١٢ وسفر الخالدين ٣٩٢ .
٤ الحركات في لبنان صفحة ١٤٧ .
٥ الحركات في لبنان صفحة ١٤٦ .
٦ الحركات في لبنان صفحة ٦٦ .
٧ الحركات في لبنان ١٤٦ .

الفصل الثالث

من الجزء الثاني

الإقليم في عهد فرنقو باشا :

ودام الاقليم على هذه الحال في عهد فرنقو باشا . بل تعزّز بزيادة . وأصبح مشايخ قراه يتصرفون بوظائفهم بكل حرية . وبحسب منطوق التعليمات التي بأيديهم ، من دون أيه معارضة من الاقطاعيين والقائمقامين والمديرين [1] .

وقد أحدث فرنقو باشا ثلاث وظائف جديدة :

١ً — وكالة المعارف .

٢ً — وكالة أوقاف السنة .

٣ً — وكالة أوقاف الشيعة .

وجعل وكيل أوقاف السنة من اقليم الخروب [2] . لأنه كان يحوي أكبر عدد للسنة في لبنان. ويظهر أنه عيّن الشيخ يوسف الخطيب بن أحمد الخطيب مستشار مجلس المحاكمة الكبير ، وكيلاً للأوقاف في الاقليم . كما سيتضح من محاسبة ناظر الأوقاف الاسلامية التي جرت في مجلس الادارة الكبير أيام المتصرف رستم باشا في ١٢ — ٩ — ١٨٨٠ .

---

١ أسد رستم صفحة ١٢٣ .
٢ أسد رستم صفحة ١٢٧ .

واهتم فرنقو باشا بتجميل الجبل . وأجبر القائمقامين والمديرين والأهلين بتشجير الجبال والأراضي التي لا تصلح للزراعة الفاكهة والحبوب في السواحل ورغم توزيعه أربعة آلاف ومايتين وثمانية عشر مداً من بزور الصنوبر ، ١٠ – ٣ – ١٨٧٢ ، لم يصب الاقليم منها شيء[1] .

أما في الأشغال العامة فقد بنى جسر الرميلة ، وسمّاه : جسر الحمية[2] .

١ً المدارس الرسمية والعلم والتعليم في الإقليم من أيام فرنقو باشا حتى آخر عهد المتصرفية :

٢ً لمحة عن مدرسة شحيم :

وفي خريف سنة ١٨٦٩ ، ظهر نظام المعارف في الدولة العثمانية في ١٩٨ مادةً وخمسة أبواب . يبحث الباب الأول في أنواع المدارس ودرجاتها . الخ وجعل هذا الباب التدريس الرسمي على مراحل ثلاث : رشدية وإعدادية وعالية . فالأولى شابهت تعليمنا الابتدائي . والثانية منهاجنا الثانوي . والثالثة تدريسنا الجامعي[3] .

وقدّر فرنقو باشا قدر المدارس الرسمية وعرف فائدتها لبلد مثل لبنان فأبقى على مدارس دير القمر٣ وشحيم الرسمية التي كان انشأها سلفه[4] . وأضاف إليها مدارس أخرى . وعيّن على جميع المدارس وكيلاً أطلق عليه

١ أسد رستم صفحة ١٣٩ .
٢ أسد رستم صفحة ١٣٩ .
٣ أسد رستم صفحة ١٤١ .
٤ أسد رستم صفحة ١٣٨ .

لقب « وكيل المعارف » . وكانت جميعها رشديةً . على غرار مدارس الدولة . وإليك ما وجدناه في سجلات مجالس الادارة . وتثبت ما خصّ الاقليم[1] منها كما يلي :

اسم البلدة	اسم المدرسة	ذكور	إناث	درجتها
١ً – برجا	مضمار الطلبة	ذكور	»	رشديه
٢ً – زعرورية	انس النديم	ذكور	»	»
٣ً – شحيم	ملتقى الطلاب	ذكور	»	»
٤ً – عانوت	مورد الظرفاء	ذكور	»	»
٥ – مزبود	أثمن النصائح	ذكور	»	»

هذا كل ما وجدناه وعرفناه من كل هذه المدارس . ونظنّ بل نوقنُ أنّها لم تُعْرَف إلاّ في قرار المتصرف ما عدا مدرسة شحيم التي أُخْتِيْرَ لها اسم يوافق حقيقتها . لأن التلاميذ كانوا يأتون إليها من كل قرى الجوار حتى من بعقلين وقد ازدهرتْ منذ افتتاحها كما ذكرنا في صفحة ١١٢ من كتابنا هذا . وعلمنا أنه كان من الرعيل الأول من تلامذتها ، السيد محمد زرزور شعبان وعلي يونس الحجار وحسين محمد قاسم الحجار وعبد اللطيف ضاهر موسى عبد الله وأسعد أبو غليون عبد الله . وأحمد الشيخ محمد منصور الحجار . وقد نال منحةً حكوميةً بواسطة أبيه الذي كان أول شيخ صلح رسمي لشحيم من عهد داود باشا ودخل في المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني . وكان من تلاميذها من الفوج الثاني . والدي حسين الميسو الحجار . وحسين أبي خزعل الحجار

١ أسد رستم صفحة ١٤٤ وسجلات مجلس الإدارة في أقبية المجلس النيابي .

حسن وأحمد ومحمد أولاد الشيخ يوسف الخطيب وهؤلاء الأخيرون نالوا فتحاً مدرسياً للمكتب السلطاني في بيروت بعد تخرّجهم من شحيم . وكان من هذا الفوج أيضاً عبد المجيد العاكوم من بسابا و محمد درويش قاسم شعبان وحسين يونس الحجار وقاسم الحاج شحادة وحسن صالح الحجار ودرويش أسعد حمدان وغيرهم . وأما الفوج الثالث فقد أدركنا أكثر تلاميذه وبحثنا معهم كيفية تعلمهم . فمنهم الشيخ ابراهيم الخطيب الذي صار قاضي جبل لبنان الشرعي فيما بعد وأخوه فريد الخطيب وهذان نالا منحتين للمكتب السلطاني في بيروت . وابراهيم عبد اللطيف الخطيب وعبد الحميد أسعد حمد عبد الله وأمين عبد اللطيف موسى عبد الله ومحمد يونس عويدات وأحمد أسعد ضاهر عويدات ، ومحمد علي أبي خزعل الحجار وعلي عبد الرحمن الخطيب وعبد الجليل الخطيب « المزبوديان » ومحمد علي ملكي الحاج شحاده وعلي محمد المعلم وسليمان بدور من بعقلين . وعلى الاخص محمد علي عبد الملك الحجار وسعيد حسين حمدان اللذين أخذنا منهما كل هذه المعلومات . ويظهر أنهما كانا التلميذين المفضّلين عند استاذ هذه المدرسة الذي كان في أيامهما . وهو العالم الأزهري الجليل ، الشيخ مصطفى الترجمان . ويظهر لنا من معلومات من ذكرنا من تلاميذه في الفوج الثالث ، أنه كان على درجةٍ عاليةٍ في الفقه الشافعي . كما كان من الضالعين في اللغة العربية . وقد أرسل الله سبحانه هذ العالم العامل لهذه المنطقة التي كانت غارقة في ظلام جاهلية شديدة . فغيّر رحمه الله بغزير علمه وحسن تدريسه واخلاصه وناصع ضميره ، جوّها من حال إلى حال . وكانت له حلقات درس دائمة في المسجد تضم الكثير من المريدين وطالبي العلم من شحيم ومن سائر القرى . وجاء بعده الشيخ أحمد بدران وهذا العالم لم يمكث إلاّ زمناً يسيراً في المدرسة . وقد اشتهر عنه أنه كان

يسوق الناس سوقاً لاقامة الصلاة في المسجد[1] . وفي يوم الجمعة خاصة كان يحمل عصاه ويدور في شوارع القرية ليأخذ من تخلّف عن الذهاب لشهود الجمعة وسماع الخطبة[1] . وقد خلفه العالم الأزهري ، الشيخ عبد الغني الانثي البيروتي . وقد أدركنا آخر عهده . ودرسنا عليه كتاب الأساس في الفقه الشافعي للشيخ رجب جمال الدين البيروتي . وكتاب العقائد والتوحيد أيضاً وكتاب الكفراوي ومتن الاجرومية . وقد اشتهر هذا الشيخ في شحيم والاقليم بلقب : شيخ النحو . وبقي مدير المدرسة حتى نهاية سنة ١٩١٤ . كما أدركنا معلم المدرسة الثاني الشيخ أبا علي محمد الخطيب وابنه الشيخ سعيد الخطيب من بعده :

وفي سنة ١٩١٥ جدّدت الدولة العلية المدرسة وجعلتها مدرسةً رشديةً حقاً . وسلّمت ادارتها للشيخ محمود البربير بعد أن نقلته من مدرسة برجا واتت بالمعلم نقولا الصابونجي خريج اليسوعية معلماً للغة الفرنسية في المدرسة .

وفي سنة ١٩١٦ وسّعت المدرسة وزادت عدد معلميها على النحو التالي :

١ً – المدير : شفيق حسن الخطيب ومعلم اللغة التركية والرياضيات خريج المكتب السلطاني في بيروت .

٢ً – نقولا الصابونجي معلم اللغة الفرنسية خريج اليسوعية

---

١ تروي نادرة عنه بهذا الخصوص ، لا يزال الناس يذكرونها لأيامنا هذه . انه بينما كان يدور ذات جمعة ، شاهد في محلة بوابة الزقاق ، رجلا اسمه محمد غاليه عبد الله . ولما هم بضربه بالعصا ، ناداه رجل من آل شقور الحاج شحاده – كان هنالك على السطح قائلا : لا . لا يا شيخ . هذا من الشميس فتركه . وعندما ابتعد عنهما قال محمد غاليه . يعمر دينك يابن الشقور . لو وجد أحد من أقاربنا هنا ، لكان قلو : خدو عالصلا هالكلب خاذ .

٣ً — فؤاد سليم   معلم اللغة العربية والخطابة   خريج الكلية الأميركية

٤ً — عبد الرؤف الخطيب   معلم الرسم والأشغال والرياضة خريج المكتب السلطاني

٥ً — محمد العيتاني   معلم الدين والأخلاق

وفي أوائل السنة ، جاء رجل العلم والمعرفة نوزاد بك مدير معارف جبل لبنان وأمين سره رفعت الخطيب « شحيم » وأمر بإجراء مباراة لمدرستي شحيم وبرجا « ولم يكن في الإقليم سواهما » ففاز من شحيم سبعة تلاميذ : حسين درويش شعبان ومحمد ميسو حجار « والمؤلف » وأحمد شريف عويدات والمرحومون حسن قبلان الحاج شحادة وحسين يونس الخطيب وجميل حمدان وحسن محمود الخطيب « مزبود » وفاز من برجا : محمود سعيد الخطيب ورشيد وأمير الحسامي . وفاز ثلاثة من برج البراجنة : جميل جلول ومحمود صفا وعادل رشيد . وانتقى نوزاد بك عدداً مماثلاً من تلاميذ المسيحيين في مدارس جبل لبنان . ثم فتح المكتب الاعدادي [1] اللبناني . واتخذ له مقراً في مدرسة الفرير في جونيه حيث كانت اقفلت في أول الحرب الكبرى الأولى .

وفي نهاية سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ المدرسية جرى الامتحان كالمعتاد في المكتب الاعدادي ففزت أنا وحسين شعبان وتلاميذ جبيل فقط . ورجعنا وحدنا للمكتب الاعدادي . وفي أوائل سنة ١٩١٨ — ١٩١٩ المدرسية دخلنا في أوائل أيلول المكتب الاعدادي ومكثنا لأواخر تشرين الأول سنة ١٩١٨ حيث أقفل المكتب أبوابه لمغادرة الاتراك هذه البلاد . وكان حسني بك جرّب أن يأخذني لمدارس استنابول فلم ترضَ والدتي .

١ مباحث علمية واجتماعية ٥٩٦ .

أما مدرسة شحيم ، فقد أضيف إليها سنة ١٩١٧ بعد تخرجنا منها كل من حسيب عبد اللطيف الخطيب وعزات محمد الخطيب من خريجي دار المعلمين التركية .

وأما مدارس الاناث ، فلم يكن لها وجود في الاقليم في عهد المتصرفية اللهم إلاّ مدرسة دير المخلص للراهبات .

وفي سنة ١٩١٥ فتحت الدولة العلية مدرسةً للاناث في شحيم واختارت لها المعلمتين :

١ً — هند حسين الحجار خريجة كلية التربية للبنات في استانبول لصاحبها المربي الكبير ساطع الحصري .

٢ً — ادال عبد اللطيف الخطيب .

ثم أضيف لهما بعد ذلك :

١ً — كلفدان حسين الحجار خريجة مدرسة الانكليز في بيروت .

٢ً — مهيبه يوسف الخطيب خريجة مدرسة شحيم للذكور .

وفي آخر أول سنة من سني هذه المدرسة ، أجرى نوزاد بك مباراة للتلميذات ففاز منهن ثلاث : خديجة أحمد عبدو الحاج شحاده وآمنة أحمد الحجار ونازك عبد الحميد الحجار فأدخلهنّ في اعدادية جبل لبنان التي فتحها في قرية عاريا . بادارة خانده أديب خانم مديرة مكاتب الاناث في سوريا [1] .

هذا ملخص تاريخ التعلم في الاقليم حتى آخر عهد الأتراك . أما المدارس

١ مباحث علمية واجتماعية صفحة ٥٩٦ .

التي ذكرناها في جدول فرنقو باشا في الزعرورية وعانوت ومزبود فلم تفتح أبوابها في ذلك العهد . حتى أن مدرسة برجا نفسها لم تفتح أبوابها رسمياً إلاّ في أواخر سنة ١٩٠٠[1] . ولم يخصص لها إلا الشيخ محمود البربير . وفي سنة سنة ١٩١٦ وُسّعت فأصبح عدد معلميها كما يلي :

المدير : الشيخ محمود البربير . أما المعلمون فكانوا : صلاح اللبابيدي خريج الجامعة الأميركية وبكري البيروتي وعبد المجيد العاكوم « بسابا » .

وقد أقفلت مدرستا شحيم للذكور والاناث ومدرسة برجا للذكور أبوابها عند مغادرة الأتراك هذه البلاد .

وربما يستغرب القارىء توسّعنا في ذكر كل ما كان من التعليم والمدارس في الاقليم بهذا التفصيل . بل ربما يحسبه أيضاً حشواً وغثاً ، ولكنه متى علم أننا نقصد من ذلك : دفع النقد الظالم الذي يوجهه المؤرخون ومتّفقو هذه الأيام للأتراك ، ورميهم اياهم بالتعصب الذميم وتجهيل الشعب ، يزول استغرابه ، بل يعطينا الحق في ذلك وسنعود لذكر التعليم في عهد الفرنسيين ، عندما نصل لذلك العهد .

١ نقلا عن أستاذها المرحوم الشيخ محمود البربير .

الفصل الرابع

من الجزء الثاني

الإقليم في عهد رستم باشا :

أول بادرة بدرت من رستم باشا عندما باشر بممارسة مهام مأموريته ، اصداره أمراً بمنع القواس واحراق البارود في الأفراح والاستقبالات وما شابه ذلك[1] في ١٤ ـ٦ ـ ١٢٨٩ مارتيه و ٢٦ ـ ٦ ـ ١٨٧٣ م . وهذه يد يشكر عليها . لأن عمله هذا يدل على الحكمة والتعقل وحفظ هيبة السلطة . وفي الوقت ذاته لخير الشعب .

وقد كان للاقليم صوتٌ داوٍ وتأثير في الأحداث في عهده . فقد هبّ ابن الاقليم البار سيادة المطران بطرس البستاني « الدبيّة » وأخذ يعمل مع مطران بيروت يوسف الدبس ومطران قبرص يوسف جعجع ، لحصر السلطة في يد متصرف لبناني بدلاً من المتصرف اللاتيني الغريب عن لبنان . ورأوا أن خير من يليق بهذه الزعامة هو يوسف بك كرم .

وكان ما كان من انقسام الرهبنة اللبنانية وخروج بعض أفرادها . فضاق صدر المطران بطرس . وعلا صوته محتجاً على أعمال البطريرك بولس مسعد والمتصرف . واستغلّ تذمّر الأهالي من الضائقة الاقتصادية والجدل الذي

١ أسد رستم صفحة ١٥٤ .

قام بين أعضاء مجلس الادارة وبين المتصرف حول إعفاء الأهالي من « البقايا المتأخرة » منذ سنة ١٨٦٠ حتى ١٨٧٣ ، وحول ضريبة الأوراق الصحيحة والتمفيه[1] . فجعل أبناء أبرشيته وبعض من والاه من الدروز كآل أبي عبد الصمد . مثلاً يقدمون العرائض إلى الباب العالي وإلى قناصل الدول يشكون بها المتصرف مدعين أنه نقض عدة مواد من نظام لبنان[2] .

غير أن المتصرف الذي رأى أن القسم الأوفر من الأهالي والبطريرك معه ، أوعز بتوقيع عرائض شكر وامتنان . وأبرق أعضاء مجلس الادارة في العاشر من أيار سنة ١٨٧٨ إلى مقر الصدارة العظمى ، بأن تصرفات دولة المتصرف موافقة للعدل والنظام . وانه لاهم له إلاّ مراعاة الشرع والنظام والسهر على الراحة العمومية[3] . وزاد الطين بلة أن قنصل فرنسا تشرّب أمورا جعلته يحنق على المطران بطرس . فرأى أن صالح دولته فرنسا ، كان يقضي بصيانة الراحة في لبنان. وان صيانة هذه الراحة كانت تتوقف على إبعاد المطران. فأبرق إلى سفارة دولته في الأستانة العلية بوجوب إبعاد المطران عن لبنان ووافقه في ذلك ، زميله الانكليزي . فوافقا أي سفيرا فرنسا وانكلترا على ابعاد المطران الماروني. وفوّض الباب العالي المتصرفَ بذلك . فأبعده في ١ — ٦ — ١٨٧٨ إلى القدس الشريف[4] .

ثم أمر باستجواب كل من وقّع عرائض الشكوى أمام مجلس الادارة

١ أسد رستم صفحة ١٦٢ .
٢ أسد رستم صفحة ١٦٣ .
٣ أسد رستم صفحة ١٦٣ .
٤ أسد رستم صفحات ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ .

الكبير ، كما أمر بعزل جميع أعضاء بلدية دير القمر واستبدالهم بغيرهم[1] لمناصرتهم المطران بطرس .

وبعد مضي خمسة أشهر على إبعاد المطران عاد إلى لبنان على متن باخرة فرنسية نقلته من يافا في التاسع من تشرين الثاني من السنة نفسها . وبعد رجوعه خفّت حدة مقاومته للمتصرف .

ويطيب لنا أن نذكر في تاريخنا هذا لمحة مختصرة عن تاريخ هذا المطران الذي يعتز ويفتخر الاقليم بكونه من أبنائه . فقد كان رئيس أساقفة صور وصيدا . وكان — بحكم مركزه — أقرب المطارنة لمركز الحكم في لبنان ونذكر رأي المتصرف رستم باشا خصمه اللدود فيه . ورأي الشيخ محمد الحوت . وقد ولد في الدبية سنة ١٨١٩ وسامه المطران يوسف رزق رئيس مدرسة عين ورقه كاهناً سنة ١٨٤٢ . واتخذه البطريرك بولس كاتماً لأسراره سنة ١٨٤٥ . وأصبح مطران صور وصيدا[2] سنة ١٨٦٦ بعد موت عمه المطران عبد الله . وقد أفزعه حصر السلطة الادارية في المرتبة الثانية في الشرق بيد قائمقام درزي ، أمير غني كريم . « الأمير ملحم ارسلان » . فعمل مع الست بدرمان الدين ، أرملة سعيد بك جنبلاط على زحزحته من مركزه وتعيين الأمير مصطفى الأمين الذي كان لا يزال في مقتبل العمر ، قائمقاماً مكانه : فكان لهما ما أرادا . وما أن تسلّم الأمير مصطفى المذكور أزمة الحكم حتى أدرك المطران خطأه . إذ وجد الأمير الجديد عالي الهمة شديد الذكاء ، فصيح اللسان ، قوي الحجة . جريئاً قاسياً .

١ أسد رستم صفحة ١٦٥ .
٢ أسد رستم من صفحة ١٦١ إلى ١٦٥ وسفر الخالدين من صفحة ٢٥٣ إلى صفحة ٢٦١ .

ورغم العداوة الشديدة التي كانت بين المطران ورستم باشا، كبير متصرفي[1] لبنان كما ينعته أسد رستم بذلك ، نرى هذا المتصرف بقدر المطران بطرس كل التقدير . حتى أنه عند مغادرته لبنان قال لقد نشأت بيني وبين المطران خصومة شريفة بين خصمين كفوئين . يضمر كل منهما لصاحبه من العداء والبغضاء بمقدار ما يُضمر له من الاحترام والتقدير. وكان لا يأتي على ذكره إلاّ مقروناً بعبارات التوقير[2] . حتى انه عندما سُئل مرةً : من هم أعظم رجالات لبنان ؟ أجاب : كما رواه لحد خاطر بالحرف .

ان المطران بستاني رجل لبنان الأوحد ، الكامل الرجولة . وقد أدّى هذه الشهادة بعد ذهابه من لبنان فقال : ليس في لبنان الا رجل ونصف رجل » قيل له : ومن هما ؟ قال : الرجل هو المطران البستاني ، ونصف الرجل هو الأمير مصطفى ارسلان[3] » .

وقد شاعت كلمته تلك في البلاد ، وما زال أكثر اللبنانيين يتناقلونها عنه عن لسانه حتى اليوم .

ورُويَ عن الشيخ محمد الحوت عين الأمة الإسلامية في زمانه انه قال : « لو كان عندنا عشرة في لبنان من أمثال المطران لعاش اللبنانيون جميعهم في أمان وهناء[4] .

وبإخلاد المطران بطرس للراحة، وإقلاعه عن مقاومة المتصرف، خلا الجو

....

١ أسد رستم صفحة ٢١٠ .

٢ لحد خاطر في عهد المتصرفين صفحة ١٣٤ .

٣ لحد خاطر ٦٦ و ١٣٥

٤ لحد خاطر صفحة ٦٨ وسفر الخالدين ٢٤٢ و ٢٤٣ .

لهذا الأخير للاهتمام بشؤون المتصرفية . ففي سنة ١٨٧٣ ، كان عمر الخطيب «برجا » عضواً عن السنة في مجلس الادارة الكبير . وبعد ذلك استقال يوسف البيطار أحد أعضاء هذا المجلس . فأمر رستم باشا بانتخاب فارس الخوري كرم مكانه . كما أمر في هذه الفترة عينها بتحديد انتخاب عضو عن السنة في قضاء الشوف وعضو آخر عن الروم في قضاء المتن. فجدد انتخاب عمر الخطيب عن السنة كما انتخب أسعد الخوري عن الروم محل نجم أفندي الأسود .

ولا يزال مجلس الادارة يحفظ لنا خلاصة العريضة التي تقدم بها قائمقام الشوف ليرفع نتيجة الانتخاب الذي تمّ في قضائه . وها هي ذي العريضة .

« غب الاحالة صارت مطالعة المعروض المتقدم لا عتاب دولته من رفعتلو[1] قائمام الشوف . المؤرخ في ١٦ رجب سنة ١٢٩٦ وفي ٢٧ اغستوس سنة ١٢٨٩ مارتيه « يوافق ١٨٧٣ » والعر ضحال الذي طيه من كافة مشايخ قضاء الشوف المتضمن انه لدى اجتماعهم في مركز القائمقامية لانتخاب عضو مجلس الادارة ، وتبلغهم مال أمر دولته الشريف بأن كل « كلاً » منهم له الحرية التامة بأن ينتخب العضو الذي يراه موافقاً لهذه المأمورية .

وغب ذلك صار وضع عليةٍ مخصوصةٍ وأخذ أكل شيخ منهم يحرر بورقة صغيرة اسم ذلك الشخص الذي يصرح بانتخابه — ويختم علبها بختمه الرسمي ويضعها بيده ضمن العلبة .

وأخيراً صار فتحها بحضورهم وحضور رفعتلو القائمقام ومأموري المحكمة . فوجدان ثمانية أصوات لعلي أفندي أبي خزعل « الحجار » واثنين

....

١ صاحب الرقعة .

وثمانين صوتاً إلى مكرمتلو[1] عمر افندي الخطيب . وانه وقع الانتخاب المرقوم بتمام رضاهم واختيارهم . ويسترحمون ابقاء عمر افندي الخطيب عضواً بالمجلس لكون به الاهلية واللياقة لهذه المأمورية .

وبناء عليه ، وجد ان انتخاب عمر الموما إليه هو اصولي وموافق إلى النظامات السنية ولذلك صار قيده بقيود المجلس . وإذا تحسّن بالادارة صدور الأمر الشريف جواباً لرفعتلو القائمقام افادته بقبول انتخاب الافندي المرقوم عضواً للمجلس وأن يبلغ الكيفية لمشايخ القضاء . وبكل الأحوال الأمر لمن له الأمر[2] .

وعاد المتصرف إلى الانتخاب في ربيع سنة ١٨٧٧ . فامر بإجراته في المتن والشوف وكسروان لمقاعد الدروز والسنة والموارنة . فشرّف المجلس في السابع عشر من نيسان سنة ١٨٧٧ وفتحت الصناديق بحضوره » فنال الأكثرية حسن افندي شقير عن دروز المتن . ودرويش افندي القعقور عن سنّة الشوف . وفارس الخوري كرم عن موارنة كسروان[3] . وسقط عمر الخطيب .

وفي التاسع عشر من نيسان سنة ١٨٨٠٠ أعيد انتخاب عضو السنة في قضاء الشوف ففاز عمر افندي الخطيب بستةٍ وثمانين صوتاً مقابل خمسة أصوات فقط لمناظرة القديم على افندي أبي خزعل الحجار . وحلّ محل درويش افندي القعقور الذي توفيَّ فيما يظهر في هذا التاريخ[4] .

---

١ مكرمتلو : كلمة تركية معناها صاحب المكرمة .
٢ سجلات مجلس الإدارة المحفوظة في أقبية المجلس النيابي وأسد رستم ١٧٠ و ١٧١ .
٣ أسد رستم صفحة ١٧١ .
٤ أسد رستم صفحة ١٧١ .

يلاحظ أنه جرى انتخاب عضو السنّة ثلاث مرات بمدة أربع سنوات ففي الأولى سقط علي افندي أبي خزعل الحجار « اليزبكي » وفاز عمر الخطيب الجنبلاطي . وفي الثانية ، سقط عمر الخطيب « الجنبلاطي » ونجح درويش الأحمد القعقور « اليزبكي » وسبب ذلك أنه كان مدير الاقليم . فكان له تأثير على مشايخ الاقليم . وفي الثالثة نجح عمر الخطيب « الجنبلاطي » وسقط علي أبي خزعل الحجار « اليزبكي » .

ونرى من الأنصاف ، أن نوضح الملابسات التي كانت تحيط يومئذٍ بالانتخابات . ليظهر لنا سبب نجاح الفائز . وعلة سقوط الخاسر .

ولإيضاح ذلك نرجع إلى شهود عيان عاشوا تلك الحقبة ، وراقبوا حوادثها فقد نقل الدكتور أسد رستم عن كتاب مجمع المسرات للدكتور شاكر الخوري ، وصف عملية الانتخاب وما أحاط بها فقال « إن هذه الانتخابات كانت تتم في آول الأمر حسب رغبة المتصرف. فإنه كان يحرر إلى القائمقام ، انه يريد فلان « فلاناً » . فيجمع القائمقام مشايخ القرى ، وينقل إليهم رغبة المتصرف . فينتخبون من يريده المتصرف .

ويقول الدكتور شاكر الخوري أيضاً : ان المتصرف كان في هذه الفترة الأولى يحسن الانتخاب أكثر بكثير من المشايخ انفسهم . وانه كان يصدف في بعض الاحيان أن يتخلوَ مركز المتصرف . فيقوم مقامه وكيل الرئاسة بالتعاون مع المجلس . فيسيء هؤلاء العمل وتتأسف الناس . لأن صاحب الحاجة يمكنه بإرضاء واحد كالمتصرف . ولكن لم يكن بمقدوره أن يرضي اثني عشر عضواً . ويخلص الدكتور شاكر إلى القول . بأنه عندما أعطيت الحرية للمشايخ لانتخاب من شاؤا ، صارت الدراهم المنصرفة هي المتصرّفة فخسر لبنان شأنه .

وقد يكون في هذا شيء من المغالاة . ولكنه قول هام لأنه صدر عن رجل عرف لبنان واللبنانيين جيداً . وتعرّف إلى المجلس عن طريق والده يوسف الخوري الذي مثّل فيه موارنة جزين ثلاث دورات متتالية[1] » انتهى .

فيا ليت شعري . ماذا كان يقول الدكتور شاكر عن انتخاباتنا ، لو عاش إلى زماننا هذا ، وشاهد بأم عينه كيف تشرى وتُباع الضمائر على المكشوف وبطريقة المزاد ، ويتابع الدكتور أسد رستم إبداء رأيه في الناخب الذي كان يومئذ شيخ القرية فيقول « ويبدو لنا أن الناخب اللبناني — شيخ القرية — كان في غالب الأحيان نصف أمّي يجهل الديمقراطية وأساليبها . بل أكثر من هذا . كان قد عاش قروناً طوالاً بعيداً عن الحكم والحكومة . يخشى سطوة الحاكم وظلمه . ويعتبره غريباً عنه بعيداً عن الاهتمام بشؤونه . وكان علاوة عما تقدم ، لا يرى في الحكم سوى وسيلة للإثراء[2] . « انتهى . » .

وإذا أمعنا النظر في نتيجة انتخاب عمر الخطيب ، وعلي أبي خزعل الحجار ، نستنتج أن مشايخ قرى الإقليم يومئذ ، كانوا يتمتعون بقسط لا بأس به من حرية إبداء الرأي . فرغم إرادة المتصرف وإيعازه بانتخاب عمر الخطيب ، رأينا علي أبي خزعل الحجار ينال ثمانية أصوات في المرة الأولى وخمسةً في المرة الثانية . ولكني أرى أنه كان هناك سبب آخر لنيل علي أبي خزعل هذه الأصوات رغم إرادة المتصرف ، وهو كون القائمقام الأمير مصطفى الأمين — قائمقام القضاء يومئذ — بصفته رئيس الحزب اليزبكي ، كان يدعم علي أبي خزعل المذكور حتى نال هذه الأصوات ، وربما بطريقة سرية .

---

١ أسد رستم صفحة ١٧٢ .

٢ أسد رستم صفحة ١٧٢ .

تتمة أعمال رستم باشا في الإقليم :

لما نجح درويش أفندي الأحمد القعقور ، وسقط عمر الخطيب في السابع عشر من نيسان سنة ١٨٧٧ ، عين رستم باشا الأخير مدبراً على إقليم الخروب ثم لما توفي درويش الاحمد القعقور ونجح عمر الخطيب في التاسع عشر من نيسان سنة ١٨٨٠ ، وسقط علي أبي خزعل الحجار ، عيّنه المتصرف مديراً على الإقليم . وفيما يلي ، صورة البيورلدي[1] المرسل لعلي أفندي أبي خزعل الحجار :

وهذا نصه :

رستم
متصرف جبل
لبنان

افتخار الأماجد والأعيان المنصوب بأمر متصرفنا مدبراً على ناحية إقليم الخروب فتوتاو[2] علي أفندي بو خزعل زيد مجده .

المنهى إليكم :

بناء على تحويل مأمورية عمر أفندي الخطيب مدير ناحية إقليم الخروب إلى عضوية مجلس الإدارة بمقتضى الإنتخاب القانوني الذي جرى مؤخراً في قضاء الشوف وعلى الإنهاء المتقدم لنا من قائمقامية القضاء المذكور بلياقتكم وحسن استقبالكم واستعدادكم لهذه المأمورية ، قد عينّاكم فيها بمقتضى السلطة الممنوحة لنا في متصرفية جبل لبنان من لدن حضرة مولانا وولي نعمتنا

١ البيورالدي : كلمة تركية معناها أمر التعيين .
٢ فتوتلو : كلمة تركية معناها صاحب الفتوة .

السلطان عبد الحميد خان المعظم . أيد الله أركان دولته على الدوام على أن تقوموا حق القيام بواجبات هذه المأمورية وتنفيذ الأوامر التي ترد إليكم بواسطة القائمقامية الموما إليها ، صارفين جدكم بالمحافظة على الراحة والأمنية العمومية ومنع الأسباب وتوطيد الإلفة والمحبة بين أفراد أهالي الناحية المذكورة توفيقاً باسم العدالة السنية . واستحصال حقوقهم الصحيحة بدون ميل أو مراعاة لأيٍّ كان . باذلين جهدكم أيضاً بتحصيل الأموال الميرية بأوقاتها ، متخذين كافة التدابير والوسائل اللازمة لتخويل جميع أهالي المديرية راحتهم . مستجلبين الدعوات الخيرية بتأييد سرير السلطنة السنية . فبناء عليه ، ينبغي أن تتوجهوا لمركز مأموريتهم وتجروا دور التسلم والتسليم من سلفكم وتباشروا إيجابياتها المقتضية بكل همة ونشاط . إذ بذلك تكتسبون محظوظيتنا وتمام رضانا ولاجل ذلك صار تسطير هذا البيورلدي من لدن متصرفية جبل لبنان في ١٥ تموز سنة ١٢٩٦ ويصاقب سنة ١٨٨٠ .

اهتمام رستم باشا بالاقتصاد :

ومممّا يذكر لرستم باشا بالخير ، أمره الصادر في منتصف تموز من السنة ١٨٨٠ الذي قضى بفتح أسواق في بعض القرى اللبنانية . وفي أوقات معينة . لتسهيل أحوال الرعايا ومعاونتهم على تصريف الأشياء التي يرغبون بيعها . فجعل لقضاء جزين سوقاً واحدة من هذا النوع تقام في يوم الجمعة من كل أسبوع . وجعل لدير القمر سوقاً واحدة أيضاً تقام في اليوم نفسه. وأقام في قضاء الشوف أربعة أسواق . أولها في مرج بعقلين في يوم الإثنين من كل أسبوع . والثاني في برجا[1] في يوم الأربعاء . والثالث . . . الخ .

١ أسد رستم صفحة ٢٠٩ .

وقد شدّد على القائمقاميين بوجوب السعي لنجاح المشروع ففعلوا . وكتب أحدهم « الأمير نجيب شهاب » قائمقام كسروان إلى الشيخ ضاهر الخازن مدير الجرد في ٢٧ — ٩ ٨٠ يستحثّه على تبليغ الأهالي ذلك ، ليحضروا الأمتعة لأجل البيع . ولا شك أن قائمقام الشوف — وكان يومئذ الأمير مصطفى الأمين أرسلان ، قد اهتم بسوق برجا . بل وبكل ما يجري في الأقليم . فإننا نقرأ في سجلات المجلس الإداري تحت تاريخ ٣١ من تموز ١٢٩٦ الموافق لـ ١٢ آب سنة ١٨٨٠ ، تفاصيل المحاسبة التي جرت بإشراف القائمقام والمجلس بين ناظر الأوقاف الإسلامية في إقليم الخروب الشيخ يوسف أفندي الخطيب وبين خلفه الشيخ عمر الخطيب «برجاوي » . وذلك عن السنوات ١٢٩٠ — ١٢٩٤ [1] المالية . وذلك لأن الناظر السابق الشيخ يوسف الخطيب ، تحول إلى عضوية محكمة الإستئناف . واللذيذ المفيد في هذه المحاسبة هو كمية دخل هذه الأوقاف :

١ — مدخل وقف قرية شحيم بلغ ٦٤٤٤ غرشاً

٢ — ودخل النبي يونس ٢٨٠٤ غروش

٣ — ودخل عانوت ٢٦٧٤ قرشاً

٤ — ودخل جون ٢٣٦٧ قرشاً

٥ — ودخل وقف برجا ١٨٥٦ قرشاً

٦ — ودخل مزبود ١٤٩٣ قرشاً .

ودخل القرى الباقية أي البرجين وبعاصير وسبلين وحصرون « حصروت »

....

١ أسد رستم صفحة ٢١١ .

والوردانية والزعرورية وبسابا وداريا بلغ ألفاً أو دون الألف [1] .

ويلاحظ أن شحيم قد احتلّت المركز الأول في الإقليم ، منذ بدء عهد المتصرفية . بعد أن كانت عانوت وبرجا تتنازعانها ذلك قبل ذلك العهد . أما عانوت فلوجود أحمد آغا أبي عواد فيها . إذ كان مربي خيول الأمير بشير الكبير . وأما برجا ، فلكون محمد الخطيب قاضي جبل لبنان منذ آخر عهد الأمير بشير الكبير فيها . ثم لكون ابنه عمر الخطيب عضو مجلس الإدارة الكبير الأول في لبنان .

ومنذ عهد القائمقاميتين ، أخذ يبرز دور شحيم في قيادة الإقليم . فأول من رفع عقيرته على استبداد الإقطاعيين في الإقليم ، كان الحاج ضاهر [2] الحجار . ولم يبال بما تعرض له من ضر وأذى . وأول من لبى نداء الواجب للجهاد كان أحمد الخطيب [3] . فقد تجند في الجيش اللبناني الذي ذهب لتأديب الثائر يوسف بك كرم حيث أسندت إليه إمامة الطابور . كذلك لبّى نداء الواجب فيما بعد ، حمدان ابراهيم أسعد الحاج شحاده وقاسم علي حسين الحجار [4] . وكان كل من ينخرط في الجند يومئذ ، يلقب بالنظامي .

....

١ أسد رستم في صفحتي ٢١١ و ٢١٢ .

٢ انظر الصفحة ٦٩ من كتابنا هذا .

٣ انظر كتابنا هذا صفحة ١١١ .

٤ كان قاسم هذا جارنا ، وقد أدركناه في آخر أيامه . وطالما حدثنا عن الحرب في جبال اليمن ضد أتباع الإمام يحي حميد الدين . وكان بكره يسمى علياً . وقد عيره الزجال المشهور حمدان بأنه الحاج شحاده يسطو على أفكار غيره وينسبها له فقال :

يا علي يا ابن زهره محمد — يا ابن قاسم التركي النظامي
ما فهش بحصه تحت بزقه بتختفي — يا سارق الأفكار انت حرامي

وفي السادس عشر من شباط سنة ١٨٧٥ ، إحتج مجلس الإدارة اللبناني على قرار وزارة المالية العثمانية الذي كان صدر في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٨٧١ ويقضي بجمع البدل العسكري من الشبان المسلمين اللبنانيين الذين لا يودون الإنخراط في الجيش العثماني . مبيّناً أنهم لبنانيون كسائر اللبنانيين . وبالتالي معفوون من هذا البدل . وأبرق البطريرك الماروني بالمعنى نفسه فأجيب طلب المجلس [1] . وبذلك تخلص شبان الإقليم المسلمون من الإنخراط في الجيش العثماني كما تخلصوا من دفع البدل عند رفضهم الإنخراط فيه وبقي الإقليم منظوراً إليه كأحسن مناطق الجبل طيلة عهد رستم باشا كما قدمنا . ولكن رغم انتشار العلم في لبنان وخاصة الطب — وكثرة الأطباء والمتخرجين من كل أنحاء الجبل ، لم يتخرج من أبناء الإقليم ، طبيب واحد ، ولا نبغ أحد منه في مطلق فرع من فروع العلوم ، بعد البستانيَّيْن [2] . ولم تحدث فيه حركة تغيير ، إلا عند بدء عهد واصه باشا.

---

١ أسد رستم صفحة ٢٣٧ .

٢ المطران بطرس والمعلم بطرس .

الفصل الخامس

من الجزء الثاني

الاقليم

١ً في عهد واصه باشا

٢ً في عهد نعوم باشا

حضر واصه باشا إلى لبنان في حزيران سنة ١٨٨٣ . وكان برفقته عدة أشخاص نذكر منهم خاصة : صهره كوبليان بسبب ما نجم عن تصرفاته في الحكومة وما كان له من تأثير في السياسة اللبنانية . وقد كان من دهاة الأرمن . ثاقب العقل ، واسع المعرفة ، يجيد عدة لغات . بصيراً بشؤون السياسة . عينه عمه مديراً لدائرته السياسية ومديراً للقلم الأجنبي . وكان هذا القلم يومذاك ، يقابل وزارة الخارجية في هذا العصر . فأحسن كوبليان العمل وقام بمهمته خير قيام . ولكنه كان طماعاً محباً للمال[1] . فتمادى في تحصيله بأساليب شيطانية . وفتح باب الرشوة على مصراعيه ، حتى ضجّ الناس وأصبح التذمر منه شاملاً . ونرى أن نثبت هنا شهادة شاهد عيان عاش عهد واصه باشا هو الدكتور شاكر الخوري . فقد وصف كوبليان وصفاً واقعاً ضمّنه في رسالة إلى جريدة الأهرام التي نشرتها فوراً . وقد أحدث نشرها صدمة عكسية في نفس واصه باشا — كانت من جملة الأسباب التي عجّلت بوفاته ، وفيما يلي نصها :

---

١ لحد خاطر صفحة ١٤١ .

« ظهر في لبنان تنّين قصير القامة ، أسمر اللون ذو لحية سوداء ينظر إلى جميع الجهات في آن واحد . لا يأكل لحماً بل معدناً . وخصوصاً معدني الفضة والذهب ، ويجوب لبنان بالطول والعرض ويستخرج المعادن من الجيوب لا من الأرض . إذا أكل ضحك ولعب ومسح شاربيه وفرك يديه . وبالعكس إذا لم يقدم له الطعام ، هاج وماج ورفس الأرض برجليه . لم يظهر حيوان مثله في الكون . وقيل أنه من الحيوانات التي ظهرت قبل الطوفان. لأنه عندما جمع نوح عليه السلام الحيوانات في الفلك ، وطاف على وجه الماء ، استقرت السفينة على جبال آرارات في أرمينيا . فخرج هذا الحيوان قبل الجميع نظراً لشراهته . وبقي في بلاد أرمينيا . فنسأل دولتلو [1] واصه باشا أن يقي البلاد منه ، وله من أهلها الدعاء والممنونية [2] . انتهى .

ولما تمادى كوبليان في ابتزاز الرشوة ، ولم يقف عند حد ، أقاله عمه من منصبه — بعد أن كان قد نبّهه وحذّره مراراً . ولكن بعد فوات الأوان . فقد لاك الناس سمعة واصه باشا في جميع أنحاء لبنان والولاية . ولا أدل على ذلك من رثاء تامر الملاط ، اصه باشا بعد مماته . وإليك الحادثة : بين كان أركان المتصرفية والناس والجند يوارون واصه باشا التراب في الحازمية وقف الشاعر تامر الملاط ليرثيه . فحولت أنظار الناس إليه ليسمعوا رثاءه. فما لبث أن قال :

قالوا قضى واصه وواروه الثرى فأجبتهم وأنا الخبير بذاته

رنّوا الفلوس على بلاط ضريحه وأنا الكفيل لكم برد حياته

١ دولتلو كلمة تركية معناها : صاحب الدولة .

٢ مجمع المسرات للدكتور شاكر الخوري صفحة ٤٨٢ .

وقفز إلى مركبة كان أعدها مسبقاً لذلك فأقلته مسرعة إلى بيروت قبل أن يدركه عسكر الوراكون « حراس المتصرف » .

وهكذا أحدث الفساد الذي نشره كوبليان في جميع أنحاء المتصرفية قرفاً عند جميع الناس وكرهاً شديداً لعهد عمه . إذ كان عزل كثيرين من مناصبهم . وعيّن آخرين في أمكنتهم . ثم لم يلبث أن عزل أكثر الذين عيّنهم واستبدلهم بموظفين جدد . وكان من جملة من عزلهم ، القائمقام ، الأمير مصطفى الأمين أرسلان . وتبعه مدير الإقليم يومئذ ، علي أفندي أبي خزعل الحجار . ورغم أن العائلة الأرسلانية كانت العائلة المختصة بالقائمقامية [1] لأن أول قائمقام ، كان الأمير أحمد الأرسلاني والثاني أخوه الأمير أمين الذي كان أعظم رجال العصر « يومئذ » بالفطنة والشهامة والإقدام . وكان الجبل بيده يديره كيفما يشاء . وكان من رجال الدولة العظام [2] . والثالث الأمير ملحم أرسلان . والرابع الأمير مصطفى الأمين أرسلان . ورغم كون هذا القائمقام عالي الهمة شديد الذكاء ، فصيح اللسان ، قوي الحجة، جريئاً قاسياً [3] عادلاً ومن أخلص الرجال للمتصرفية والدولة . فقد عزله كوبليان وعيّن مكانه نسيب بك جنبلاط . كما عيّن في مديرية الإقليم ، الشيخ عثمان الخطيب « مزبود » الجنبلاطي . وقد كان هذا التعيين بمثابة إشعال فتيل الحزبية في الإقليم . واستعرّت نيران اليزبكية والجنبلاطية من جديد فيه . ولم يقف علي أبي خزعل الحجار مكتوف اليدين ، بل اتصل بكوبليان قبل سفره ، واتفق معه على أن يرجعه مديراً للإقليم ، رغم إرادة القائمقام

١ مجمع المسرات صفحة ٧١ و ٤٣٠ .

٢ مجمع المسرات ٧٣ .

٣ أسد رستم صفحة ١٦٢ .

نسيب بك جنبلاط ، لقاء رشوة باهظة دفعت سلفاً وقدرها ثلاثماية ليرة ذهبية.

ولبث علي أبي خزعل يلاحق كوبليان بإلحاح طالباً استصدار أمر التعيين وكوبليان يماطله ، ويعده بأن الأمر سيصدر عن قريب ، كلما راجعه . حتى غادر جبل لبنان خفية إلى استانبول ولبث علي أبي خزعل يكاتب كوبليان ويستحثه الوفاء بالوعد ، إلى أن مات واصه باشا . فعندئذٍ لم ير علي أبي خزعل بدآ من أن يذهب إلى استانبول . ولا تسل عن دهشة كوبليان عندما فوجيء برؤية علي أبي خزعل أمامه في استانبول . إذ خاف أن يقدم شكوى إلى مولانا السلطان ، فيحرمه الوظيفة التي كان يطلبها من جلالته . والتي كان على أهبة أن ينالها . لذلك أسرع كوبليان ورجع له المبلغ الذي كان قبضه منه لقاء إرجاع الوظيفة له .

قال من نقلت هذه الحادثة عن مخطوطة من بتن أوراقه . وهو الذي لا أشك في صدقه :

« وفي اليوم الثاني لهذه الحادثة ، نشرت جريدة إقدام التركية وجرائد غيرها ، كاريكاتوراً يمثل جبل لبنان بقرةً حلوباً . يحلبها كوبليان ، وعلي أبي خزعل قابعاً على كتفيه [1] .

٢ً الإقليم في عهد نعوم باشا :

تولّى نعوم باشا المتصرفية سنة ١٨٩٢ . وكان قائمقام الشوف يومئذ الشيخ سعيد حمدان « باتر » بعد إقالة نسيب بك جنبلاط سنة ١٨٩١ . ويظهر

---

١ نقلا عن مخطوطة لعبد الحليم الحجار ، حفيد علي أبي خزعل الحجار .

أن اليزبكية « الغرضية اعتزت في زمانه . فأقبل الشيخ سعيد حمدان المذكور وحل محله الإمير مصطفى الأمين أرسلان . وكان من رجال الدولة المخلصين كما قدمنا . ولذلك سعى سعياً حثيثاً لرفع منار الشوف وتعزيز السلطان وإحاطتها بالمهابة والتقدير . وكان من أجلّ الأعمال التي عملها ، أنه عزم على — بل باشر — بناء السراي في بعقلين مركز القضاء يومئذ . واختار لذلك ، المحل المناسب في الحديقة الغربية التابعة لسراي المعنيين . حيث كان الشيخ محمد حماده . أكبر أحفاد الشيخ حسين حماده ، بنى في مركز السراي المعنية — دار الحكمة — وترك قصر جده « دار الحكم » واستقر في المركز الروحي [1] .

وحيث كانت ميزانية الجبل في عجز من أيام رستم باشا [2] وواصه باشا ولا يوجد فيها وفرٌ للبناء ، فقد رأى الأمير مصطفى أن يُجبر الميسورين من وجوه الشوف بالدفع كل حسب استطاعته . ولذلك أرسل لبعض وجهاء الإقليم من اليزبكيين أن يوافوه إلى بعقلين . وقد عرفنا من الذين لبّوا الطلب :

١ً — علي الحاج الحجار وعلي الميسو الحجار وأحمد صالح الحجار من شحيم وحسين ضاهر حسين يوسف من داريا والبراج « جد آل البراج من برجا » وغيرهم ممن لم تصلنا أسماؤهم . ومن المفيد والتفكّهة ، أن نذكر الكيفية التي تم بها التبرع والمبالغ التي دفعها المتبرعون . فرض الأمير مصطفى على : علي الحاج الحجار ماية ليرة عثمانية ذهبية وعلى علي الميسو الحجار خمسين ليرة وعلى أحمد صالح الحجار مثل ذلك وطلب من حسين ضاهر حسين يوسف « داريا » خمسين ليرة ذهبية . فأجابه :

---

١ أوراق لبنانية مجلد سنة ١٩٥٧ صفحة ١٥٩ .

٢ أسد رستم صفحة ١٩٢ .

لا أستطيع أن أدفع هذا المبلغ . فقال الأمير : إذاً تدفع مابة ليرة . فقال له : لا أستطيع . قال الأمير : بل تدفع مايتين . فسكت عندئذ حسين ضاهر ودفع المايتين على مضض ولما جاء دور البراج ، وكان يلبس قميصاً مفتوحاً على صدره ، كما حكى لي جدي وأيّد ذلك أحد المذكورين حسين ضاهر حسين يوسف قال : وكنا نستخف به وندردش عليه طول الطريق ، فنبكل له قميصه فيفك أزراره . لما جاء دوره نظر إليه الأمير مصطفى مشفقاً ثم سأله : كم تستطيع أن تدفع يا براج ؟ قال له ذلك لأن منظره كان يوحي المسكنة . فأجابه البراج بنبرةٍ قويةٍ ولهجةٍ شديدة : إجمع لي كم دفع الجميع . فقال له : دفعوا أربعماية لبرة . فعندئذ حل البراج كمره ودفع ضعف المبلغ . بُهت الأمير وجمع المبلغ مكبراً أريحيته . وهكذا شيد الأمير مصطفى الأمين أرسلان السراي الحالية وقدمها للبنان عامة ولبعقلين والشوف خاصة . فجزاه الله عن الأمة خيراً .

ولبث الأمير مصطفى في مركز القائمقامية إلى أوائل سنة ١٨٩١ . حيث تخلّى عنه لابن أخيه الأمير شكيب أرسلان [1] المصلح العظيم .

وكان الأمير مصطفى ، قبل أن يترك الحكم بثلاث سنوات ، أعاد علي أفندي ابا خزعل علي الحجار – رعيم الحزب اليزبكي في الإقليم – مديراً على إقليم الخروب وفيما يلي صورة البيورولدي « أمر التعيين » .

---

١ مجمع المسرات للدكتور شاكر الخوري صفحة ٧٢ و ٥٥١ .

متصرفية

جبل محل ختم المتصرفية

لبنـــان

افتخار الأماجد الكرام المنصوب من قبلنا مديراً لناحية إقليم الخروب علي أفندي خزعل زيد مجده أنه بحسب الإيجاب ، وبناءً على الانتهاء المتقدم لدينا من قائمقامية الشوف بحسن أهليتكم . قد وجدنا مناسباً تنصيبكم مديراً للناحية المرقومة بدلاً من عثمان الخطيب فيلزم أن تجتهدوا بالقيام بواجباتها بتنفيذ جميع الأوامر التي تصدر إليكم بواسطة القائمقامية الموما إليها . سواء كان برؤية جميع مهام الأنام الواقعة بحسب النظام والأصول أم بتحصيل الأموال الأميرية بوقتها وزمانها بكل غيرة ونشاط دون أن تجعلوا سبيلاً لتشكي أصحاب الدعاوي أوالمصالح الكائنة في المديرية المذكورة ، كما انه يلزم أن تكونوا ساهرين ليلاً ونهاراً على حفظ الراحة العمومية ومنع كافة الأسباب المخلة وقطع سبيل أصحاب الشقاوات والتعدي مستجابين من الأفواه لجميع « جميع » الدعوات الخيرية بحفظ وتأييد سرير السلطنة السنية ماكرّ الجديدان [1] وتعاقب الملوان . فاعلموا ذلك واعملوا به ، واسرعوا بالتوجه إلى مركز مأموريتكم . واجروا قاعدة الدور والتسليم مع سلفكم . وباشروا بإجراء المهام المقتضاة . بكل همة وإقدام . فبذلك تكتسبون زيادة محظوظيتنا ولأجله صار ترقيم هذا البيورلدي[2] من ديوان متصرفية جبل لبنان.

---

١ هذه عبارة كانت سائدة في تلك الأيام معناها : ماكر الليل والنهار . ولا يفردان . فلا يقال للواحد منهما الجديد أو الملو . ومنه قول الشاعر : طوى الجديدان ما قد كنت أنشره « القاموس » .

٢ كلمة تركية معناها هنا : أمر التعيين هذا .

وأعطي إليكم :

١٦ ذي القعدة سنة ١٣١٦ هجرية

١٦ مارس سنة ١٣١٥ مالية ختم المتصرف نعوم باشا في ذيل الأمر

نعوم

١٣١٤

وهكذا لبث الإقليم طيلة عهد نعوم باشا محفوظاً حقه ، سائراً في طليعة مناطق الجبل بمن فيه من رجال الإدارة والعلم والقضاء . فقد كان الشيخ يوسف الخطيب « شحيم » عضو محكمة الإستئناف . وكان نجيب البستاني ابن المعلم بطرس البستاني ، رئيس محكمة المتن . ثم معاون المدعي العمومي في محكمة الإستئناف ، وكان الدكتور تامر البستاني طبيباً للجيش [1] في ولاية الشام كلها ثم طبيباً لمتصرفية لبنان .

وقد كان نعوم باشا رجلاً حكيماً بعيداً عن الضرر . وكان أول متصرف يجادلك بالبرهان المعقول . لا يكل من التعب . سهران على مصلحته . يعزّز المأمور . وقد حسّن مالية الحكومة ولمّ شعثها ، بعد أن كان الخلل الفاحش قد تطرّق إليها في آخر عهد واصا[2] باشا وكوبليان . كما تمّ في عهده إصلاح تعبيد الطريق الساحلية التي تمر في ساحل الإقليم إلى صيدا .

---

١ سفر الخالدين ٤٢١ .

٢ مجمع المسرات ٤٩٥ .

الفصل السادس

من الجزء الثاني

الاقليم في عهود

١ً مظفر باشا
٢ً يوسف فرنقو باشا
٣ً أوهانس باشا

تولى مظفر باشا متصرفية لبنان في ١ ت١ سنة ١٣١٨ مارتيه وتوافق سنة ١٩٠٢ ميلادية والقائمقام يومئذ الأمير شكيب أرسلان . ومدير الإقليم علي أبي خزعل الحجار فلم يلبث مظفر باشا أن أقال الأمير شكيباً [1] . وأرجع القائمقامية لنسيب بك جنبلاط . ثم توفّي في عهده ، علي أبو خزعل الحجار فعُيّن في مكانه عبد الجليل الخطيب « مزبود » الذي مكث في المديرية سنتين . ثم تولى القائمقامية الأمير سامي أرسلان ثم الأمير توفيق أرسلان الذي أقال عبد الجليل الخطيب من المديرية وعيّن في مكانه أحمد بك القعقور اليزبكي « بعاصير » مديراً للإقليم . ولم يحصل شيء آخر في الإقليم . لأن المتصرف رغم نياته الحسنة ، ومقاصده النبيلة لم يستطع تنفيذ ما وعد به من إصلاح . لأنه كان رجلاً ساذجاً وكان مصاباً بعلة اللين الدماغي التي أدّت إلى سوء حاله [2] . وثانياً لتدخل زوجته في شؤون الحكومة . وقد كانت امرأة

١ مجمع المسرات صفحة ٧٢ .
٢ ابراهيم بك الاسود في تنوير الاذهان صفحة ٦٥ .

سيئة التدبير . وكانت تسيطر عليه وتتدخل في شؤونه . وتبيع الوظائف بالمال دون خجل [1] وتكتب المرسوم لمن تريد تعيينه ، وتحمل زوجها بمختلف الذرائع على توقيعه . وقد تردّد مرة ، فانتظرته إلى أن دخل المرحاض ، فأقفلت الباب عليه من الخارج ولم تفتحه له إلا بعد أن وعدها بإجابة طلبها [2] .
وثالثاً لأن الأمير توفيق إرسلان شغل عن الإقليم بإنشاء حزب مستقل لنفسه . لا هو يزبكي ولا هو جنبلاطي . ولذلك سماه حزب الثالوث . »

ولم ينتسب إليه أحد في الإقليم ، إلا سعيد عويدات وأقاربه في شحيم . ويوسف خطار البستاني وبعض أقاربه من الدبيه . وفي عهده توفي مدير الإقليم أحمد بك القعقور . فعيّن الشيخ سليم العاكوم من بسابا ، مديراً للإقليم مكانه . وفيما يلي نص أمر التعيين الذي وضع في رأسه «أعلاه» خاتم المتصرف .

١ لحد خاطر ١٦٧ .
٢ لحد خاطر ١٦٦ .

مظفر

متصرف

جبل لبنان

افتخار المشايخ الكرام المنصوب من قبلنا مديراً على ناحية إقليم الخروب الشيخ سليم العاكوم زيد مجده انه بمقتضى الإيجاب وبناء على الإنهاء المتقدم لدينا من قائمقامية قضاء الشوف يحسن أهليتكم . قد أمرنا بتعيينكم مديراً لناحية إقليم الخروب . فيقتضي أن تعتمدوا الإفادات التي تتصدر « تصدر » إليكم بواسطة القائمقامية الموما إليها . إن كان برؤية جميع مهام الأنام الواقعة بحسب الأصول والنظام وتحصيل الأموال الميرية بوقتها وزمانها بكل غيرة ونشاط دون أن تجعلوا سبيلاً لتشكي أصحاب الدعاوي والمصالح الكائنة في المديرية المذكورة . كما أنه يقتضي أن تكونوا ساهرين ليلاً ونهاراً على حفظ الراحة العمومية ومنع كافة الأسباب المخلة وقطع سبل أصحاب الشقاوات والتعدي. وأن تستجلبوا من أفواه الجميع الدعوات الخيرية بحفظ وتأييد سرير السلطنة السنية . ماكر الجديدان وتعاقب [1] الملوان . فبناء عليه يبنغي أن تسرعوا بالتوجه لمركز مأموريتكم وتُجروا قاعدة الدور والتسليم مع سلفكم . وتباشروا بإجراء المهام المقتضية بكل همةٍ واقدام . وبذلك تكتسبون زيادة محظوظيتنا . ولأجله صار تسطير هذا البيورلدي [2] من لدن متصرفية جبل لبنان وأُعطي لكم :

٤ محرم / ٣٢٤

و ٦ مارس سنة ٣٢٤ « مالته » ويُوافق سنة ١٩٠٦ م

---

١ عبارة كانت سائدة في أوامر التعيين في تلك الأيام . ومعناها : ما كر الليل والنهار . ولا يفردان . فلا يقال للواحد منهما الجديد والملو . ومنها قول الشاعر : طوى الجديدان ما قد كنت أنشره . « القاموس » .

٢ كلمة تركية معربة معناها : أمر التعيين .

وهكذا انتهى عهد مظفر دون حدوث شيء يستحق الذكر في الاقليم كما قدمنا وتلاه عهد يوسف فرنقو باشا .

الإقليم في عهد يوسف فرنقو باشا ١٩٠٧ – ١٩١٢ :

لقد نعم « حفل » الاقليم في هذا العهد بأكبر مجموعة من الرجال الذين كان لهم شأن يذكر في مختلف المجالات . ففي برجا كان عمر الخطيب « العضو المسلم في مجلس الإدارة الكبير . وفي الدبية ، انتُخبَ العلامة سليمان البستاني عضو جمعية الاتحاد والترقي مبعوثاً « نائباً » مع رضى بك الصلح عن ولاية بيروت لمجلس المبعوثان في السلطنة العثمانية . ثم انتخب رئيساً ثانياً لهذا المجلس سنة ١٩١٠ . وكان أخوه سعيد بك برتبة يوزباشي في الجند اللبناني ثم رقي إلى درجة « « الاياميني » [1] وهي رتبة لم تكن من قبل في سلك الجندية اللبنانية . وكان أخوه الثالث سليم البستاني حاملاً إجازة الدكتوره في الحقوق من جامعة باريس والتي لم ينلها يومئذ إلاّ القليل من الشرقيين . والدكتور تامر البستاني طبيب المتصرفية اللبنانية وطبيب العسكر في ولاية الشام . وفي شحيم كان الشيخ يوسف الخطيب قاضي جبل لبنان الشرعي . وابنه حسن الخطيب عضو محكمة الشوف يوم كان الشوف قلب لبنان . وكان في القانون صنوَ سليم باز الشهير . وقد بلغ في مساعدة أهل الشحيم والاقليم درجةً كبيرة في المحكمة . ففي التداعي كان يقدم جلسات أهل شحيم والاقليم على جميع جلسات لدرجة أن عقال الدروز الذين يكون لهم جلسات كانوا يصرخون في باحة السراي ، بأصواتهم العالية : « نحنا من شحيم ، نحنا من شحيم » . وكان أخوه أحمد الخطيب عضو محكمة استئناف الحقوق

١ سفر الخالدين ٣٢٧ .

في بعبدا . وأخوه عبد البديع مدير إدارة الملح في صيدا وأخوه محمد الخطيب في جمرك بيروت . وعبد الجليل الخطيب « مزبود » عضو محكمة الجزاء .

وفي أواخر عهد يوسف فرنقو باشا ، أقيل الشيخ حسن من محكمة الشوف لخلافه مع القائمقام الأمير مصطفى الأمين ارسلان ، وعُيّن مكانه حسين أفندي الحجار عضواً في المحكمة المذكورة . كما أحيل على المعاش والده الشيخ يوسف الخطيب لبلوغه السن القانونية وعين قاضياً مكانه ابنه الشيخ ابراهيم الخطيب الذي كان قاضي مدينة جدّة الشرعي قبل ذلك .

وفي سنة ١٩١٠ شغرت مديرية إقليم الخروب بوفاة المدير الشيخ سليم العاكوم فعيّن فيها رشيد افندي شعبان بمساعدة حسين افندي الحجار مع القائمقام المصلح العظيم أمير البيان الأمير شكيب ارسلان . رغم إرادة المتصرف . وكان ذلك من جملة أسباب نشأت من أجلها العداوة بين القائمقام والمتصرف الذي حمل أحد صغار المحامين على الشكوى على الأمير . ثم دفع المدعوّ فارس علامه « رجلاً كان صفعه الأمير » على أن يقيم عليه دعوى أيضاً بهذه الصفعة المشهورة [1] ففعل . وكانت النتيجة أن كفّ يد الأمير . ولكن الأمير لم يكن يكبر بالوظيفة . بل كانت الوظيفة تكبر به .

أما رشيد شعبان فقد كان عند حسن ظن من عينوه . إذ سهر بكل قواه على راحة السكان . وحال في كثير من الأحيان دون وقوع المشاكل والخلاف بين الناس . وله مأثرة جليلة خالدة في هذا السبيل . ففي سنة ١٩١٦ حدثت فتنة حزبية عظيمة في شحيم أوشك أن يذهب فيها مئات القتلى .

١ لحد خاطر ص ١٨٦ .

فقد اجتمع أكثر من ألف شخص في القلعة للقتال « بحسب عادة سابقة » . وكاد أن يندلع الشر لولا حكمة رشيد شعبان . حيث امتطى جواده وجعل يخيل بين الفريقين المتنازعين حتّى منع التحامهما وحال « كما قدمنا » دون وقوع مئات القتلى .

وفي عهد هذا المتصرف ، نزل البلاء العظيم على الدولة العثمانية عامةً وعلى العرب خاصة . بل جاءت عليهم جميعاً الطاقة الكبرى . إذ تمكنت الصهيونية من تقويض سرير السلطان العظيم عبد الحميد الثاني الذي وقف كالطود الراسخ في وجه الصهيونية المجرمة ، رافضاً إعطاءها وطناً في الأرض المقدسة رغم ما بذلته له من مال واغراءات ونضار . ولكي يدرك القارىء الكريم أهمية هذا الموقف الشريف الصلب الشجاع ، لا بد من توضيح الحالة يومئذٍ . فقد تراكمت الديون على كاهل الدولة العثمانية بسبب تبذير وبذخ بعض السلاطين الجهلة من جهة ، وما كانت تكلفه الحروب المتواصلة التي كان يشنها عليها الغربيون من جهة ثانية . وكانت هذه الديون ترتفع بصورة مذهلة لدرجة أنه لم يعد للخزينة طاقة أن تتحمّل اداء فوائدها . واضطرت الدولة عندئذ لإحداث إدارة خاصة وأسمتْها الديون العمومية . وأحدثت لها مديريات مستقلةً في كل ولاية من ولاياتها . ثم أمنت لها دخلاً مما فرضته من ضرائب على الملح والكاز والشحط والتبغ والتنباك وما شابه[1] لكي تتمكّن من تسديد الفوائد فقط . وأمام هذا العجز الفادح تقدم هرتزل « عميد الصهيونية » وعرض على السلطان عبد الحميد الثاني ، أن يقضي هذه الديون كلها عن الدولة لقاء إعطاء الصهيونية وطناً في الأرض المقدسة . فرفض السلطان بإباء هذا الطلب منزهاً الأرض المقدسة عن أن تدوسها أقدام الصهيونية

---

[1] كان السيد عبد البديع الخطيب « شحيم » مدير هذه الدائرة في الجنوب ومركزه في مدينة صيدا .

النجسة . وعندئذٍ وضعت الصهيونية كل ثقلها في الميزان . فاشترت ضمائر أعضاء حزب تركيا الفتاة . ودعت اليهود إلى الانتساب إلى جمعية الاتحاد والترقي في القدس . ورشّحت المسيو ليفي الصهيوني ، مدير بنك الكاو فلسطين في القدس لانتخابات مجلس المبعوثات ففشل . إلا أن النتائج العامة في مختلف المناطق العثمانية ، أسفرتْ عن نجاح خمسة ممثلين للصهيونية واليهود بفضل مناصرة أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة واتفاق الاسرائيليين والأرمن في الدولة العثمانية . وعندئذٍ عمل الجميع وخصوصاً محفل سالونيك الماسوني اليهودي على القيام بالثورة في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ بقيادة أنوربك وأسقطوا السلطان عبد الحميد . وإيضاحاً لهدف هذه الثورة وكشفا مخبئاتها ، وانها كانت السبب الرئيسي لما حاق بالعالم الإسلامي عامةً والعالم العربي خاصةً من النكبات والرزايا والمصائب والبلايا ، نذكر ما قاله القائد التركي رفعت اتلمخان ، المعاصر للسلطان عبد الحمد ، والذي عمل مديراً لقوى الأمن في الدولة حتى آخر الحرب[1] العالمية الأولى .

قال : ان الهدف من ثورة سنة ١٩٠٨ ، أن الصهيونيين يريدون تجريد السلطان عبد الحميد من سلطته وثروته وأملاكه انتقاماً منه وخوفاً من عدم افساحه لهم ثانية . والمذكورون « الصهيونيون » كانوا منحصرين في سالونيك يريدون ازالة عبد الحميد من طريقهم فيصفو لهم الجو[2] . ويضيف في كتابه : الاسلام وبنو اسرائيل : ان اليهود هم نشروا الفوضى في داخل البلاد ونظموا

---

[1] مجلة العالم الإسلامي الفرنسية في باريس ص ٧٣٠ من العدد الخامس سنة ١٩٠٩ وحسان حلاق في اطروحة الدكتوراه سنة ١٩٧٧ الجامعة العربية .

[2] جواد رفعت اتلمخان في كتابه : الخطر المحيط بالإسلام ص ١٧٣ . واطروحة حسان حلاق .

القوة المناهضة للحكم التركي بقصد تحطيم الامبراطورية العثمانية وسلحوا أعضاء تركيا الفتاة في الخارج . ونظموا صفوفهم وامدوهم بالأموال ، كما نظموا العصابات السلافية في البلقان . وفي الكتاب ٧٢ إستشهاداً عن كتاب غربيين وشرقيين وعسكريين وسفراء وقناصل . كلها تبين ذلك . فليرجع إليه كل من أراد الاستزادة . وخلاصة القول ان هذه هي حقيقة السلطان عبد الحميد الثاني . وهذا إخلاصه لرعيته وللعرب خاصة . لكن الصهيونية بذلت قصارى جهدها وعملت مع المبشرين والمدارس بالتبشيرية على تزوير التاريخ وتسويد صفحته وتصويره بأنه السلطان الأحمر المستبد ، الظالم . غير أن الحقيقة لا تعدم مناصرين في كل عصر ، من كل ملة وأراني مضطراً لإثبات رأيي بإيراد بعض نبذ من مذكرات الدكتور يوسف رزق الله « مميحي من عزيز » الذي كان طبيباً في الجيش العثماني طيلة الحرب العالمية الأولى ؛ قال :

كان السلطان عبد الحميد أول سلطان عثماني إعمل لرفع المجتمع في سلطنته . فأكثر من إنشاء المدارس . ثم أنشأ مكتب « كايته » الحقوق والمكتب الطبي بفرعيه المدني والعسكري . وقال : وكان عبد الحميد بعيد النظر ، فسعى إلى استخدام جميع البارزين من مختلف القوميات التي تتألف منها السلطنة العثمانية . ومن العرب الذين وثق بحكمتهم وعلومهم ، بعض المسيحيين كالأخوين سليم باشا ونجيب باشا الملحمه « من بيروت » اللذين توليا المناصب الوزارية في حكومته . وقد لعب نجيب باشا دوراً رئيسياً في سياسة المتصرفية اللبنانية ومصير العناصر المسيحية العربية ولا سيما في لبنان وسوريا .

وقال : هذا السلطان هو الذي أتهم بالظلم والجور فخُلع[1] .

١ مذكرات الدكتور رزق الله صفحات ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ من مجلد سنة ١٩٥٦ لمجلة أوراق لبنانية .

وقال : ولما حُمّ القضاء واستأثرت به المنون ، وجم كثيرون وبكى كثيرون ، وأدرك العقلاء أن الانهيار الذي كانت السلطنة العثمانية على قيد خطوة منه ، ما كان ليكون لو ظل عبد الحميد على العرش ، يلعب بالسياسة الدولية ، ويلاعب دهاتها بين أنامله[1] .

وقال العلامة الخوري ابراهيم مؤرخ البطريرك الحويك : ان البطريرك الياس الحويك ، تلقّى نعي السلطان عبد الحميد بوجوم وحزنٍ شديدين . ثم ترحّم عليه وقال : ما معناه : « لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا بالف خير وطمأنينة في عهد السلطان الفقيد . ولا نعرف ماذا تخبيء لنا الأيام بعد موته . رحمة الله عليه[2] .

وبذلك أكون قد نشرت على الناس حقيقة كانت منطوية تحت ستار كثيف من التزوير ، ونشرتها ليتعظ العقلاء والمنصفون . انتهى .

ونعود لما كنا بصدده فنقول : هكذا مر عهد يوسف فرنقو باشا ، والاقليم كما ذكرنا ينعم بنفوذ رجاله في مختلف نواحي الحكم . وبنبوغ بعضهم في مضمار العلم . وكان له الفخر أنه حوى يومئذ أكبر عالم في اللغة العربية وهو الشيخ عبد الله البستاني « الدبية » وفي أول هذا العهد أخذ أبناء الاقليم يشاركون أبناء المقاطعات الأخرى في المهاجرة . وجعلوا ينساحون في أوروبا وأمريكا والبلاد العربية . فرأينا منهم محامين في مصر كالدكتور سليم البستاني المذكور آنفاً. وكان منهم الأطباء في الجيش المصري كالدكتورين خليل وموسى الكوسى من جون . والضباط الكبار في الجيش المصري كالكولونيل أنيس

١ مذكرات الدكتور رزق الله ص ٣٧٨ من مجلد أوراق لبنانية سنة ١٩٥٦ .
٢ المصدر السابق ص ٣٧٩ .

العجيمي وأخيه من جون أيضاً . وفيليب ونسيب البستانيين القاضيين الكبيرين في السودان . . . الخ

الإقليم في عهد أوهانس باشا ١٩١٢ – ١٩١٥ :

في عهد هذا المتصرف ، شغر مركز العضو المسلم في مجلس الادارة الكبير بوفاة الشيخ عمر الخطيب البرجاوي الذي لبث العضو المسلم فيه من أول عهد المتصرفية إلى سنة ١٩١٣ ما عدا سنتين فاز عليه فيهما درويش الأحمد القعقور وكان ذلك في عهد رستم باشا . وبموته خسرت برجا أولويتها نهائياً كما ذكرنا ذلك في صفحة ١٤١ .

من كتابنا هذا ومن يومئذ ، احتلّت شحيم المركز الأول في الاقليم . وقد ترشح لهذا المركز النسيبان حسين افندي الحجار عضو محكمة الشوف والشيخ أحمد يوسف الخطيب عضو محكمة استئناف الحقوق في بعبدا . ففاز حسين الحجار بفارق عظيم على خصمه . وكان الفضل الأكبر في هذا الفوز لتفاني رجال عائلته وشبابها الذين جابوا قرى الشوف ودساكره وانتشروا فيها لمرافقة مشايخ الصلح والمندوبين[1] من قراهم إلى بعقلين مركز الانتخاب . وبما أن عمر الخطيب كان ممن والوا أوهانس باشا وظفروا بنعماه . فقد التفت إلى ابنه أحمد عمر وعينه عضواً في محكمة الشوف مكان حسين الحجار الذي أصبح عضو مجلس الادارة الكبير .

---

[1] كان انتخاب عضو الإدارة منوطاً بشيوخ الصلح في نظام سنة ١٨٦٤ . ولما عين مظفر باشا سنة ١٩٠٢ ، ادخل في مرسوم تعيينه مادة تقول :
لا يحصر الانتخاب بشيوخ الصلح وحسب ، بل يضاف إليهم عن كل مائة مندوب واحد يتفق عليه . لحد خاطر ١٩١ .

لم يأت أوهانس باشا عملاً يذكر في الاقليم بل في لبنان كله . ولا اصلح فيه شيئاً . وفي عهده حلّ بلبنان كثير من النوائب بسبب الحرب الكونية[1] إلاّ أن مجلس الادارة برئاسة حبيب باشا السعد ، وضع قراراً بفتح ثلاث موانيء للبنان واحدة في النبي يونس للدروز – « كذا في الأصل » – وثانية في جونية للموارنة . وأخرى في شكا للارثوذكس .

وقد حدثت في أيامه حوادث لا علاقة للاقليم بها أو بالأحرى لا تعنينا شيئاً في بحثنا . إلاّ أن الأمانة التاريخية توجب علينا نقل القليل مما ذكره الكتاب اللبنانيون منها ، ليرى المنصفون أن ما أنْزَلَ العثمانيون بلبنان بعد ذلك من الويلات ، كان جزءاً لأعمالهم . ولإيضاح ذلك ترانا مضطرين لنقل عن لحد خاطر باختصار ، أهم تلك الحوادث وهي :

١ً – ظهور حركة الاصلاح في بيروت وباريس الرامية إلى الانفصال عن الدولة . وقد انضم إلى هذه الحركة فؤاد الخطيب من الاقليم .

٢ً – طلب آهالي دير القمر ، ضمّ بيروت وصيدا وطرابلس إلى لبنان .

٣ً – سعي أهالي زحله بأن يضموا إليها البقاع وبعلبك وملحقاتها .

٤ً – زيارة الأسطول الفرنسي جونية ونزول أميراله وكبار ضباطه لتناول الغداء على مائدة البطريرك الماروني واتجاه غبطته إلى الأسطول ليرد لهم الزيارة . واتفق ان فقد البطريرك خاتمه في أثناء ذلك فأهدوا إليه خاتماً آخر كثير الثمن بدلاً منه . إلى ما رافق ذلك من استقبالات فخمة . ومن خطب ودية متبادلة ، كان لها في صحف الاستانة صدى غير مستطاب .

---

[1] لحد خاطر ١٩٣ .

٥ً — زيارة موريس باريس الأديب الفرنسي الكبير للبنان ، وما أقيم له في أثنائها من ولائم شائقة ، وتبودل فيها من خطب عرّض الزائر في احداها بالحكومة العثمانية . مما أثار نقمتها عليه وعلى اللبنانيين ، وجعلها تشك بأمانتهم لها . . . الخ . كل ذلك وأمثاله كان يسخط رجال الدولة العثمانية ويثير عصبيتهم ويبرر ما أنزل جمال باشا بلبنان واللبنانيين في أثناء الحرب[1] انتهى .

وفي ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩١٤ دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب المانية رغم معارضة سليمان البستاني[2] الذي كان وزير التجارة والزراعة والغابات والمعادن في وزارة الصدر الأعظم البرنس سعيد حليم باشا . وكان قد قام قبل ذلك باصلاحات ما عرفت تلك الوزارة لها بديلاً . وقد عمل عملاً عظيماً دخل بسببه في التاريخ . فقد حدث أن مجلس الوزراء العثماني قرر بيع غور بيسان في فلسطين . وكان ملكاً للسلطان عبد الحميد — من شركة أوتشيلد اليهودية . فوقّع جميع الوزراء عقد البيع . ولما جيء به إلى سليمان البستاني ، احتج على هذا العمل وهدد بالاستقالة فاضطر أنور باشا أن يمزق العقد بعد التوقيع عليه . وهكذا بقي غور بيسان ملكاً للعرب . كذلك يعود لسليمان الفضل في عقد الصلح بين تركيا وبلغاريا بعد نهاية الحرب البلقانية. وقلنا أنه عارض دخول الدولة العثمانية الحرب . وعندما لم يعمل برأيه ، استقال من الوزارة وغادر الأستانة واعتزل السياسة[3] .

١ لحد خاطر ١٩٦ .

٢ لحد خاطر ١٩٥ و ١٩٦ .

٣ ملخص من سفر الخالدين صفحات ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ .

وفي مطلع سنة ١٩١٥ بَدأ جمال باشا يُعد العدة لمهاجمة مصر عن طريق ترعة السويس . فأخذ الوطني المجاهد الأمير شكيب ارسلان يجمع فرقةً من المتطوعين والمسلمين لمساعدة الحملة . واذاع نداء لمن يرغب من شباب الاقليم في الانخراط في هذه الفرقة. ولبّى الدعوة من شحيم ثلاثة شبان فقط. هم محمد ديبه الحاج شحادة ومحمد عرفة الحاج شحادة وعرابي أحمد علي الحجار . وبعد رجوع الحملة من مصر كانت الحرب قد أخذت تنشر الضيق في لبنان . فلم ينسهم وكان يكاتبهم دائماً ويرسل إليهم المعونة تلو المعونة . وفي هذه الأثناء اختلف المتصرف أوهانس باشا ومجلس الادارة . فتوسط بينهم رضا باشا رئيس المجلس العرفي لاصلاح ذات البين . فرفض أوهانس باشا وساطته . فحنق عليه واصرَّ على إقالته . وأبرق إلى جمال حالفاً بشرفه العسكري انه لن يبقى ساعةً في لبنان ما دام أوهانس[1] باشا حاكماً فيه. واتصل الخبر بأوهانس باشا فأسرع إلى تقديم استقالته في ٥ حزيران سنة ١٩١٥ .

١ لحد خاطر ٢٠١ .

الاقليم في عهد المتصرفين الاستثنائيين (الأتراك)

١ً علي منيف بك ٢٥ أيلول سنة ١٩١٥ إلى ١٥ ايار سنة ١٩١٦ :

لم يحصل الاقليم على شيء زيادة عما كان فيه في عهد أوهانس باشا . إلاّ ما كان من انضمام بعض أهاليه لحزب الثالوث الذي أسسه الأمير توفيق مجيد أرسلان . وكان ممّن انضمّوا إليه من شحيم عبد الحميد الحجار وسعيد عويدات وأقاربه . ومن خارجها ، الياس شاهين القزي من جدرا وقد نال رتبة يوزباشي (نقيب) في الجند اللبناني وتابعه أقاربه فانضموا إلى هذا الحزب. كما انضم إليه من الدبية يوسف خطار البستاني وبعض أقاربه طبقاً لما ذكرنا في عهد مظفر باشا .

ومما يجب اثباته ، أنه في عهد المتصرفين الأتراك الذين عرفوا في التاريخ باسم المتصرفين الاستثنائيين إنتهت بل زالت الامتيازات اللبنانية بعد أن دامت اربعاً وخمسين [1] سنة أي من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٩١٥ . وبزوالها ، زالت تلك الأمنية التي كان يتمناها الناس وهي : « نيال من له مرقد عنزة في لبنا ن »

وللفكاهة نذكر نتفاً مما كان يتندّر به اللبنانيون في مجالسهم عن المتصرفين المستقلين :

١ً — القول : ان أولهم أرمني وآخرهم أرمني . وقد صح ذلك بداود وأوهانس .

٢ً — المتصرفون المدعون بأسماء لا يتداولها اللبنانيون ، يموتون في لبنان .

١ لحد خاطر ٢٠٢ .

والذين يحملون أسماء كأسمائهم يعودون من لبنان أحياءً : وقد تمّ ذلك بموت فرنقو وواصه ومظفر . وعودة داود ورستم ونعوم ويوسف فرنكو .

٣ً — متصرف يعود حياً ومتصرف يموت . فقد عاد داود ومات فرنكو . وعاد رستم ومات واصه وعاد نعوم ومات مظفر . وشذّ عن القاعدة أوهانس لعوده من لبنان قبل اتمام مدته القانونية . وفي عهد علي منيف بك ، اعدم الشهداء ، أعضاء الجمعية اللامركزية الذين لم يتمكنوا من مغادرة البلاد قبل دخول الدولة الحرب العامة .

إسماعيل حقي ١٥ ايار سنة ١٩١٦ — ١٤ تموز سنة ١٩١٨ :

كان عهد اسماعيل حقي احسن عهود المتصرفية كلها على الاقليم . رغم سوء الأحوال العامة وتراكم أهوال الحرب في العالم كله ورغم القحط الذي سببه مجيء الجراد وغير ذلك من البلاء والرزايا التي حلت بسوريا عامة ولبنان خاصة .

ففي صيف سنة ١٨١٦ اشتدت المجاعة في لبنان بشكل رهيب بسبب منع القمح [1] من الورود إلى لبنان بحجة احتياج الجيش إليه وطلب المانيا جانباً منه . فكان من أعماله الخيّرة ان فتح المآوي الخيرية للأولاد الفقراء وجهزها بالمؤن [2] وكان أكبرها في مدرسة عينطورة . فقد ضم عدداً كبيراً من أولاد الأرمن المهجرين من الأناضول يعيشون ويتعلمون وقد استجاب اسماعيل

١ لحد خاطر ٢٠٧ .
٢ لحد خاطر ٢٠٦ .

حقي بك لرجاء حسين بك الحجار عضو مجلس الادارة الكبير فحقق له عدة طلبات :

١ً – عين سعيد افندي حمدان – صهر حسين – أميناً لصندوق المؤسسات الخيرية سنة ١٣٣٢ مارتية وتوافق سنة ١٩١٦ م .

٢ً – أمر بتوزيع اعاشة من القمح في كل شهر على سكان الاقليم . وقد جعل مركز التوزيع الذي كان يجري بموجب بطاقات شخصية يصدق عليها مشايخ الصلح في القرى ، في وادي الزانية . وسلمت ادارة المستودع للشاب عبد الحليم الحجار وعاونه المرحوم سليم قبلان الحاج شحادة كما ذكرنا في القسم الأول من كتابنا هذا . ثم أمر بفتح الافران في كل من شحيم وبرجا لتوزيع الخبز على الناس باشراف مأمورين عيّنهم من خارج المنطقة وقد كان مأمور التوزيع في شحيم ، السيد منيب الناطور من بيروت .

وأجل عمل قام به اسماعيل حقي بك في الاقليم، هواصداره أمره بشق الطرقات من طريق البحر لبرجا ولشحيم . وقد شُقت طريق برجا أولاً ثم شقت طريق شحيم . والتزم الشق ميخائيل سماحة من الخنشارة وأتمها بأقل من شهر . وقد نظم حسين بك الحجار يومئذ ، تخليداً لهذا الحدث ، بيتين من الشعر باسم اسماعيل حقي . فحفرا على حجرٍ وضع في الجدار الواقي تجاه عين الخربه المشهورة اليوم باسم عين الجسر . أما البيتان فهما :

بكى الاقليم أياماً طوالاً ونادى ربه قد ضاع حقي
فرق له آله الخلق عدلاً وأرسل نحوه اسماعيل حقي

ولما زار اسماعيل حقي شحيم بعد ذلك وخرجت شحيم رجالاً ونساءً شيوخاً وشباناً لملاقاته ، واشترك التلامذة ذكوراً واناثاً بهذا الاستقبال الذي سرّ به كثيراً ، لفتوا نظره لهذا الحجر عندما بلغ ذلك المكان فازداد سروره كثيراً . وعندما بلغ القرية ، كان أول عمل قام به أنه عاد صديقه حسين الحجار الحجار الذي كان يعاني من مرضه الأخير . ثم تناول الغداء على مائدة القاضي الشيخ ابراهيم الخطيب . ولا تزال ترنّ في أذني عبارة حسين بك الحجار عندما علم أن المتصرف استُضيف في بيت خصمه الشيخ ابراهيم الخطيب : « الحمد لله الذي أوجد في شحيم من يستطيع تضييف رجل كالمتصرف في مثل هذه الأيام العصيبة . » تلك هي الخصومة الشريفة القمينة بالتبجيل والإكبار .

ممتاز بك ٢٥ آب سنة ١٩١٨ – ٣٠ ايلول سنة ١٩١٨ :

من ملاحظة هذا التاريخ ، يعلم : ان هذا المتصرف لم يمكث في ادارة الحكومة اللبنانية إلاّ خمسة وثلاثين يوماً . رأى في آخرها الجيش التركي ينسحب من البلاد . فأسرع إلى حمل ما خفّ وغلا من امتعته . ثم نزل إلى حيث كان صندوق مال المتصرفية . وطلب من المستأمن عليه حليم بك أن يعطيه كل ما فيه من نقود . وقد بلغت قيمتها خمسين ألف ليرة « ورقة تركية » فانتزعها . ووضعها في حقيبته . ولما طلب منه حليم بك وصلاً بالقيمة شهر عليه مسدسه . ثم غادر بعبدا مستقلاً عربة المتصرفية – ذات الخيول المطهّمة – إلى زحلة يرافقه باوره سعيد بك قويدر حمادة .

وفي زحلة أوصاه أو بالأحرى رافقه صديقه خليل بك مسلم إلى رياق

حيث ركب القطار متجهاً إلى تركيا[1] .

على هذه الصورة انتهى إلى الأبد عهد لبنان الواحد الذي رفل فيه اللبنانيون بحلل السعادة والهناء والأخوة الحقيقية اللاطائفية بعد أن دام أربعاً وخمسين سنة كما ذكرنا ذلك في أول عهد المتصرفين الاستثنائيين صفحة ١٦٦ من هذا الجزء وتهيأ لبنان ليستقبل عهد الاستعمار الفرنسي البغيض بكل مساوئه كما سنرى .

---

١ لحد خاطر صفحة ٢٠٩ .

الجزء الثالث والأخير من الكتاب

ويحوي « يتضمن » تاريخ الاقليم

الفصل الأول

في عهد الانتداب الفرنسي :

رأينا في ما مر معنا في الجزء الثاني : أن الإقليم كان في آخر عهد الأتراك « السعيد » حاصلاً على كل حقوقه كأحسن مقاطعات جبل لبنان : سواء في الإدارة أو القضاء أو الدرك أو . . . الخ . ورغم أنه لم يكن مهملاً ومنسياً — كهذه الأيام — فقد كان سكانه كجميع اللبنانيين ، يتمنون رحيل الأتراك وحلفائهم الألمان ، ومجيء الحلفاء ، موقنين أنهم سيجلبون لهم المنّ والسلوى . ولم يعلموا أنهم سيذيقونهم الأمرّين ، وسيندمون ولات ساعة مندم.

وبعد انسحاب الأتراك في حزيران سنة ١٩١٨ ، تولى الحكم في جبل لبنان الامير مالك شهاب والأمير عادل أرسلان من ١ ت ١ سنة ١٩١٨ حتى ٧ منه ، ثم حبيب باشا السعد الذي كان رئيس مجلس الإدارة من ٧ ت١ حتى ١٩ منه من سنة ١٩١٨ .

وفي ١٨ ت١ سنة ١٩١٨ ، احتل الحلفاء مدينة بيروت بقيادة الجنرال اللنبي[1] الإنكليزي الذي حكم البلاد حكماً عسكرياً وأذاق الوطنيين الوبال

---

١ ينسب إليه انه عندما احتل دمشق ، دخل إلى الغرفة التي تحوي رفاة البطل صلاح الدين وقال : ها نحن . فأين أحفادك يا صلاح الدين ؟ وبعضهم ينسب هذا القول إلى الجنرال غورو عند دخوله دمشق .

لدرجة أنهم ترحموا ألوف المرات على الأتراك وعلى عهدهم . وكان أول حدث قمين [1] بالذكر جرى في عهد الفرنسيين الذين كان نصيبهم — من تركة الرجل [2] المريض — بحسب معاهدة سايكس بيكو بين الحلفاء سنة ١٩١٦ ، سوريا ولبنان ، هو إعلان رئيس مجلس الإدارة الكبير السيد حبيب باشا السعد دعا فيه الشوفيين لانتخاب العضو المسلم في هذا المجلس ، لملء المركز الذي شغر بوفاة المرحوم حسين الحجار في آخر عهد الأتراك . ولكن لم يتسنّ انتخابه وقتئذ بسبب ظروف الحرب العسيرة . وقد ترشّح لهذا المركز إثنان الأول عبد الحليم الحجار بن المتوفي حسين الحجار . والثاني نسيبه منيب الخطيب ففاز الأول بجميع الأصوات إلا ثلاثة أصوات نالها الثاني .

وبعد مدة من الزمن تمكن الإنكليز بدهائهم من خداع جميع أعضاء مجلس الإدارة الكبير — ماعدا رئيسه حبيب باشا السعد والعضو عبد الحليم الحجار — ودعوتهم للذهاب إلى دمشق للاشتراك في المؤتمر السوري الكبير الذي سينعقد هناك في أول عهد الحكومة الفيصلية بقصد تأسيس الوحدة السورية ولكن الفرنسيين الذين كانت استخباراتهم لا تفتأ تراقب جميع الحركات والسكنات ، ألقت القبض في محلة ظهر البيدر على جميع الأعضاء الذين ذهبوا خفية ، وأعادتهم مخفورين إلى بيروت . ثم أوعزت بتأليف وفد لجمعية الأمم في باريس ترأسه غبطة البطريرك الحويك . وقد أُختير — وقتئذ — عبد الحليم الحجار عضواً في هذا الوفد نائباً عن مسلمي جبل لبنان .

وتقضي الأمانة التاريخية أن نورد هنا سبب قبول عبد الحليم الحجار

....

١ حري بالذكر .

٢ عبارة كان يطلقها الأوروبيون على الدولة العثمانية منذ أول النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

عضوية الوفد إلى جمعية الأمم بعد أن كان رفض ذلك . فقد كان تطاحن النفوذ الإنكليزي والفرنسي شديداً في سوريا عامة ولبنان خاصة لامتلاك سوريا كلها . ولم يردوا على طلب أهلها بإعطائهم استقلالهم . بل لم يعبئوا بنتيجة الإستفتاء الذي أجراه الوفد الأميركي في سوريا ولبنان وطلب إلى الحلفاء إعطاء هذا الشعب استقلاله . ولما تحقق عبد الحليم الحجار ، أن نيل الإستقلال ضرب من المحال ، وأنه لا بد من الإنتداب ، قَبِلَ أن يكون عضواً في الوفد المذكور الذي طالب بانتداب فرنسا : على لبنان .

في أثناء السفر ، تعرّض عبد الحليم الحجار لمضايقة الأنتيلجانس الإنكليزية الشديدة . وخصوصاً عندما توقفت الباخرة الفرنسية التي كانت تقل الوفد اللبناني في بور سعيد ، للتزود بالوقود اللازم . وإذ نزل عبد الحليم للنزهة في المدينة ، لاحقه جلاوزة الأنتيلجانس وهموا بالقبض عليه لو لم يسارع بالعودة إلى الباخرة ويطلع الربان على ما جرى . عند ذلك الوقت خصّص له الربان حرساً يسهر عليه : ولما أمن مكرهم نظم وهو بعدُ في الباخرة ، قصيدة بعث بها إلى الأمير فيصل بن الحسين يقول في أولها :

يشهد الله أنني عربي ومناي استقلالهم ورجائي
وعلى ذا الإيمان ثبّتُ رأيي فاشهدي يانجوم هذي السماء

وفي إحدى جلسات عصبة الأمم ، ألقى خطاباً باللغة الفرنسية قال فيه :

إن اللبنانيين حاربوا في صفوف الحلفاء لنيل استقلالهم . أما إذا تعذّر ذلك ، فهم يفضلون انتداب فرنسا عليهم على غيره . وبلغ من الإشادة في إلقائه درجة جعلت كليمنصو رئيس العصبة يومئذ يُسر غاية السرور وينحدر عن كرسيه ويقبله .

ومن غرائب المصادفات أن يكون يومئذ على الطرف الثاني من العالم « العالم الجديد » محمد علي الحجار عم عبد الحليم الحجار يكتب افتتاحية في جريدة له كان يصدرها في بوسطن ، إسمها جريدة الصراط ، يهاجم فيها غبطة البطريرك قائلاً : « ترك بيوت الله خاوية على عروشها . وجاء يتسكع في باريس ، مستجدياً عطف الأم الحنون ، ومهيباً بها لتبادر لامتلاك سوريا ولبنان ، وتحقق حلماً قديماً طالما راوده وراود أمثاله . ثم اتبع ذلك بكلام طويل شديد اللهجة وأحياناً فيه شيء من البذاءة، نمسك عن ذكره حرمة للموت.

وكان من نتائج حملته الشديدة على غبطة البطريرك ، أن أخذ البوليس يلاحقه للقبض عليه ومحاكمته حتى اضطره أن يلجأ إلى قنصلية إسبانيا ويمكث فيها حتى وجد فرصة تمكن فيها من الهرب إلى كندا .

واتفق أنه بعد أن رجع من بلاد المهجر إلى لبنان ، أن أخذ يطلب وظيفة من الحكومة . وقد نجح في ذلك حيث عينه ابن أخيه عبد الحليم الحجار ، أثناء توليه محافظة البقاع — مديراً لجب جنين . ولكن المستشار الفرنسي الذي كانت لديه إضبارة تحوي ميوله الوطنية وبغضه فرنسا ، أراد أن يوجد له سبباً يحول دون تعيينه . فقد سأله : كيف ستسير بمعاملة الناس ، الذين أوكل إليك تصريف أمورهم ؟ فأجابه بجملة ذهبت مثلاً :

« هؤلاء قوم يجمعهم الطبل وتفرقهم العصا » .

فكانت هذه العبارة كافية ، لتحقق ما في نفس المستشار من الحقد والضغينة وتبرر رفض تعيينه .

أما الفرنسيون ، فقد أخذوا يوزعون على سكان الإقليم بعض المواد الغذائية كالأرز والسكر والملابس بموجب بطاقات يوقعها مشايخ الصلح

والمختارون ، وقد جعلوا مدرسة الراهبات في صيدا « سراي الأمير فخر الدين الثاني » مركزاً لهذا التوزيع . ثم أخذوا يفتحون المدارس في بعض قرى الإقليم لتعليم اللغة الفرنسية كما أخذوا يكيفون مجمل الوضع في الإقليم بل في لبنان كله ، إقتصادياً وسياسياً وثقافياً بما يتناسب مع مصالحهم الستراتيجية والسياسية ويقربون إليهم المسيحيين الذين كانوا — على حد زعمهم — يقاسون من سيطرة العثمانيين المديدة . ويتهمونهم زوراً وبهتاناً بممارسة اضطهادهم فانفتحوا بعد انغلاق مزمن على هذا الدعم الذي أتى من الفرنسيين الذين أوجدوا لهم قاعدة إقتصادية نفسية ثقافية ذات صبغة طائفية لتمييز المسيحيين عامة والموارنة خاصةً عن سائر الطوائف . وسجل لهم هذا التمييز المندوبون السامون يوم كانت إرادة المندوب السامي قانوناً ومشيئته شريعة وكلامه القولَ الفصلَ والحكمَ القاطعَ الذي لا ردَّ له ولا اعتراض عليه . وتلقّى الموارنه هذه النعم موقنين بأنها تحمل إليهم وللبنان مشاعل نور في حين تحمل مشاعر نار توقد الفتن وتزرع الإحن . وخلاصة القول ، ان الفرنسيين كانوا بعملهم هذا ، المؤسسين الحقيقيين لهذا الصراع السياسي الإجرامي الذي عاناه لبنان واكتوى بناره ، وقاسى مرارة نتائجه ولا يزال يقاسيه إلى أيامنا هذه وفي ربيع سنة ١٨١٩ أراد الجنرال غورو زيارة مسلمي الإقليم ، فعمّمَ عبد الحليم الحجار هذا الطلب على مشايخ صلح قرى الإقليم. ثم أقام صيواناً كبيراً على سطح بيت سعيد حمدان بجانب ساحة التلة التي هي أوسع ساحات شحيم. وقد لبّى الدعوة جميع سكان الإقليم . واستقبل الجنرال في الصيوان المذكور استقبالاً حافلاً .

وكان أول من تكلم ، الأباتي الصابونجي ، الرئيس العام المدير المخلص فعرف الجنرال على عائلات شحيم والإقليم . ثم تكلم القس يوسف عيد من

مزرعة الضهر باللغة الفرنسية فأبدع وأجاد . وتكلم أخيراً وباللغة الفرنسية عبد الحليم الحجار مرحباً بالجنرال وبمن معه باسم سكان الإقليم . وقد شاهد وسمع الناس يومئذٍ لأول مرة مستغربين ومستهجنين تلامذة مدرسة الضهر بقيادة معلمهم فيليب عيد يستقبلون الجنرال بإنشاد المرسيلياز « النشيد الرسمي للجمهورية الفرنسية » .

ثم جعل الجنرال يستميل الناس بتوزيع المنح التعليمية المجانية على بعض أبنائهم . فكنت ورفاقي المرحوم حسن قبلان الحاج شحاده وكمال وعلي حسين الحجار ممّن شملتنا هذه المنح . وأدخلنا في السنة التالية المدرسة البطريركية التي كانت يومئذ في طليعة مدارس لبنان والساحل السوري علماً وثقافةً وتهذيباً . وكانت اللغة العربية فيها خاصة في الذروة العليا . وكيف لاتكون ذلك وأستاذها يومئذ الشيخ عبد الله البستاني الذي كان في الواقع من أبرز أئمة اللغة في الشرق العربي لذلك كان يلقب في لبنان كله : برب اللغة .

وبعد أن تناول الجنرال غورو ومن معه من الجند الغداء على مائدة عبد الحليم الحجار ، صعد إلى رابية روبين التي تشرف على شحيم والإقليم التحتاني . ولما رأى الجنرال مقام النبي روبين متداعياً ، أراد بلغته نظر من سياسي محنك ، إجتذاب عاطفة الأهلين ومحبتهم فدفع مئة جنيه مصري لتجديد بناء المقام كما أمر بفتح مدرسة للذكور وأخرى للإناث في شحيم . وبمثل هذه الأعمال انتزع الكره من قلوب الناس وضمن محبتهم .

وقد أحدثت زيارة غورو للإقليم رد فعل عنيفاً في دوائر الحكومة العربية الفيصلية في دمشق . لذلك وافقت على رأي وزير خارجيتها ، الشيخ فؤاد الخطيب الذي لم ير رادعاً من تغلغل نفوذ الفرنسيين في الإقليم ، أشد

من إيفاد شخص مؤهل لإثارة العواطف الإسلامية في نفوسهم . وقد اختير لهذه المهمة القائد يوسف العظمة الذي لما دخل شحيم أستقبل استقبال الفاتحين وبلغ الحماس عند الشباب درجة أن رفعوا السيارة بمن فيها .

وفي ساحة القرية حيث احتشد خلق كثير ، ارتقى يوسف العظمة مصطبة وخطب في الناس حاثاً على الاتحاد والإخلاص للدولة العربية . وداعياً الشباب المثقف للمشاركة في بناء هيكل الدولة .

وقد لبّى الدعوة كثير من الشبان الذين انخرطوا في الجيش العربي من شحيم ومن بعض قرى الإقليم . كما لبى من المتعلمين إخوان فؤاد الخطيب وأبناء أعمامه وقبلان الحاج شحاده من شحيم وعمر اسماعيل من دلهون والشيخ ابراهيم حسن الخطيب « مزبود » الذي عين عضوا للمؤتمر السوري. وبعد انهيار الدولة الفيصلية ، انتقل الشيخ فؤاد إلى الحجاز ، وشغل نفس الوظيفة في دولة الشريف حسين . كما انتقل عبد الرؤوف الخطيب إلى الأردن فعمل مدة رئيساً لديوان الأمير عبد الله ثم رئيساً لبلدية الزرقا . كما عمل الشيخ ابراهيم حسن الخطيب « مزبود » مستشاراً قانونياً للأمير عبد الله . وأما الذين بقوا في سوريا فقد تدرجوا في سلم الوظائف الإدارية والقانونية والعقارية و... و ... الخ فقد أصبح توفيق قاضياً كبيراً . كما أصبح أخوه أديب الخطيب مديراً عاماً للدوائر العقارية ثم مفتشاً للدولة في سوريا وعمل شفيق الخطيب مدير ناحية منين كما عمل نسيب الخطيب متصرفاً للواء الفرات . وتدرج بهيج الخطيب في سلم الوظائف ، حتى أصبح الرجل الأول في سوريا فقد لبث رئيس مجالس المديرين بل رئيس دولة سوريا يتلاعب بمقدراتها إلى آخر عهد الفرنسيين . ومما يحق للإقليم أن يفخر به هو أن أبناءه الميامين قد استطاعوا أن يفضوا الخلاف بين دولتي سوريا وإمارة الشرق

العربي . ويضعوا الحدود الثابتة بينهما كما هي عليه اليوم . إذ من المعلوم أن إمارة الأردن التي دُعيت من يومئذ إمارة الشرق العربي ، كانت جزءاً لا يتجزأ من ولاية سوريا « دمشق » العثمانية الممتدة إلى تخوم الحجاز . وعندما أريد تعيين الحدود بينهما ، عجزت اللجنة المؤلفة من ضباط فرنسيين وانكليز عن ذلك . لذلك تألفت من الدولتين لجنة مدنية مشتركة . ترأس القسم الأردني منها ، الشيخ فؤاد الخطيب الذي كان رجع من الحجاز إلى الأردن بعد أن استولى الملك عبد الزيز على الحجاز وطرد الشريف حسين منه وعضوية الجنرال كلوب الشهير . وترأس القسم السوري منها بهيج الخطيب وعضوية الجنرال بينيه [1] . وكان ذلك سنة ١٩٣٢ . وقد توصلت هذه اللجنة لوضع الحدود الحالية التي نشاهدها اليوم . بعد أن أخرجت مدينة درعا – بدهاء بهيج الخطيب – من الأردن وضمتها إلى سوريا « ويروى أنه بعد الانتهاء من ذلك ، بكى الشيخ فؤاد الخطيب . ولما سأله أخوه عن سبب بكائه ؟ أجابه : لقد انتهينا يا أخي . كناية عن بلوغهما القمة وتمكنهما من التوفيق بين دولتين » .

ولم يبرح أبناء الإقليم عاملين على رفع مقامه في سوريا والأردن والسعودية فقد بقي حسين شعبان مدير المراسيم . كما بقي عبد الباسط الخطيب « مزبود » حتى سنة ١٩ مدير التخطيط في سوريا . وهو الذي خطط مشروع الغاب الشهير الذي يعد العصب الرئيسي للاقتصاد السوري . ولاأذيع سراً إن تقيدت بالإماتة التاريخية ونشرت بعض ما طول الزمن في تلك الفترة من التاريخ فعندما قام المرحوم حسني الزعيم بانقلابه الأبيض ، دعا بهيج الخطيب لتشكيل الحكومة . ولكن بعد أن رفض بهيج بك هذا الطلب بلطف . لم يستطع فيما

١ عمل بينيه بعد ذلك مفوضاً سامياً لسوريا ولبنان .

بعد إلا أن ينزل على رغبة أخيه فضيلة المرحوم الشيخ صلاح الزعيم الذي كان نازلاً في بيتنا ويقبل أن يذهب لفرنسا – مسلحاً بتفويض لا حدود له – ليشتري السلاح للجيش السوري . وقد حالفه التوفيق في مهمته في العاصمة الفرنسية . فاشترى السلاح الكثير الذي ظل يتوارد على سوريا عدة سنوات بعد موت حسني الزعيم .

الفصل الثاني

من الجزء الثالث

ما حدث في الإقليم من الحوادث والأمور :

في سنة ١٩١٩ ، لوحق مدير الإقليم المرحوم رشيد شعبان ملاحقة شديدة نتيجة عدة شكاوي قدمها بحقه للفرنسيين ، دير المخلص وبعض الأهلين من منطقة جون وغيرها . آتُهِم فيها بأنه لم يسلّم ماكان جمعه من الزيت والزيتون من الأهلين تحت إسم إعانة للجيش العثماني . وذلك لمغادرة الأتراك هذه المنطقة قبل إتمام هذا العمل . وقد شفع له يومئذ عبد الحليم الحجار عند الفرنسيين فقبل منه تقديم استقالته فاستقال . وأسندت المديرية للمرحوم سعيد حمدان . وقد حدثت في عهده حوادث جمة في الإقليم حلّ صعوبتها بحنكته ودرايته . وسنذكر بعضها عندما سيجيء لزومها . وفي أول أيلول سنة ١٩٢٠ أعلن الجنرال غورو استقلال لبنان الكبير . وسلم الحكم لبعض شخصيات فرنسية بمعاونة لجنة إدارية وطنية معيّنة مركزها بيروت فأمرت هذه الحكومة بإجراء أول إحصاء رسمي للنفوس بعد مغادرة الأتراك هذه البلاد . وكان ذلك سنة ١٩٢٢ . فلم يقبل أهالي الإقليم ولا سيما في القرى الإسلامية على الإحصاء بسبب ترويج إشاعات سيئة مؤداها أن الفرنسيين سيحصون النفوس ليفرضوا ضرائب ومكوساً باهظة على السكان تتناسب مع عدد النفوس . لذلك امتنع الكثيرون عن إحصاء أولادهم لدرجة أن عدد المكتومين ، فاق ثلث الحاضرين في شحيم التي بلغ مجموع المحصيين فيها يومئذ ألفاً وسبعماية وبضع نفوس . وقد جرى مثل ذلك في أكثر قرى الإقليم .

وهكذا بقي معظم الناس في حالة حذر دائم من الحكومة ينظرون إليها كما ينظرون الى عدو . ففي سنة ١٩٥٥ بينما كانت الثورة السورية على الفرنسيين تشرف على نهايتها ، دخلت الإقليم الفوقاني إحدى العصابات وطلبت من قريتي داريا وعانوت خوّة وكانت تعتزم أن تطلب مثل ذلك من قرى الزعرورية وحصروت والمطلة وبسابا ، ولما قبضت من داريا ، تحولت لعانوت . وباتت في بيت خربٍ واقع في ضاحية القرية « يدعى بيت الجعيد » . منتظرةً أن يرسل المختار الخوة التي فرضتها على القرية — « وكان المختار يومئذ « الشيخ حسين ابراهيم الحاج » . ودرت السلطة بالأمر . فأرسلت قوة كبيرة بقيادة الرقيب الأول سعيد عبد الساتر . ولدى بلوغه عانوت ، طوّق البيت المذكور للقبض على أفراد العصابة . ولسوء حظه وجُبن بعض أفراد القوة الذين كانوا معه . لم تُطبّق الخطة تماماً . فكسر أفراد العصابة الطوق وقتلوا سعيد عبد الساتر بعد أن هزموا القوة .

وفي اليوم التالي حضر قائد الدرك وبصحبته مستشار الدرك الفرنسي والمحقق « يوسف شربل » وألقى القبض على مختاري داريا وعانوت . وبنتيجة التحقيق أطلق سراح مختار عانوت لأنه لم يثبت عليه شيء . وبقي مختار داريا — « وكان يومئذ علي محمد أسعد بيه » — رهن التوقيف لأنه اعتبر ضالعاً في العملية . وزاد الطين بلة ، أنهم وجدوا عنده بندقية حربية فصادروها . وقد سارع عبد الحليم الحجار ، وكان وقتئذ حاكم طرابلس الإداري . وبذل أقصى جهده مع السلطة حتى تمكن من إظهار براءة هذا المختار ممّا نُسب إليه . فأطلق سراحه وأعيدت إليه البندقية .

بعض ذيول هذه الحادثة :

لم تمر هذه الحادثة بدون ذيول . فقد شاع بين العامة في الشوف — « العامة بعيع » — وخصوصاً في الساحل ، إشاعات مختلفة ، منها واحدة تقول : ان من جملة أسباب مقتل سعيد عبد الساتر ، مناصرة مختار داريا للثوار . لذلك لم يمر أسبوع حتى قتل بالقرب من جسر الدامور محمد درويش فياض من داريا ، وهو أحد أتباع المختار المذكور . وبعد يومين اثنين ، قتل شابان مسيحيان لدى رجوعهما ليلاً من بيروت ، في غابة صنوبر صغيرة في ساحل قرية الرميلة . وتقع الشبهة على أهل شحيم . خصوصاً بعد أن شهد الياس شاهين القزي من جدرا ، أنه شاهد ليلة الجريمة سيارتين مضيئتين تصعدان على الطريق المؤدية لشحيم .

وفي صباح اليوم التالي ، جاء إلى شحيم الملازم أول شكر الله الحداد مستصحباً معه فرقة كبيرة من الدرك . وعسكر مع فرقته بجانب مكتب مدير الإقليم في ساحة التلة . وانبرى يفتش كل من يمر من هناك .واتفق أن مر رجل مُختَرطم [1] إسمه : نجيب روده عبد الله . فألقي القبض عليه ولما نُزعت الكوفية عن رأسه ، وجدت بعض الخدوش في أنفه ووجهه فأوقف فوراً . وتوجه الضابط مع مختار حي شحرور — وكان يومئذ محمد علي عبد الكريم الحاج شحاده — بعد أن رفض مختار حيه سعيد عويدات الذهاب مع الدرك إلى بيت نجيب المذكور . ولدى التفتيش ، وجد بندقية حربية لم تُنظّف بعد . من بعد إطلاق النار فيها . فصادرها ورجع إلى مقره . وعندئذ حصل هياج عظيم في القرية . وأسرع جميع الشبان دون استثناء إلى السلاح . وأوشك

[1] مخبئاً رأسه بكوفية

أن تندلع نيران شر عظيم يصعب انطفاؤها لولا حكمة المدير سعيد حمدان الذي خاطب المستشار الفرنسي هاتفياً إلى بيت الدين ووضعه في جو الأحداث بعد أن بالغ عليه في التهويل واستفحال الشر . فما كان من روزانفالون « المستشار الفرنسي » إلا أن أمر الضابط أن يترك المدير يحل هذه المشكلة بحسب ما يرتئيه وما يراه مناسباً . فأعيدت البندقية لصاحبها بعد إطلاق سراحه . واستبدلت ببندقية أخرى غير صالحة . وهكذا قضى المدير على هذه الفتنة في مهدها وخلص الناس من شر عواقبها وضررها . وبعد مدة من الزمن حدث حادث مماثل في شحيم . فقد صادف أن كان أمين مسعود أبو دياب من الجاهلية ماراً في ساحة شحيم من أمام المخفر . ينقل مسدس برابالمو مكشوفاً . ولم يلبث أن رأى أفراد الدرك والرقيب خليل تابت يحيطون به ويدخلونه إلى المخفر باسلوب . وعندما أصبح داخل المخفر همّوا باتخاذ الإجراءات القانونية . فما كان من الشبان إلا أن أسرعوا بحمل سلاحهم وطوقوا المخفر . ولما تحقّق الرقيب خليل ثابت من خطورة الموقف الذي كان ينذر بشرٍ مستطير ، وأنه لا شك أنه سيحدث ما لا تحمد عقباه ولا أولاه ، بادر وتدارك الأمر بحكمته وأطلق سراح السيد أبي دياب الذي غادر المخفر كما دخاه آمناً موفور الكرامة .

البلديات في الاقليم

لم يكن في الإقليم في أول عهد الفرنسيين إلاّ ثلاث بلديات :

١ً – بلدية شحيم وكان رئيسها ابراهيم أسعد عويدات .

٢ً – بلدية برجا وكان رئيسها الشيخ كامل الخطيب .

٣ً – بلدية جون .

وقد كانت هذه البلديات تتبارى باتخاذ الأعمال العمرانية والمحافظة على المصلحة العامة . أما بلدية جون ، فقد جعلت من القرية انموذجية بالنسبة لتلك الأيام وحصلت على أول مركز بريد رسمي في الإقليم . وأما بلدية برجا فكان أمين صندوقها أمين البراج . المعروف يومئذٍ : بالأمين وكان مشهوراً بمحافظته على أموال البلدية لدرجةٍ أنه اختلف مع الريس والمجلس البلدي مراراً بسبب تجاوزات مشبوهة . وبلغ الأمر سعادة قائمقام الشوف الذي كان يومئذٍ : ناظم العكاري . وعندما جمعهم القائمقام ، ظهر له أن الحق مع الأمين . غير انه لأمر ما ، طلب من الأمين أن يتجاوز « يترك » عن هذه القضية ويتناساها ، وإذ تحقق الأمين أن القائمقام يريد أن يطمس هذه القضية حباً بقطع دابر الخلاف ومحوه ، التفت إليه قائلاً : « وأفوحش أمري إلى الله ، ان الله بصير بالعباد » . حكى أحد أقاربنا الذي كان حاضراً هذه الجلسة قال : لما سمع القائمقام هذه الآية الكريمة من الأمين ، اغبرّ وجهه واقشعرّ بدنه ، فالتفت إلى الرئيس والأعضاء صارخاً في وجوههم : « هيك بدكوا يا . . . يا . . . » .

وأما بلدية شحيم ، فكانت أقدم بلدية في الإقليم . وكانت تعرف في العهد التركي بـ : قوميون بلدية شحيم : كما تثبت ذلك ، الأوراق التي في عهدتنا . ونفرأ قراراً عملته في آخر عهد المدير علي أبي خزعل الحجار عنوانه : حصر الطرق في شحيم وقعه رئيسها حسين محمد نصر الدين الحجار[1] .

وقد كان رئيسها في أول عهد الفرنسيين إبراهيم أسعد عويدات . وكانت من بعد بلدية دير القمر وبعقلين ، أول بلدية تنير الشوارع بالقناديل الكبيرة « اللوكس » ذات ال ٥٠٠ شمعة . كما كانت ترش الشورع والطرقات والمعابر بالماء . وكان – فيما أذكر – محمد سليم الخطيب « من حصروت » ملتزم الرش من البلدية . وعلاوة على ذلك كانت تحافظ على الطرفات والشوارع وتحميها من التجاوزات والتعديات كما كانت تضع نواطير للأملاك أو تساعد الأهلين على تعيينهم وغير ذلك من الأعمال والمصالح العامة التي حُرمنا منها اليوم في عصر الذرة الذي بلغ فيه الرقي ذروته . ولا بأس إذا أوردنا بعض البراهين على عمل بلدية تلك الأيام .ففي سنة ١٩٢٣ ، كان مدير المدرسة[2] الإسلامية المجانية – التي أعقبت المدرسة التي فتحها الفرنسيون سابقاً – فضيلة الشيخ صلاح الدين الزعيم ، يستقدم فرق الإنشاد الدينية لتلاوة الموالد في البيوت أو في الهواء الطلق كسطح بيت مدير الإقليم سعيد حمدان مثلاً ليلفت نظر أفراد هذه الفرق لرقي البلدة وإنارتها ولشورعها المرشوشة بالماء . وقد دام هذا العمل عدة سنوات . والشيخ يستقدم الفرق ويباهي برقي ونظافة

١ أراد هذا القرار ، المرحوم أحمد قاسم الحجار كاتب عدل الاقليم في أواخر العهد التركي حتى أوائل عهد الفرنسيين . الى آخر الثلاثينات

٢ أسست هذه المدرسة الجمعية الخيرية الدمشقية بروات جميل العظم وبعد سنتين أقفلتها . ففتحها على عهدته وأنفق عليها سبع سنوات من أمواله التاجر المرحوم الحاج خليل سكر البيروتي .

القرى الإسلامية طيلة رئاسة إبراهيم عويدات الذي بعد تركه البلدية طارت الأعمال مع الريح حتى وصلنا إلى الحالة المزرية التي نحن فيها .لا بلدية ، لا نواطير ، لا حراس . . . لا . . . الخ . وزاد الطين بلّة أن أموال البلدية وميزانيتها التي زادت أضعافاً مضاعفة ، تذهب سدىً أو تصرف على غير وجوهها ، إن لم تذهب إلى الجيوب ، ولا يحرك أحد ساكناً ، كأن الأمر لا يعني أحداً . والخلاصة لم يبق لنا من ذلك العهد إلا الذكريات المؤلمة :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمرْ بمكة سامرُ

تتمة ما حدث في الإقليم من الحوادث السياسية :

يلاحظ أنه منذ أول عهد الفرنسيين ، أخذ الناس يرتعون في بحبوحة من الحرية وينعمون بشيء من العيش الهنيء بعد أن ذاقوا الأمرّين اثناء الحرب الكبرى . فتبدلت الأحوال وانقلبت المقاييس التي كانت سائدة في الماضي . وانغمس الناس جميعاً في حمأة السياسة وذلك بسبب اعتناق لبنان النظام النيابي الذي — كما هو معلوم — يقوم على مبدأ إشراك الشعب في الحكم بواسطة مجلس ينتخبه الشعب يستمد سلطته منه . ورأينا تتابع انتخاب المجالس النيابية في المراحل التالية كما يلي :

١ً — انتُخِب المجلس النيابي الأول في أيار سنة ١٩٢٢ « ٣٠ عضواً » رؤساءه على التوالي : حبيب باشا السعد ، نعوم لبكي ، اميل إده .

٢ً — وفي سنة ١٩٢٥ انتخب المجلس النيابي الثاني رئيسه موسى نمور ، ثم أدغم مع مجلس الشيوخ في مجلس واحد رئيسه الشيخ محمد الجسر .
ولم يكن لحد هذا التاريخ — دور محسوس للإقليم في الإنتخابات . غير

أنه لما انتخب المجلس الثالث في جزيران سنة ١٩٢٩ سنة ، بعد الإقليم الدور الأول في جبل لبنان . وبما أن الإنتخاب كان على درجتين ، فقد كان للإقليم الفخر ، أن ينجح إبنه البارّ اسكندر فضول البستاني أول نائب عنه في المجلس . وليس نجاحه عجيباً ولكن الدهشة أن اسكندر فضول نجح على حبيب باشا السعد ، رئيس مجلس الإدارة الكبير في نظام لبنان القديم ، ورئيس المجلس النيابي الأول في النظام الجديد .

ولا بد أن نذكر للتاريخ ، كيف تأتّى هذا النجاح . وما رافقه من المناورات السياسية ومن بذر بذور الخلاف والشقاق وتفريق الكلمة بين السكان. ووضع العصي في دواليب تقدمهم وغيرها من الأعمال المماثلة التي كان يجريها من وراء الكواليس صبحي أبو النصر ، مدير الداخلية في الجمهورية اللبنانية وينفذها زلمته الخاص ، ابراهيم الفاخوري الذي كان آخر من تولى مديرية الإقليم ، قبل انهيار النظام الإداري القديم . وكان يساعده في هذه الأعمال اللانسانية ، بعض المتنفذين من منافقي الإقليم وشحيم غير أن كل هذه العقبات والعوائق المختلفة لم تقف حائلاً في وجه عبد الحليم الحجار الذي تمكن بجرأته وثباته واستهانته بالخصم ، أن يجعل من الإقليم بسبعة عشر مندوبه مركز الثقل في الانتخابات . فنجح كما قدمنا اسكندر فضول البستاني على حبيب باشا السعد كما نجّح الأمير توفيق أرسلان على فايز بك العماد .

ولا غرو أن نرى كيف اضطر عبد الحليم الحجار — فيما بعد — أن يتحمّل بسبب محاربته حبيب باشا السعد ثقل الضربات الموجعة التي صبها عليه هذا الأخير . ومن جملتها أنه أنزل من محافظ درجة ثابتة ، إلى رتبة قائمقام

ممتاز وبعد عودة الدستور المعلق في ٤ ك ٢ سنة ١٩٣٧ ، انتخب المجلس النيابي الخامس « ٤٢ عضواً . انتخاب ٠ + ٢١ عضواً تعيين وكان أول مجلس ضمّ عضواً للسنة في جبل لبنان . وحيث أن الإقليم يحوي أكبر عدد للسنة فيه ، فقد انتخب نائباً لهذا المركز ، الشيخ أحمد يونس الخطيب .

وبهذه المناسبة تقتضينا الأمانة التاريخية أن نعيد للأذهان سيرة فردٍ فذّ من نوابغ الإقليم ، رافق هذه المجالس النيابية كلها . فأعلى منار الإقليم ورفع قدره بتفانيه في خدمتها . وهذا الرجل هو المرحوم سعد الدين خالد . فقد لبث رئيس ديوان المجلس النيابي من أول افتتاح المجلس الأول سنة ١٩٢٢ حتى أواخر المجلس الخامس . أي لتاريخ وفاته في سنة ١٩٤١ . وقد رتّب وحفظ الدفاتر والسجلات والمحاضر بطريقة ما تزال تتحدث بفضله . كما حفظ ورتب سجلات مجلس إدارة جبل لبنان القديم وحفظها من الضياع ولا يُقدِّرُ فضله إلاّ كل من اضطرّ لمراجعة تلك السجلات في أقبية المجلس النيابي . هذا إلى أن مكتبه وداره كانا طيلة ذلك العهد الطويل — محط رحال النواب والوزراء خاصةّ ، والناس عامة من مختلف الأجناس والمذاهب . يقصدهما ذوو الحاجات فيخدمهم ويسهل أمورهم .

وأخيراً أهلّ عهد الإستقلال الحقيقي في مدة المجلس السادس الذي أنتخب سنة ١٩٤٣ . وكان نائب السنة فيه عن جبل لبنان ، الدكتور عبد الغني الخطيب ، ولبثت السياسة تفور مرةّ وتغور أخرى [1] فيفور تنورها كلما دنا موعد الإنتخاب ، وتتوترالحالة في الإقليم عامة . وفي شحيم خاصة . فإذا مضى الإنتخاب ، يغيض معين السياسة فتموت الحزازات وتزول الاختلافات ويعود كل شيء إلى طبيعته الأولى .

١ تهيج مرة وتهدأ أخرى .

الفصل الثالث

من الجزء الثالث

١ً التعليم في عهد الفرنسيين والاستقلال الصوري

٢ً اقتصاد الإقليم

ذكرنا في الفصل الأول من هذا الجزء أن الفرنسيين فتحوا مدارس في شحيم والإقليم . وسنذكر في هذا الفصل القرى التي فتحوا مدارس فيها وهي التالية :

اسم القرية	مدارس الذكور	مدارس الإناث
١ً ــ مزرعة الضهر	مختلطة	
٢ً ــ المطلة	ذكور	
٣ً ــ جون	ذكور	
٤ً ــ الجية	ذكور	
٥ً ــ برجا	ذكور	
٦ً ــ شحيم	ذكور	إناث
٧ً ــ كترمايا	ذكور	

وذكرنا أيضا أن تلامذة مزرعة الضهر بقيادة معلمهم فيليب عيد وتحت إشراف العالم القس يوسف عيد ، استقبلوا الجنرال غورو يوم زار الإقليم

سنة ١٩١٩ ، بإنشاد نشيد المرسيلياز أي نشيد الجمهورية الفرنسية الرسمي .
ونلفت النظر الآن إلى أنه من ملاحظة الجدول المثبت أعلاه يتضح أنه لم يفتتح مدارس للإناث إلا في شحيم . وقد كانت معلمة مدرسة شحيم هذه ، كلفدان الحجار خريجة مدرسة الإنكليز للبنات في بيروت كما ذكرنا في فصل التعليم في عهد المتصرفية . مع العلم أن هذه المدرسة سارت سيراً حسناً . وقد أناطت الكوميساريا العليا مراقبة تلك المدارس بعبد الكريم الحجار الذي بقي يشرف عليها ثلاث سنوات ، وبعد سفره إلى البرازيل ، ارتأى عبد الحليم الحجار أن أتولىّ الإشراف شخصياً عليها وخوفاً من أن أرفض هذا الإشراف لانشغالي بإدارة المدرسة الرسمية للذكور فقد كتب لي التحرير التالي :

حضرة الأخ محمد أفندي ميسو الحجار حفظه الله

وقد حررت مؤخراً لأخي كمال كي يرسل كتاباً إلى المفوضية العليا لأجل تعيينكم مديراً للمدارس الإسلامية في الإقليم بدلاً من عبد الكريم . وأن تكن هذه الوظيفة مجانية ، لكنها أيضاً للتعريف بالشخص فهي من هذه الجهة ذات فائدة أدبية . وفي الختام سلام مع إكرام .

طرابلس في ٣ كانون أول سنة ١٩٢٦
الامضاء : عبد الحليم الحجار

ولم يسعني إلاّ النزول على رأيه والقبول بما كتب لي فوق قيامي بإدارة مدرستي والتعليم فيها .

وفي سنة ١٩٢٤ شرعت الحكومة الوطنية بإعادة فتح المدارس الرشمية في الإقليم ، بعد أن ظلت مقفلة من عهد الأتراك . وكانت مدرسة شحيم

للذكور ، أول مدرسة أعيد فتحها يومئذ ، وكان ذلك في أول ك ٢ سنة ١٩٤٤ وتسلمت إدارتها في أول آذار سنة ١٩٢٤ أي بعد مضي ٣ أشهر على فتحها ؛ وقد كان الفرش فيها بحالة مزرية جداً . إذ كان التلاميذ يجلسون على كراسي صغيرة أو على جلود الحيوانات . وبعضهم كان يجلس على الأرض . وهكذا أجبرنا على إتمام التدريس على هذه الحالة حتى آخر السنة . وقد أخذنا أهبتنا لاستعادة فرش المدرسة الرشدية التي كانت مجهزّة في عهد الأتراك بمقاعد حسنة وطاولات ومكاتب وكراسي خيزران وساعات جدارية وأدوات رياضية وكان الناس لفرط جهلهم قد نهبوها عند دخول الفرنسيين لهذه البلاد . وقد كان مدير الإقليم يومئذ الرجل العاقل المصلح سعيد حمدان . فلاحق القضية لدى قائمقام الشوف والسلطة الفرنسية ملاحقةً ملحةً إلى أن حضر لشحيم من بيت الدين المستشار الفرنسي مستصحباً قوة كبيرة عن الجند . ولبث فيها يومين كاملين حتى تمكن من استعادة أكثر هذه الأدوات وتسلمناها قبل بدء السنة التالية .

وفي سنة ١٩٢٦ أعيد فتح مدرسة برجا للذكور ، وهاتان المدرستان « أي مدرستا شحيم وبرجا » كانتا المدرستين الوحيدتين اللتين أعيد فتحهما في ذلك الوقت من مدارس الإقليم .

وقبل ذلك التاريخ كانت الكومسّاريا العليا ، قد أقفلت مدرسة كترمايا ففتحتها الجمعية الخيرية الدمشقية برئاسة جميل العظم على نفقتها . وسلمت إدارتها للعالم الجليل ، الشيخ صلاح الدين الزعيم . ولكنها بعد سنتين أخريين أقفلتها ، فهبّ المحسن البيروتي الكبير ، المرحوم الحاج خليل سكر ، وفتحها مجانية على حسابه الخاص . وأبقى على إدارتها الشيخ صلاح الذي لبث وجوده فيها « سبع سنوات » يستقدم فرق الوعظ والإرشاد من دمشق وحلب

وحمص وحماه وسائرمدن سوريا لإلقاء المحاضرات والعظات البالغات في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والرجوع إلى الله . والتحلي بالأخلاق الإسلامية الكريمة ، وحثّ الناس على تعليم البنات و...و..الخ

وفي سنة ١٩٣٨ فتحت الجمعية البرجاوية برئاسة عارف برجاوي ، مدرسة للإناث في برجا . كما فتحت الجمعية البيروتية لتعليم أولاد فقراء المسلمين في القرى ومدرسة للإناث في شحيم . وكانت هذه الجمعية قد فتحت منذ سنة ١٩٣١ مدارس للذكور في كل من قرى الوردانية ومزبود وداريا وحصروت وبسابا لعدم وجود مدارس رسمية فيها .

واعتباراً من سنة ١٩٣٩ ، وفتحت الحكومة اللبنانية مدارس رسمية للذكور في كل من كترمايا وعانوت وداريا . ومما يجب الاعتراف به أن معلمي المدارس الرسمية يومئذ ، كانوا يتسابقون في تحسين أحوال مدارسهم والسهر على حسن التدريس والتعليم . ولا تكاد بعض المدارس تتخذ وسيلة أو تعمل عملاً لزيادة الإفادة ، حتى تسارع بقية المدارس للتشبيه بها .

ففي سنة ١٩٤٢ أسّستُ في مدرسة شحيم أول فرقةٍ كشفية في الاقليم . وكان لحسن تنظيمها وتقيّدِ أفرادها بالأنظمة والأوامر ، وتطبيقهم النظام الكشفي وقع في نفوس معلمي المدارس . ولذلك لم نلبثْ أن رأينا في مطلع السنة التالية ظهور فرق كشفية في بعض المدارس . فقد أسّس الأستاذ علي الدغيلي فرقة كشفية في مدرسة عانوت . كما أسّس الشيخ عبد الله المصري فرقةً في مزبود .

وكان من أفضل أعمال الفرقة ، حتميّة الاجتماع قبل ظهر كل يوم جمعة لتدارس القوانين الكشفية وكيفية تطبيقها . وقبل أن يحين وقت صلاة

الجمعة ، يصطف الكشافون بالقيافة الكشفية التامة ويخترقون شوارع البلدة منشدين نشيد الكشاف على نغم الطبل والناي . يسير خلفهم أكثر أهالي البلدة إلى الجامع حيث يؤدون صلاة الجمعة . ثم يعودون بعد ذلك إلى مقرهم وينصرفون من هناك إلى بيوتهم . هذا إلى ما كانت تحدثه رحلات الفرقة من عميق الأثر وشدة الإعجاب في نفوس الأهلين عند مشاهدتهم الكشافين مارين في قراهم بكل نظام . وسنذكر رحلة من هذه الرحلات قامت بها الفرقة في ٧ – ٦ – ٤٢ إلى دير المخلص .

سارت الفرقة من الصباح الباكر . ولما بلغنا الدير عند الساعة التاسعة والنصف ، وجدنا رئيس المدرسة الأباتي الفاضل ، الأب بطرس حداد يستقبلنا مع لفيف من الرهبان . فأدّينا لهم التحية الكشفية ثم دخلنا إلى الدير وأدينا تحية الشرف لسيادة الرئيس العام الأباتي نقولا برخش . منشدين النشيد الرسمي . ثم أوعزت للكشافين فقاموا بتمارين رياضية بكل دقةٍ ونظام نالت إعجاب الرئيس العام الذي أمر بإكرام الكشافين وإعطائهم أدلآء يقودونهم للتفرج على سائر أجزاء الدير من المدرسة إلى المتحف فغرف المنامة فالكنيسة فالمكتبة فمرائب الحيوانات وأقنان الدجاج . فالمعامل والمحركات ومعاصر الزيت ... الخ . ثم طلب إليّ ثانية رئيس المدرسة الأب حداد أن آمر الكشافين بإعادة بعض التمارين الرياضية وإنشاد الأناشيد الوطنية أمام التلاميذ الرهبان الذين طلبوا المزيد والمزيد من هذه الحركات حتى طال الوقت . ولفرط إعجاب رئيس المدرسة الأب حداد طلب إليّ أخذ صورة تذكارية لنا جميعاً . وتبرع لصندوق الكشاف بمبلغ من المال . لذلك لم نكد نعود إلى شحيم حتى وجّهتُ إليه الرسالة التالية :

حضرة الرئيس الجليل ، الأب بطرس حداد رئيس المدرسة المخلصية الكلي الاحترام .

تحيةً :

الآن وقد ألقينا عصا التسيار في شحيم بعد تلك الرحلة القصيرة بمسافتها ، الطويلة بما تخللها من إذكاء صلات الجوار والصداقة ، وبما عطّر جوها من عواطف الرعاية والولاء . وزيّن معالمها من خلال الكرم والوفاء . أرى لزاماً عليّ أن أتوجه إلى شخصكم الكريم باسمي خاصة — وباسم زميليّ وباسم هذه الناشئة الملتهبة حماساً وحباً لكم للإخوة وللدير ولكل ما ومن فيه بأسمى عواطف الشكر وأصدق التحيات على ما أوليتمونا من جميل ، وأغدقتم علينا من لطف وإحسان .

ثقوا يا حضرة الأب المفضال أنني لا أزال متمثلاً نفسي واقفاً بجانبكم في باحة مدرستكم الزاهرة مغموراً بفيض من لطفكم وكرمكم وإحساساتكم الشريفة . ولا أزال أتمثل تلك الصورة التي انطبعت عميقاً في ذهني والتي تعيد لي ذلك المشهد المفرح . آباء أفاضل وإخوة مخلصون يتسابقون لخدمة أطفال صغار وتلبية طلباتهم . مشهد مفعم بأنبل العواطف وأصدق المزايا التي يتحلّى بها اللبناني العريق .

ثقوا يا حضرة الأباتي المفضال : أن المبلغ الذي تبرعتم به لصندوق الكشاف سيكون دائماً مبعث بركة ونشاط للفرقة ، وخير باعث لصالح دعوات الكشافين بطول عمركم وتوفيقكم وختاماً أكرر خالص شكر المدرسة كافة لكم وللفيف الآباء والإخوان المخلصيين راجياً من الله توفيق الجميع لما فيه طاعته وخيرهم .

الداعي قائد فرقة مدرسة شحيم الرسمية — شحيم ٩ — ٦ — ١٩٤٢

محمد حسين الحجار

وقد تلقيت نهار الإثنين الواقع ٢٢ — ٦ — ١٩٤٢ من حضرة الأب الجليل رئيس المدرسة الجواب التالي على هذا الكتاب في ٦ حزيران سنة ١٩٤٢

حضرة السيد الفاضل

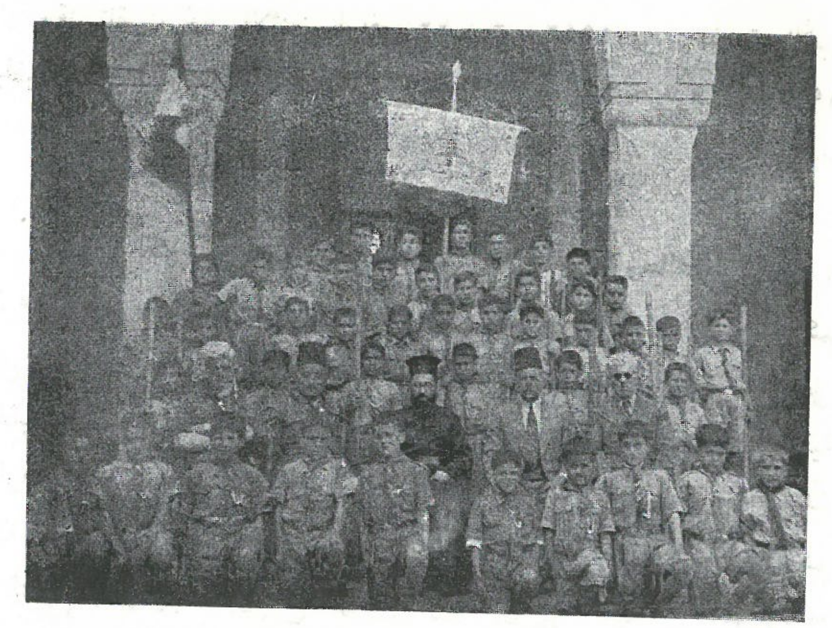
أشكركم كثيراً على تلك العواطف النبيلة التي حوتها رسالتكم الكريمة ، إن ما تفضلتم وشكرتم عليه لهو من أقدس وأهم واجباتنا . ونحن بشكركم على زيارتكم أولى . لأنكم بذلك قد زدتمونا فرحاً وشرفاً وفخراً . وعلى الحقيقة كم سررنا بتلك الشبيبة الزاهرة التي تنشؤونها على أقوم المبادىء الإنسانية والوطنية . وتدفعونها حثيثاً نحو أسمى غايات العلى . وهذه لي فرصة سعيدة لأن أهنئكم ثانية بهذا العمل المجيد والفكرة الجديدة الشريفة أنتم وزملاءكم في التعليم والتهذيب ، وأشفع التهنئة بأحر الأماني لأن تلاقي كشافتكم ارتياح الأهلين الكرام والوطن العزيز وتزداد ازدهاراً وعدداً بفضل الله ونشاطكم الوثاب تجدون طيه خمس صور لجمهور الكشافة الذي أخذ رسمه في مدرستنا المخلصية . وكم تمنينا لو تكون ناجحة أكثر مما تشاهدون . ولكن رداءة الطقس المتلبد بالغيوم وقتئذ لم تساعد المصور . فنرجو عذركم وان العفو من شيم الكرام .

سلاماً وافراً إلى كل من شرفوا ديرنا وبنوع خاص الأساتذة الفضلاء ودمتم بهناء .

الداعي لكم

الإمضاء : الأب بطرس الحداد

رئيس المدرسة



الفرقة الكشفية في باحة دير المخلص

هذه رحلة من الرحلات العديدة التي قامت بها فرقة المدرسة والتي كانت تذكي في نفوس التلاميذ نار الجد والاجتهاد الخ .

وفي سنة ١٩٤٠ ، أقفلت الجمعية البيروتية مدرسة الإناث في شحيم . وأخذنا نطالب وزارة التربية بإلحاح ، بفتحها رسمية . ورغم ما بذلنا من الجهد الجهيد ، والمراجعة الدائمة والوساطات العديدة ، فلم تنجح ولم يُجب طلبنا . وعندئذ رأيتني مضطراً أن أقوم بفتحها على نفقتي الخاصة ومساعدة أهل الخير من بيروت ودمشق . بمساعدة الشيخ صلاح الزعيم . ثم انتقيت لها معلمات فاضلات ، أمثال نهاد الأثير وفاطمة قضاة التي توفيت والدتها في شحيم . وعندما حضر ابنها الشيخ فائق قضاة وشاهد ما قمنا به من تجهيز الدفن قال : أنتم الإنسانيون بل أنتم الأهل . وفي السنة الثالثة انتقيت للمدرسة

المولدة القانونية فوزية العيتاني خريجة المعهد الطبي الفرنسي فقامت بأعباء المدرسة خير قيام . وجعلتها نموذجية بمساعدة أختها . ولقاء ذلك أمنت لها الراتب الشهري الذي طلبته « ٢٧ » ليرة وفيما يلي صور بعض الإيصالات .

وإليك هذا الأنموذج من الإيصالات التي كانت توقعها عند القبض المعلمة فوزية العيتاني :

وصلني من السيد محمد ميسو الحجار مبلغ ٢٧ ليرة لبنانية وذلك راتب شهري عن شهر شباط سنة ١٩٤٢ .

كاتبه

فوزية العيتاني

في ١ آذار سنة ١٩٤٢

ورغم الإهتمام بالمدرسة ، لم نترك الحبل على الغارب أو نهمل المطالبة بجعلها رسمية . بل لم نيأس ولبثت آلاحق المسؤولين ملاحقة دائمةً حتى استجابت الوزارة وفتحتها رسمية سنة ١٩٤٣ . فكان مثلي في ذلك كما قال الشاعر :

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمن القرع للأبواب أن يليح

وقامت العراقيل في وجه المدرسة بعد صدور القرار من كل حدب وصوب لأن العنفات المحلية كانت يومئذ — بعد دورتين انتخابيتين — قد بلغت ذروتها . فكان كل حزب يطالب أن تكون المدرسة في حيّه . وأخيراً تمكنت من استئجار بناية رجب منصور الحجار . وهنا قام مانع صعب . إذ يجب أن

تُرفَق المعاملة بتقرير طبيب البلدية الرسمي والاَّ فتلغى . وكان الدكتور عبد الغني طبيب البلدية . فكيف العمل ؟ ولم تهن االعزيمة بل دأبت على المداورة حول الدكتور عبد الغني حتّى حملته على أن يعطيني التقرير التالي :

وهكذا تمكنا من الحصول على أول مدرسة إناث رسمية في الإقليم :

وبعد سنتين من ذلك ، فتحت الوزارة مدرسة للإناث في برجا .

هذا ملخص ما كان من أمر المدارس والتعليم أوردناه كما حصل من أول عهد الفرنسيين والاستقلال الصوري حتّى عهد الإستقلال الحقيقي سنة ١٩٤٣ . أي آخر المدى الذي انتهى إليه مدى هذا الكتاب .

الدكتور
عبد الغني الخطيب
خريج جامعة لوزان

DOCTEUR
ABDEL GHANI KHATIB
Diplômé de l'Université
de Lausanne

H.

ان بناية رجب محمد منصور الكائنة في محلة عرب تمرور في
تُعتبر صالحة من الوجهة الصحية لأن تكون مدرسة للإناث
غير انه لا يوجد فيها ملعب للتلاميذ ، وهذه مسألة هامة
فاذا وجدت بناية أخرى لها ساحة مستقلة للطالبات
تكون تلك أوفق وأفضل .

الدكتور

١٤ - شباط ١٩٤٢

٢ً الحالة الاقتصادية :

إن الإقليم في معظمه ، عبارة عن تلال جبلية صخرية قليلة التربة ممتدة بين نهر الأولي ونهر الدامور . ولا سهول ساحلية لها إلا في بقعة صغيرة هي قرية الجيّة . وهي جرداء في أكثرها إلا من بعض الأحراج . وليس فيها ينابيع قوية تساعد على الري . ولذلك لم تزدهر في الإقليم ، زراعة أشجار الفاكهة المتنوعة . وقد اعتاض سكانه عن ذلك ، من القديم باستنبات الأرض النباتات الصناعية التي لا تتطلب عنايةً كبيرةً وكدحاً شديداً . كالدخان والتوت والكرمة والزيتون . فاختصت قرى عانوت وداريا والبرجين والجية والرميله وعلمان وجون ومجدلونا وشحيم وبسابا بإنتاج فيالج الحرير . كما اشتهرت شحيم وبرجا ومزبود والزعرورية ودلهون والمغيرية وكترمايا ودير المخلص وجون ومجدلونا باستخراج الزيت . واشتهرت سبلين والوردانيه ووادي الزانيه وضهر المغاره وبعاصير ومزرعة الضهر وبكيفا وبسابا وبيقون بإنتاج الحبوب .

أما الصناعة فلم تدخل الإقليم إلا في برجا وشحيم منذ القديم . فاشتهرت برجا بصنع النسيج من الديما والحرير الوطني المسمّى بـ« السلب » وكان يصنع من خيوط الحرير المحلولة على دولاب الحلالة . والخام والغزليات وأنواع الشاش . وقد راجت هذه الصنعة كثيراً في آخر عهد الأتراك ولا سيما أثناء الحرب العالمية الأولى حيث ضمّت أكثر من مئتي نول لحياكة النسيج المذكور . وتفردّت شحيم بصنع نسيج المضارب « الشقق » والبلاس والبسط والإخراج والمنحالي من الشعر . وقد تحولت منذ أول الحرب العالمية العامة الأولى إلى مصنع يغزل فيه ألف دولاب لسد حاجة مئات أنوال الحياكة . واستورد التجار شعر الماعز المحلول من الهند والباكستان وأوروبا

وشمال إفريقيا — كما ذكرنا ذلك في القسم الأول من كتابنا هذا — إلى شحيم ليخرج منها مصنعاً ويلبي حاجات الفلاحين والبدو الضاربين في جميع بوادي العراق وسوريا والأردن وفلسطين والحجاز . ودام هذا الازدهار واليسر إلى أن حدثت القطيعة بين لبنان وسوريا فزعزعت أركان هذه الصنعة . ثم جاء إهمال الحكومات المتعاقبة المتعمّد للإقليم وعدم تدبير أسواق لتصريف هذه المنتجات ثالثة الأثافي . فبارت هذه الصنعة . واقتصر العمل فيها لأيامنا هذه على أفراد الجيل القديم وقلة من أفراد الجيل الجديد . ولولا صنع القومات «المخالي لعصر الزيتون » لانقرضت بالكلية ووصلت لنهايتها المحتومة . ولا نعلم أن في الإقليم صنعة أخرى . إلا ما كان في الزعرورية من صنعة بدائية ، تصنع فيها باليد ، المقالي، والصحون الفخارية من الطين اللازب . وما عدا ذلك فقد كان سكان الإقليم في معظمهم كادحين قانعين بما تجود به عليهم الأرض من الإنتاج المتواضع من الحبوب والتين والزبيب والزيتون وما شاكل ذلك .

غير أنه اعتباراً من أول عهد الفرنسيين ، أي من العشرينات ، تبدلت الأحوال وانقلبت المقاييس التي كانت سائدة في الماضي كما قدمنا ، بسبب كثرة متطلبات الحياة العصرية الإجتماعية المتعددة الوجوه والأنواع ، والتي لم يكن يعرفها الناس في السابق . وخصوصاً بعد زحف المدينة الغربية المادية التي اجتاحت لبنان والشرق كله . فمال الناس إلى العمل الفكري . وشرعوا يلاحقون الوظيفة ويسعون إلى التوظف في أية وظيفة يستطيعون الحصول عليها في التعليم أو في القضاء أو في الزراعة أو الأشغال أو الصحة أو في أية وزارة من وزارات الدولة . وإذ اعجزهم ذلك ، تهافتوا على الإنخراط في سلك الدرك أو الجيش أو الشرطة . ولم يعودوا يلتفتون للعمل اليدوي الذي كأنهم كانوا يرون فيه حطّةً على مايظهر . فأهملت الصناعات ، وبارت

المواسم نتيجة الإنصراف عن الاعتناء بالأرض . وتركت التجارة بالكلية لدرجة أنه لا يوجد لهذا التاريخ من أبناء الإقليم كله شركة تجارية واحدة – ما عدا شركة هندسية كبرى أسسها منير الخطيب في بيروت وشملت البلاد العربية كلها وأصبحت من الشركات العالمية المحترمة – كل هذا جعل اقتصاد الإقليم يسوء بل يتدهور لدرجة أنه أصبح ٩٧٪ من سكانه يعدون من الطبقة الفقيرة . والذي زاد الحالة تدهوراً – في هذه الأيام – هو إقبال سكان المدن الرئيسية في لبنان ، على التوظف والاستئثار بالوظائف العالية الحساسة خصوصاً وهذا يشكل ضغطاً على الأجيال الطالعة ، ويسبب لها صعوبة فائقة لا بل استحالة في شق طريق الحياة أمام الشباب المثقف . وأصبح شبه متعذر على أي شاب من الجيل الجديد يحمل الشهادات العليا أن يتمكن من إيجاد وظيفة أو عمل يتناسب مع شهاداته وكفاءاته يؤمن له لقمة العيش الشريف ، وتشكيل عائلة بالزواج وتأمين المسكن العادي . لذلك بدأنا نرى هجرة الأدمغة المثقفة من الإقليم إلى البلدان الأوروبية والأميركية « خاصة » ثم إلى البلدان العربية . وقس على ذلك في شتّى نواحي الحياة .

الفصل الرابع والأخير من القسم الثالث

لمحة عن المجتمع اليوم

١ – التقاليد التي كانت تسوده سابقاً :

لا مراء في أن الإقليم هو بلد التسامح والمحبة والإنسانية : ودوّامة التفاؤل الحضاري . تتكيف فيه القيم الآتية من مشارق الأرض ومغاربها . وتنصهر فيه الأديان السماوية . إذ يصعب على الغريب عنه أن يميّز بين المسلم والمسيحي وأكبر دليل على ذلك هو أن الأصالة العربية لم تجد إلاّه مستقرًّا يحتضنها طيلة هذه الكوارث التي عمّت لبنان كله مؤخراً من أدناه إلى أقصاه ويكفيه فخراً أنه يحوي هذا الرصيد العظيم المشرف من الإنسانية المثلى ومقوماتها من التعايش السلمي والتسامح والتجاوز عن الأخطاء و . . . و . . . الخ .

أما سكانه فهم ككل اللبنانيين محبون للنسل والتوالد . وشديدو العناية بالأسرة والأهل وكأني بتحزبّهم وتشيّعهم منذ القديم ، رغّبهم في تكثير النسل للتماجد وتكبير الحزب . وهم يحافظون على أنسابهم وأديانهم رغم تباينهم في المبادىء وإمعانهم في التشيع والتحزب اللذين انطبعوا عليهما واخضاعهم لعادات متوارثة متعددة الأصول من شرقية وغربية جعلت الكتابة عن مجتمعهم أو بالأحرى عن وصف الاجتماعيات في الاقليم من الصعوبة بمكان خصوصاً إذا كان الكاتب حدثاً لا يعلم شيئاً عن وجوه الحياة في المجتمع القديم الذي أطاحت به التغيرات العميقة . أو بالأحرى الصرعات الحديثة التي حملها إليه زحف المدنية المادية الجديدة التي هي أكبر

جوانبها صرعات مغريات كالدنانير الزبوق[1] . توهم الغرّ[2] ان معدنها الفضة والذهب بينما هو طلاء لا رجاء منه ولا خير فيه . وقديماً قال العرب : ترى الشبان كالنخل . وما إدراك ما الدخل . فهذه الصرعات التي يصورونها من متممات المدنية ، لم تبدل الأوضاع وحسب ، بل خلّقتْ جيلاً فلقاً طغى عليه حب الظهور . وتميّز بالبطر الذي يورثه الأهل للأولاد عن جهل. وانساق في غير طريقه المستقيم بعيداً عن إدراك جلال الماضي وقدمية الأشياء . بل تأثير الأمس الدابر باليوم الحاضر . وامّحتْ من الذواكر أكثر صور الحياة المثلى التي كان الناس يعيشونها في هذا الاقليم . وإليك يا قارئي مثلاً على ذلك . فقد كان أجدادنا واباؤنا الطيبون « سكان الاقليم » إذا ما دُعوا للمشاركة بالأفراح لا يكتفون بالحضور وحسب ، بل يقدمون رأس غنم أو ماغز مع الرز والسكر والبن والحطب لمساعدة صاحب العرس : وتتوزع النسوة . فمنهن من يخبزن ومنهن من يطبخن ومنهن من يغسلن الحليَ. أما الرجال ، فمنهم من يمد الموائد ومنهم من يقدم الطعام ومنهم من يقدم شراب السكر والورد والتوت والقهوة وغير ذلك من مستلزمات الأفراح .

أما في الأحزان والمآتم . فكانوا يتولون إرسال النعوة للقرى . ثم عند انتهاء المأتم ، يعزمون المعزّين الآتين من القرى . وهذه عادة لم تزل جارية — على قلةٍ — إلى أيامنا هذة . وبعد ذلك يتعهدون أهل الحزن بالطعام طيلة ثلاثة أيام التي تعقب دفن الميت . وأحياناً طيلة الأسبوع الأول . ولا تزال هذه العادة متبعة في بعض قرى الاقليم إلى يومنا هذا . كما في البرجين مثلاً .

[1] الزبوق : الدنانير المزيفة .

[2] الغر : الصغير أو الجاهل .

وقد أدركنا في حداثتنا عملاً جليلاً يظهر التضامن الذي كانت نفوس أهل الاقليم مطبوعةً عليه . فقد كان إذا انتهى أحد الناس من بناء بيته ، يأتي جميع شبان القرية ويغطون سقف البيت بالجسور والمدود والركس[1] ثم يطمرون السقف بالتراب . وفي الغد تأتي النسوة ويكسينَ جدران البيت من الداخل بالطين . وهكذا يصبح البيت جاهزاً للسكن بأقل كلفة . وهناك كثير من أمثال هذه الأعمال كحدل السطوح أو جرف الثلج عنها أيام الشتاء وغيرها من الأعمال التي تدل على التضامن والتعاون والشهامة والنجدة والغيرة والنخوة والمروءة وسائر الخلال الحميدة والصفات الكريمة التي تعمر بها المجتمعات وتؤلف في مجموعها التقاليد الشريفة التي يتصف بها العربي عامةً واللبناني خاصةً وتميزه عن غيره من البشر ، قد اختفت ، بل قد قضت عليها كما قدمنا ، صرعات المدنية المادية التي لا تزال تدهمنا وتقطع تلك الروابط وتنتزع من ذواكرنا ونفوسنا تلك الجذور التي تشدنا إلى الماضي . ثم تلقينا في خضم رهيبٍ من الانحلال الخلقي . بل تسلمنا إلى مئات المشاكل الاجتماعية المتنوعة . وإذا ما وُجِدَ فينا أناس طيبون ممن يتصفون بالوفاء للماضي الجليل والدعوة للالتزام بمحاسنه ونبذ مساوئه فقط ، والتبرؤ من هذه الصرعات اللا إنسانية واللا أخلاقية ، يوصفون بالتعصب والجمود والتأخر حتى وبالهمجية . وما ذلك إلا لأنهم لم يصطبغوا بصبغة المجتمع الحديث الفاسد الذي لم أرَ له وصفاً اعمَّ واحقَّ مما وصفه به ميخائيل نعيمة حيث يقول : « انه مجتمع فاسد . أبعد ما يكون عن الصدق . يسوده التدجيل والرياء الاجتماعي الذي يسميه بعض الناس : دبلوماسيةً كما في حفلات الكوكتيل يعبّر شخص لآخر عن مدى اشتياقه وهو لم يفكر به منذ سنوات — « وبالكاد

[1] قطع صغيرة من الخشب توضع فوق المدود ثم يوضع فوقها البلان قبل ثم تغطى بالتراب .

يعرفه » — . وهذه الدبلوماسية يسميها كثيرون « سعدنة » يعني : ابتعاد المرء عن نفسه . ومحاولة لعب شخصيةٍ أخرى وأحياناً أشخاص آخرين . كأن يقوم بأعمال لا يؤمن بها . أو يتفوه بأقوال يقصد عكسها . . . انتهى[1]

وهكذا أصبح الاقليم اليوم — كما يراه المدركون — في مهب الاعاصير حيث تهبُّ عليه من جهاته الأربع . فتحرك على سطحه الساكن موجاتٍ متفاوتة الأحجام ، مختلفة الاتجاهات ، تبدو للوهلة الأولى طبيعيةً وليست بذات أهمية . إلا أنها عند إمعان النظر ، تنحسر عن جملة من التحديات العقائدية السياسية التي بدأت تتعرّى تدريجاً في الساحة نتيجة عوامل إقليمية ودولية طارئة . ومما يؤسف له ، أن الشبان الذين يجرون وراءها ، ويتعلقون بأهدابها ، ويلبسون رداءها ، لو اكتفوا بالأخذ من محاسنها الاخلاقية والوطنية لهان الأمر . ولكنهم يهملون ذلك ويجدّون وراء مدلولاتها السياسية ويسعون لنشرها كما هي دون النظر إلى أنها تلائم البيئة أو لا تلائمها . ويهملون ما عدا ذلك . وغالباً ما تفترّ عزائمهم من عدم الوصول لما يريدون . فيصبحون في حالة جامدة لا على الماضي ثبتوا . ولا من الحاضر أفادوا . ولو أنهم تذكروا رأياً لنا كنا نردده دائماً على مسامعهم وهم بعدُ على مقاعد الدرس ، ونحذرهم من الوقوع في أشراك هذه الشيع وهو : « ان شحيم والإقليم مقبرة الأحزاب » لنجوا من كل هذه الفوضى .

---

[1] كان هذا من جملة الأحاديث التي اتحفنا بها أديب لبنان الكبير ، ناسك الشخروب « ميخائيل نعيمه » عندما زرناه في صومعته سنة ١٩٣٩ يوم كنا في مخيم كشاف التربية الوطنية . الذي أوعز باقامته وأشرف عليه المرحوم واصف بارودي مفتش التربية العام ، في رابية من روابي ضهور الشوير . وقد حكى لنا ناسك الشخروب وقتئذ : كيف أسس مع رفاقه ، في أميركا الشمالية ، الرابطة القلمية ، التي كان لها أكبر تأثير في تجديد شباب الأدب العربي ونشره في المهجر .

أما الإقليم ، فرغم كل هذه التركيبة العجيبة ، لا يزال يهب عليه تيار ضعيف يصله بالماضي المجيد ولكنه ذو نسماتٍ نديةٍ مشبعةٍ بشميم عرار نجدٍ وشذا عطور الطوروبيت لحم وبخور الطائف والمدينة المنورة وطيبة حيث مهبط الوحي . وحيث الدعوة على أشدها . فلا إله إلاّ الله ولا قائد إلا رسوله ولا دستور إلاّ كتابه وقوله : « صلعم » كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعتيه ، هي السائدة بل هي التي ستسود الإنسانية كلها ، رغم طفرة هذه البدع . وقد رأينا كيف كان تأثير هذا التيار — على ضعفه في نفوسنا ، نحن سكان الإقليم — هادراً حاسماً في تركيع أمم الغرب كلها . وسائر الأعداء الألداء ، أمام عظمة وثقل قوة الإيمان عندما صدق .

ولنضع الآن للقارىء الكريم بعد — عرض الصور التي قدمنا — وللنشء من أبناء الإقليم وشحيم ، خلاصة أبحاثٍ وتحرّياتٍ في تاريخ الإقليم ، تكون حسب إمكاننا دراسة تخطيطية إجتماعية إقتصادية لما كان عليه الإقليم في عهد المتصرفية وحتّى آخر عهد الإنتداب الفرنسي . ولكي نتمشى مع روح المرحلة التي نصفها ، لا يضيرنا ذكر أتفه الأمور ، وإدخال بعض الحواشي مع الكلام العامي وأسماء الأشياء كما كانت تسمّى آنذاك . والعبادات التي كانت سائدة في الأفراح والأحزان والسهرات والأذكار والاحتفالات الدينية والزمنية لكي نستطيع ما أمكننا أن نعيد صورة مجتمع يومئذ . ولكن قبل الشروع في ذلك لا بد من أن نلفت نظر القارىء إلى التطورات التي حصلت في العادات والأخلاق والطباع وسائر أنواع الحياة الإجتماعية من قبل سنة ١٩١٨ حتى أيامنا هذه . وإذ ذاك ينظر القارىء الفرق البعيد بين أخلاق الآباء والجدود وأخلاقنا . وطرق معيشتهم ، وطرق معيشتنا . وكيفية تربية أولادنا والبون الشاسع في سائر وجوه الحياة الإجتماعية كالملبس والسكن وفرش

البيوت والأكل والقيام والدرس والزواج والاقتصاد والنقل والتنوير والتديّن والعبادة والتزاور وإقامة الأفراح . والاحتفال بإجراء المآتم وسائر الاحتفالات العامة والسهرات والنوم والنزهات و . . . و . . . الخ . والخلاصة أن الأخلاق قد تغيرت كثيراً عما كانت عليه أخلاق الآباء والأجداد وتطورت بسرعة مذهلة لدرجة تجعل القارىء يقول في نفسه : إن هذا المجتمع الذي نصفه ،لا يشبه مجتمعنا في شيء . وإن أشخاصه ليسوا هم الآباء والأجداد . فقد فُقِدَ الإعتبار للمشايخ والمسنّين . إذ كان لشيخ العائلة مهما بلغ من انحطاط قدره وقلة مادياته وفقره دائماً الكلمة الأولى . والرأي الأول في بيته وعائلته . وكان كل شيخ مسنّ مكرماً أينما حلّ . وله صدر المقام أينما وجد وغير ذلك من التقدير الذي أصبح في هذه الأيام موضةً باطلةً .

٢ً العادات والتقاليد :

وبعد إبراز ماتقدم ، نعود إلى تصوير الحياة الماضية كما قدمنا . ونبدأ بكلمة عن مدرسة تلك الأيام التي لم تكن تقيم وزناً لتشويق الصغار ،وترغيبهم في التعلم وجذبهم إلى المدرسة وأخذهم بالحسنى ، حتى تذهب عنهم رهبة الشيخ وقسوته . ويخفّ هول وقع عصاه . ولذا كان السرور كل السرور عندنا « أي عندما كنا تلامذة صغاراً » خارج المدرسة . وكان الإنقباض ، كل الإنقباض داخل المدرسة . ومع هذا وذاك ، تمر الأعوام ، وتأتي مراحل الحياة المقبلة ، فنعود بالحنين إلى أيام الدراسة . ونظل كلما كبرنا ، وكلما بعدنا عن الطفولة ، نردد القول الشهير : ما أحلى أيام المدرسة .

وأنا اليوم بعد قرابة خمس وستين عاماً من تلك الذكريات ، ما زلت أذكر حوادثها على حين أشكو من نسيان أحداثٍ أجل وأعظم وقعت في العام

الماضي . وتلك أيام الطفولة اليانعة ، وأيام الكهولة الذابلة . وصدق القول : « العلم في الصغر ، كالنقش في الحجر . »

ومن باب اجترار القول أن نعلن : ان ختم القرآن . كان يومئذ عند الناس الغاية المثلى والهدف الأسمى . ولذا كانت الدراسة الإبتدائية عبارة عن تدريس القرآن في الدرجة الأولى . فكان عندما ينهي أحد التلاميذ قراءة القرآن على الشيخ « العالم الأزهري » ويكون قد أتقن إحكام التجويد ، تحتفل المدرس وأهل التلميذ بذلك احتفالاً رائعاً . يظهر فيه الإحترام العميق الذي كانت تنطوي عليه النفوس للقرآن ولحفظته وطريقه ذلك :

يخرج الشيخ والتلاميذ من المدرسة ويصفهم أربعة أربعة وعلى رأسهم التلميذ المحتفى به . أي خاتم القرآن وعلى رأسه الطربوش المزيّن بسلاسل الغزاري[1] والجهاديات الذهبية . وأمامه رفيقه المرشح لختم القرآن بعده يحمل على رأسه الكرسية [2] وعليها القرآن وهي مزينة بالزهور والورود والمصاغ . والمشايخ حوله على رأس الصف ينشد الأربعة الأول النشيد المخصص لذلك . ويرجع الصف الطويل اللازمة :

---

١ الغوازي جمع غازي . والجهاديات جمع جهادي . وكلتا الكلمتين من العملة التركية التي كانت تستعمل لزينة النساء .

٢ خلاية خشبية تستعمل لوضع القرآن أمام القارىء الجالس على الأرض .

النشيد :

الحمد لله الذي تحمّدا[1] كلم موسى واصطفى محمداً
وأنزل القرآن نوراً وهدى على النبيّ المصطفى محمداً
وأنت يا أبي الذي أوجدتني شكراً لما علمتني هذبتني

اللازمة :

الحمد لله . . . الخ

وأنت يا أمي فنعم الوالدة شفيقة رفيقة مساعدة

اللازمة :

الحمد لله . . . الخ

وأنت يا أختي فأكرميني من عسلِ النحل فأطعميني

اللازمة :

الحمد لله . . . الخ

ويسير الصف مخترقاً شوارع البلدة وأزقتها . ومن حول المحتفى به والدته وشقيقاته وقريباته يرقُصنَ ويُزلغطن حتى يصل إلى بيت المحتفى به. فيدخل الجميع حيث يكون والد المحتفى به أو المسؤول عنه قد دعا أقاربه وبعض وجوه القرية . فيرحب الجميع بالمشايخ . وبعدما يستوي المجلس ، توضع الكرسية أمام الشيخ الذي يكون قد جوّد بعض التلاميذ الكبار عشر سور

١ تحمد معناها : امتن .

صغيرة من جزء « عمّ يتساءلون » يكبرون عند نهاية كل سورة وقبل الابتداء بالسورة التالية ، يأتي المحتفى به ويقرأ راكعاً على ركبتيه بين يدي الشيخ بعض آيات من أول سورة البقرة « آخر سور القرآن وأكبرها » حتى إذا بلغ الآية « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » يأتي التلميذ المرشح لختم القرآن بعده والذي كان يحمل الكرسية على رأسه ويخطف الطربوش عن رأس المتفى به ، ويضرب به والدة المحتفى به . فتيبادر وتملؤه له راحة الحلقوم وملبساً وفستقاً وسكاكر . وبعد أن تفرّق النقولات والمرطبات وأحياناً كاسات القلبة « القمح المسلوق » بالسكر والجوز يرفقّن الجميع .

هكذا كان يحتفى بختم القرآن ، تعظيماً له ودعوة لحفظه في ذلك المجتمع الذي كان تسوده الأخلاق الكريمة والإحترام والوقار للكبار والرحمة والشفقة على الصغار . والتضامن ومعرفة الحق والإقرار به . وحفظ حقوق الغير وعدم التعدي . . . وَ . . . وَ . . . الخ .

حلق الذكر :

كانت حلق الذكر في تلك الأيام السعيدة كالمدارس الليلية في هذه الأيام . فقد كان المريدون[1] « الدراويش » يجتمعون كل ليلة إثنين وجمعة في الزاوية « جامع صغير » ويتحلقون حول الشيخ حلقاً واسعة فيقرأ الشيخ أو المقدّم نبذة عن صاحب الطريقة . ثم يشرح ما قرأه ، وتبدأ المناقشة . فيوضح

١ المريدون : جمع مفردها مريد . وهو الشاب الذي يأخذ طريقة من الطرق عن شيخها . ثم يداوم على حضور حلق الذكر وسماع الدروس التي يلقيها شيخه .

المعاني الغامضة . ثم يجيب على أسئلتهم المختلفة . وبعد الإنتهاء من ذلك ، ينتقلون إلى قراءة الحزب والوظيفة . وهي قطعة جامعة آيات قرآنية وأحاديث نبوية ثابتةً أخلاقيةً . تدعو للتخلق بالأخلاق الكريمة ولعمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ونبذ الشر والابتعاد عنه ، ومجانبة الضرر . . . و . . الخ . وبعد الانتهاء من تلاوة الوظيفة ، يشير الشيخ فيقف الجميع متراصين السليم بجانب المريض . وهم لا يخشون العدوى . لأنهم آمنوا ألاّ عدوى ولا طيرة في الإسلام . هكذا تعلمنا . وهكذا آمنّا . وما عليك أيها القارىء أن تخاف إذا آمنت ؟ بل ما ضر الإنسان إذا ما آمن بتلك الصورة المشرقة ؟ إنها حلوة عذبة ، فيها شفاء الروح وعافية النفس واشراقة الحياة . وما طعم الحياة إذا غاب الرضا وحلّ محله القلق والعذاب ؟ ويشرعون بإقامة الجلالة مرجعين بصوتٍ واحدٍ ولهجةٍ واحدةٍ نوعاً من الذكر الذي يختاره شيخهم . مستسلمين لحالة لا شعورية من اللاوعي ، تصفو فيها نفوسهم وتسمو بهم إلى الراحة من متاعب الحياة واشتعال الأمل والرجاء بالقدرة الخفية العليا . وتغيب عنهم الدنيا ومباهجها وكل ما فيها من أسواء وأدران . بينما يأخذ فريق من الحلقة بالإنشاد الذي يلائم الجلالة القائمه . ويأخذ فريق آخر تجاه الفريق الأول بإعادة اللازمة للنشيد بتنغيم وترجيعٍ يبعثان في نفس كل من المشاهدين من السرور ينفذ إلى داخله ويأخذ بمجامع قلبه وحواسه . ويضعه وجهاً لوجه أمام التديّن الحق . حيث يعصف به عاصف داخليٌ شديد من الشوق للأخذ بالتديّن متمنياً أن يقضي زمناً أطول بمشاهدة هؤلاء الذاكرين الذين رجعت إليهم براءتهم الأولى ، فانطلقت نفوسهم على سجيتها . فأخذوا يذكرون الله خالين من كل رياء . بعيدين عن كل غرور ودعوة . ولكن تلك هي الحياة أماني سائرة في حياة عابرة .

وبعد تغيير الجلالة مرتين أو ثلاثاً ، وبإشارة من الشيخ أو المقدم يجلسون وعندئذ يرتل الشيخ أو أحد المريدين ، عشراً من القرآن الكريم . ثم يبدأ النشيد الختامي الذي ينشده الشيخ أو أحد المريدين ، ويردد المريدون والحاضرون جميعاً اللازمة بترجيح وتنغيم حلوين كما مرَّ في حالة الوقوف إلى أن ينتهي الإنشاد : وعندئذ يسمح للحاضرين بإلقاء الأسئلة . وهكذا ينتهي الذكر أو الحضرة .

ومن ميزة حِلق الذكر ، أنه كان إذا لجَّ الحجاج بعد الجلالة أو تحوّل إلى غيبة أو نميمة ، يقول المقدم أو أحد المريدين : محمد رسول الله « صلعم » فيبادر الجميع بإنشاد نشيد جديد قطعاً للحجاج أوالخصام أو . . . أو . . الخ .

وقبل أن ننهي الكلام عن حلق الذكر ، نرى من المفيد ، إتماماً للحديث عنها ، أن نعدّد الطرق التي دخلت الإقليم فنقول :

أول طريقة دخلت الإقليم ، هي الطريقة الشاذلية ، وذلك في أيام شيخها الفرد علي نور الدين اليشرطي وكان ذلك في أيام رستم باشا . وأول مقدمٍ لها في شحيم كان علي أفندي أبي خزعل الحجار : « مدير الإقليم يومئذ » . ومن بعده انتقلت إلى المقدم عبد اللطيف ضاهر موسى عبد الله . ومنه إلى المقدم رشيد حمود مراد البقاعي . ومنها إلى المقدم محمد علي عبد الكريم الحاج شحاده ، أول مختار لحي شحرور . ثم تحولت في آخر الستينات إلى المقدم الحالي محمود رشيد حمود مراد الذي لا يزال فيها إلى يومنا هذا .

وفي عهد يوسف فرنقو باشا ، دخلت الاقليم ، الطريقة الرفاعية عن يد العالم الصوفي الشيخ أنيس الحسيبي الدمشقي . وكان أول مقدم لها الشيخ حسن منصور الحجار . ثم انتقلت إلى ابن أخيه الشيخ منصور الحجار ثم انتقلت إلى المقدم الشيخ سعيد الحجار « خال المؤلف » الذي

بقي فيها إلى أن توفي سنة ١٩٦٧ . ولم يخلفه أحد لكن الدراويش لا يزالون يقومون بأعبائها ليومنا هذا ، وقد كانت في الإقليم طريقة ثالثة هي الطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني . وكان المقدم الأول لها الشيخ درويش سليمان شعبان . ومن بعده الحاج يوسف نصره شعبان الذي توفيّ في أول عهد الفرنسيين . فانقرضت الطريقة بموته . أما برجا فلم تدخلها الطريقة الشاذلية إلا بعد دخولها شحيم . ولا نعلم من كان المقدمون الأول فيها . غير أنه في آخر عهد العثمانيين ، كان محمد الزين مقدم الطريقة ثم جاء بعده الشيخ يونس الخطيب ومكث فيها إلى آخر العشرينات . ثم انتقلت إلى الشيخ يوسف زين . كما أن الشيخ حسن قاسم سيف الدين كان مقدم الطريقة الرفاعية ثم انتقلت منه إلى الشيخ عبد القادر سعيفان ثم إلى محمد علي ترو . ولم يخلفه أحد بعد موته ، لكن الدراويش لا يزالون يقومون بأعبائها.

وفي المغيرية كان الشيخ علي حمام أول مقدم للطريقة ثم ابنه الشيخ حسن من بعده . وبموته انقرضت الطريقة فيها . وفي أوائل عهد الفرنسيين دخلت الطريقة الرفاعية كترمايا وحصروت عن يد الشيخ سعيد صالح الحجار أمام الطريقة الرفاعية في شحيم وأول مقدم في كترمايا كان الشيخ نجيب أسعد أبو مرعي كما كان الشيخ علي حسين شاهين المقدم في حصروت . وبموتها انقرضت الطريقة في القريتين . هذا ملخص الطرق الصوفية في الإقليم .

المآتم والأفراح :

في أول هذا الفصل ، أتينا باختصار على وصف المآتم . ونذكر هنا كيفية إقامة الأفراح فنقول : لا يغرب عن الذهن أن الأفراح في إقليم الخروب كله تجري على نسق واحد . لذلك إذا وصفنا كيفية إقامة الأفراح في قرية ما ، نكون كأننا وصفناها في جميع قراه .

الخطبة والزواج :

للخطبة والزواج عادات لم تتغير بتغيّر الأيام منذ وجود الإقليم إلى أواسط القرن العشرين .

١ً — **التلسين** : أي ان أهل العريس يطلبون البنت من أهلها سراً ودون أن يدري أحد بالأمر ، وإذا تم الإتفاق ، يصير الحكي الرسمي أي الخطبة . وقديماً كانت الخطبة تدعى القضة . فيذهب جمهور الأهل والأصحاب والوجوه إلى بيت العروس . وبعد أن يتناولوا ما لذّ وطاب ، ينبري الأكبر سناً وقدراً ويطلب العروس من أهلها قائلاً : « بدنا بنتكم فلانه لفلان » فيجاوب والد العروس أو الأكبر سناً من أقاربها : « إنتو غاليين وطلبتوا رخيص . وان كان ما عندنا نفتش لو على عروس » .فيقول الطالب الأول : « احصروا لنا الجواب بواحد منكو » فيجيب أخيراً والد العروس « عطينا إن كان الله أعطى » وعندئذ تقرأ الفاتحة . ويضع العريس أو أحد عزوته خاتم الخطبة بإصبع العروس والمقابل يضع واحد من أهل العروس خاتم الخطبة بإصبع العريس . وعندئذ يحق للعريس أن يزور بيت عمه ساعة يشاء حاملاً لعروسه الحلى والقماش . ومن المآكل ما لذّ وطاب .

ولأجل التفكهة نسرد بعض ما كان يجري قديماً . فقد كان الأب والأم يخطبان لولدهما من يريدانها دون أن يراها الخاطب . وأحياناً كان كبير العائلة يقول « فلانه لفلان ، أو فلان لفلانه » ولا يقبل اعتراض على هذه الأحكام الجائرة . وغالباً ما كان الخطيب لا يرى خطيبته إلا قبل العرس بأيام معدودة .

العرس :

عندما يعزم الأهل على عمل عرس ولدهم ، يعزمون الأقارب وبعض المتنفذين في القرية قائلين : « عقبال عندكو . عزمنا على إقامة الفرح . والفرح كما تعلمون لا يتم إلا بأهلو . وأنتم أهلو . » فيجيبونهم : « نحنا حاضرين لكل ما تأمروا » وهكذا كان يتم العرس بالتضامن والتضافر . إذ يأتي الأقارب بكل ما يستطيعون من مساعدة — كما ذكرنا في أول هذا الفصل — لإقامة الوليمة الكبرى . ثم تنصب الحلقين [1] ويلقى فيها الخروف المذبوح مع القمح المقشور ولا تزال هذه العادة متبعة في الأعراس لأيامنا هذه وقلما يخلو عرس من عمل الهريسة .

ومن الصباح الباكر يجتمع الشبان ويذهبون إلى البيت الذي يكون العريس يستحم فيه . ويأتون به مرفوعاً على الأكتاف بالهزيج والتراويد والرقص والغناء والحداء وإطلاق الرصاص إلى الساحة العامة حيث تقام الصهجة . وهي عبارة عن حلقة واشعة تضم الشبان جميعاً برقص دائري ينشد كبير الشبان وشيخهم أغاني بدوية ويرد الجميع عليه . وفي الوسط والدة العريس وشقيقاته وقريباته يرقصن ويزلغطن إلى جانب لاعبي « الحكم » السيف والترس من جهة . وقبّة فوق قبّة « اهرامات » من جهة أخرى . وتدوم هذه الحلقة إلى قرب الظهر . ثم يتحول الجميع إلى بيت العريس حيث تكون قد مدّت موائد الطعام . فيقبل الجمهور على المائدة . ويقدّم الأغراب ووجوه القرية أولاً . ثم أهل القرية والشبان . وأخيراً أهل العريس وعزوته . وبعد الإنتهاء من الطعام يذهب الشبان والصبايا ويأتون بالقماش « جهاز العروس » من

---

[1] حلة كبيرة من النحاس تستعمل لسلق القمح ولعمل الهريسة .

بيت أبيها إلى بيت العريس . وفي المساء تبدأ النقطة — « مساعدة للعريس » . وقد كانت للنقطة قديماً طريقة مثيرة :

توضع العروس على ظهر فرس . ويمسك المقود رجل من محارمها يدعى المشوبش . يصرخ بأعلى صوته : خلق الله على فلان . وهذه نقطته : بشلك أو زهراوي . أو نصف ريال مجيدي ، أو ريال مجيدي [1] . وهذه المناداة تسمى الشوبشة . وقد تغيرت هذه العادة من أول القرن العشرين : فأصبحت النقطة تسجل في قائمة « كما هي اليوم » وتكون على حسب طاقة المنقط ودرجة قرابته من أحد العريسين . وتجمع النقطة في صرة يحملها أكبر الحاضرين قيمة وقدراً . ثم يسلمها للعروس يداً بيد عندما يأتون بها من بيت أهلها إلى بيت العريس . وهكذا ينتهي العريس بعد ثلاثة أيام . أما الرجال الكبار فكانوا يجتمعون طيلة أيام العرس في بيت العريس أو في بيت أحد أقاربه . وتقام هناك حفلات مختلفة الأنواع أهمها : حفلات المعنّى التي اشتهرت فيها بعض قرى الإقليم وخاصةً شحيم . وقد نبغ من الإقليم قوالون مشهورون سنكتفي بذكر بعضهم . وسنذكر سهرة من تلك السهرات العامرة التي كانت تقام لا في الأعراس وحسب ، بل في كل المناسبات .

حفلات المعنّى « الزجل » :

اشتهرت شحيم في أواخر القرن التاسع عشر بقول المعنّى وصار يقصدها القوّالون من قريب ومن بعيد . وخصوصاً في أيام وجود القوّالين المشهورين:

---

[1] عملة تركية قديمة : فالبشلك كان يساوي ثلاث قروش والزهراوي يساوي بشلكين وريال المجيدي سبعة بشالك ونصف على حساب أن الليرة العثمانية كانت تساوي ١٢٥ قرشاً .

حسين زرزور شعبان وحمود يوسف يونس وإبراهيم شافي وحسين البقاعي وحمدان ابراهيم أسعد الحاج شحاده وعلي مصطفى شعبان . ومن الإقليم فارس نسيما وعلي بجود من البرجين والشيخ علي عبد الرحمن الخطيب من مزبود وغيرهم . وفي أيامهم قصد شحيم كثيرون . نعرف منهم : الياس الفران من فرن الشباك وأبو منصور صافي من الشويفات والقوال المشهور ملحم يوسف من بعقلين وحمود رحال من بعلول وغيرهم . وقد بلغت شهرة حسين زرزور شعبان وحمود يوسف يونس لدرجة انه كان إذا قصد قوال من الإقليم قرى بعيدة لمقاولة فنانيها . لا يعتبرونه قوالاً إذا لم يكن حاملاً شهادة أو توصية من حسين زرزور . حتى ان بعض القوالين في الخارج كانوا إذا أرادوا أن يرجعو اعتبارهم يقولون : انهم نازلوا قوالين من شحيم . وإلى القارىء بعض الحوادث التي تثبت ذلك :

١ً — قصد علي بجود من البرجين ، قرية الناعمة لمقاولة زجالها المشهور مراد الخوري . وابتدأ القول علي بيحود فقال :

قصدت الناعمه زاير وخاطر ... طَرْحوا عليّ الصوت وإجوني طفاح
ركب منصور وربعو خلف مني ... كلتهن بالبواريد والسلاح
ركب منصور وربعو خلف منّو ... عندو فكر إنّي بخاف منّو
واما مراد وابنو الشر منّو ... هداك بواب الشر بإيدو فتح
هداك بواب الشر بإيدو بنّى ... لملم دموع كتير عمرَيْن اعتنّى
لِمَّن علي بيجود هزلّوا القنا ... بكل أرض الناعمه ما عاد رمح
بكل أرض الناعمه ما عاد قَعَــد ... راح قومو بعيد عن قومي نَفَدْ
الخ ...

أجابه مراد الخوري :

أهل الدكا حملوا سيُوفْ وِتعَدّلوا ... لوْ بتَعرِفْ أيْشْ صار وشو جرَى؟
ما حدا بينقل سيوف ولا رِمَـــاحْ ... إلاّ ما أهل شحيم تعطي تذكره
الخ ...

أجابه علي بجود غاضباً :

مراد وألْفِ مراد ما نالوا المرادْ ... شحيم والإقليم ما انْهزَتْلْهَا
شحيم وألف شحيم مع كل القليمْ ... سيفي ورمحي والقنا هزّتْلَهَا
علي قهرتِ الكل في يومِ الطراد ... قد خضتها ودوّخْتِها وركّعتِها
الخ ...

أجابه مراد الخوري :

ألعنطَزَه والبَهْوَره والمَيْنْ ... ما بتِنْفَعَكْش يا علي بو حسَيْنْ
وأهل المعاني ما بيعتبروك ... إن لم تكن تحملْ شهادة مِن حسَيْنْ
وأهل المعـاني ما بيعتبروكْ ... وبيناتيهِن ما تْظُنْ بيعُدّوكْ
وان كنتِ تطمع ان تكونْ قوّالْ ... من شحيم رُوحْ جيبْ وَرَقتك يا زين

* * *

٢ً — وجرى عرس في بشيمون ، تفوّق فيه قوال اسمه بشاره على أقرانه من الدروز . فما كان بعض الشبان إلاّ أن حضروا إلى الخان حيث كان ينزل بعض المكاريه من شحيم . وأخذوا واحداً منهم لمقارعة بشاره . ولما وصل الشحيمي إلى الحلقة ، بادره بشاره بقوله :

بدعي على شحيم العديّهْ بالخراب   يسكنْها البوم مع طير الفراخْ

وبعد أن أكمل مطلعه على هذا النمط من القول ، ووصل الدف إلى الشحيمي ، أجابه :

بدعي على بشيمون تُعْمُرْ باهلها   بالعلالي والقصوره والكواخْ
من دون بيتَك يا بشاره ينهدِمْ   وكلّ عِمْدٍ مالْ لصوبلك كلَخْ

* * *

٣ً — وجرت مقاولةٌ في الشويفات ، تفوّق فيها أبو منصور صافي على خصمه الذي لم يتمكّنْ من إثبات أهليّتِه ، إلاّ بأنْ يقول : نازل أحد قوّالي شحيم وأنشد :

دارِ الكنيسه كانْ فيه جمهورْ   يوم الشحيمي ما حَـدا بَيّنْ
دارِ الكنيسهْ كانْ فيه جمهورْ   كان الشحيمي بَيرَقو مَنشورا
لولا حضوري يا أبو منصور   لَكَانْ علمو لِلْجميع فيّنْ
لَكَان علمو لِلجميع مَيّـلْ   وعاد يتمايل يَمينْ وشمالْ
فتّحتلوا الارصاد والاقفالْ   تهاوَنْ معي بالحال وتْلَيّنْ
تهاوَنْ مَعي صرنا سوى نْغَنّي   وبمعاني القَوْل نِتْمَعّنْ
هيديكْ ساعه كان لها رَنّي   وِصِلْ خبرها لَجَبَل حورانْ
وصل خبرها لا جبال الشوف   وسْأَلْ عني بالبلاد وشوفْ
يوم الكريهة ان سَمّينا سيوف   عندي الفوارسْ دوْمْ تتعيّنْ

* * *

٤ً — وقصد حسين البقاعي يوماً قرية الناعمة . وفي سهرة قال له مراد

الخوري مشيراً إلى إبنه يوسف الخوري : يا حسين هذا ابن أخيك . لا تقس عليه قولوا عتيق . ولكن لما قال حسين البقاعي مطلعاً قديماً ، عبرّه يوسف الخوري قائلاً :

عار على اللي مِتلكو مشهور   يحكي كلام يكون أمس انقالْ

وما أكمل مطلعه حتى أخذ حسين البقاعي الأوف وأنشد غاضباً :

يا أهل الناعمة لا تخدعوني   أنا بالفن شاويش الصقورة
لولا الخوف من رب البرايا   لقيم البيت كلج البحوره
لولا الخوف من رب البرايا   لأرفع رايتي فوق كل راية
حفظت الفن ما قريت القرايه   كأني حافظو سوره وسوره
كأني حافظو خفضه وشكلى   ورمحك يامراد بالقلب شكله
ان لبست الدرع بكله فوق بكله   لقيم البيت وطبق للجسوره

* * *

٥ً — وقد بلغت ثقة الناس بقوالي شحيم ، لدرجة أنه كثيراً ما كان يتفق أن يأتي أناس من القرى البعيدة ويطلبون منهم حل مشاكلهم المعقدّة بنظم مطالع ترمز إلى هذه المشاكل بطريقة اللغز مخافة الشر والفضيحة وما شاكل ذلك . وحدث أن أحد شبان الشوف خطب فتاة وبعد ثلاث سنوات ردّها إلى بيته فلم يجدها عذراء . وخاف أن يحصل له ما لا تحمد عقباه ان أعادها فوراً إلى ذويها . سيما وكان لها أربعة اخوة أشداء . فلم ير أفضل من أن يأتي إلى شحيم ويطلب من القوّال حسين البقاعي المذكور سابقاً تخليصه مما وقع فيه . فاستجاب ونظم له المطلع التالي :

بالبداية رِدتْ ابنيلي دْياره ۝ خُصـصّت إلي ما بيدخلوها الظالمين

من ساعتي بادرت اسرع بالبنا ۝ وخلقة الله لا أريد معلمينْ

من ساعتي بادرت اسرع بالبنا ۝ وقلت هذا القصد وبلوغ المنى

وبنيتها بعامين لثالث سنة ۝ وحجارها شقف الرخام مزنرين

وحجار شقق الرخام مزنْيره ۝ وكنت ظانن هالعماره جوهره

ما يهزها المدفع وضرب القنبره ۝ وجعلتها من فعل الصواعق مانعه

ورِدت أدخلها بسنة الرابعة ۝ تطلعتْ ولقيت القفوله مخربطين

تطلّعت ولْقيتْ القفولة مخربطة ۝ والختومة طايره ومفرْطقه

وقلت هذي دار ما هي عانقى ۝ يحرم عليَّ دخولها يا حاضرين

يحرم عليَّ دخولها طول المدى ۝ بحيث أنو حلولها متزايده

لا شك أنو بيدخلوا إليها العدى ۝ قد بعتها بأرخص ثمن للشاريين

وبعتها نجسه لناسْ متالها ۝ وخبرونا بواقعات مْتالها

واللي حضرها ما غباهم حالها ۝ طنّشوا بما بجم مثقفلّين

طنشوا يمّا بَجَمْ مِتْغَفّلا ۝ بالذي قد صار بريم الفلا

وما فيّ الا قول لا حول ولا ۝ وكل رعاية يوم بْتَيْسَنِةْ سنين

يتّضحُ من هذا المطلع أنّه شبّه الفتاة « العروس » ببناية ثابتة الأركان. اختار لها أغلى حجارة الرخام. وبناها بيده. إذ لبث ثلاث سنوات يبنيها. فجاءت من المتانة بقوة لا يهزها ضرب القنابل. لأن أركانها الأربعة « أي اخوتها الأربعة » من المعادن التي لا يؤثر فيها شيء حتى الصواعق. ولكن لما جاء ليدخلها ، وجد أقفالها مخربطة « غدارها لأن اللصوص « الأعداء »

وبلحوها قبله. وبهذه الألغاز والرموز ، استطاع أن يعيدها لذويها بطريقة أمِنَ فيها شرّهم. لأنه لم يفضحْهم.

* * *

٦ً — وجرى عرس في المعنيّة وهي قرية في الاقليم الساحلي. وكان سكانها شركاء لآل حماده. وحضر ملحم يوسف حماده القوال الشهير ومعه جوقتهُ المدرَّبة على الردّ والإعادة. وهناك طلب المبارزة من قوالي شحيم الذين لبّوا الطلب حالاً. ولما وصل جمهورهم للحلقة انبرى ملحم يوسف منشداً :

خيّروني مَنْ فارسْ خيلكو ۝ إن كان حمّود البطلْ يمّا حسين

خيروني مَن فارس خيلكو ۝ بالعسى تكونوا جيتوني تنينكو

سوق الوغى مفتوح بيني وبَينكو ۝ من هَوْن لطلوع القمر والنّجمتَيْن

سوق الوغى مفتوح ما بيناتنا ۝ ومالوْ بْدايه ولا حدود مبدانا

قيمه ورميناها على ساحاتنا ۝ ويْن الزنود العامرَه للشَّيْل وَيْن

قيمه رمينا للكبير وللصغير ۝ ولّلي اجا ولّما اجى ورايحْ يجي

واللي بفكرو يزين شياتو يجي ۝ مُهري مْرَبّطْ عالدروب مثْل الغفرْ

وقدرهْ تحتْ زنّار من قال وشَعَرْ ۝ بحمّود راحْ يبدي وبِختُم بحسين

فأجابه حمّود :

بتقضي تقاليد الضيافة والكرم ۝ واللياقه بالوقوف للقادمين

لولا وقفت وكنت قُمْتْ بواجبك ۝ وتلاقِت الأشواق منا والإبدين

وصار ما بيناتنا أخذ وعطا ۝ كنت عرفت مَن من أحد التنين

وصار ما بيناتنا أخذ وعطا ۝ والزرَدْ فوق الزرد حلكّ وسّطا

عندي مُهْر بالحرب عمرو مالطا   يصدر الفيالق دوْم رافع رايتيْن

بصدر الفيالق دوْم برفع للعلَم ْ   ويقذف الأعداء بمر السّهام

وبصرع الأخصام بحد الحسام   بضربٍ يقد ّ الهام بالعزم المتين

وما أن انتهى حمود من الإنشاد ، حتى أدرك ملحم يوسف أيّ خطإٍ ارتكب من عدم القيام لملاقاة صنوه . وكيف لا يدرك ذلك والدروز مشهورون بالمحافظة على التقاليد لأنهم مطبوعون عليها وبذل فوق ما يتصور الإنسان من حسن ملاقاة القادمين بكل ذوق وترحيب وبشاشة وكل أنواع الاتيكات كما يقال في عصرنا ولذلك تأثر واعتذر لمقارعه بمطلعٍ طويل لم يصلنا منه إلاّ بيت واحد :

ربي رماني ببطل عزمو شديد   خفت ان اوقف ويضربني سهام

ثم أضرب عن القول .

* * *

٧ً – وكان احد قوالي شحيم يبيع العدل والمخالي والبلس في البقاع ، فعيّره القوال حمود رحال من بعلول قائلاً :

سمعنا بصيطكوا قبلاً وصلتو   أهل شحيم بباعين فحالي

* * *

ثم قال أيضاً :

صارلك تلات ايام بالغربه   راح عليك يا زين شغل بلاش

صار لك تلات ايام بالغربه   رح لك عليك عديلتين وبلاس

فأجابه الشحيمي قائلاً :

عيّرتني بالكار والصنعه   هل نسيت النير والمساس

عيّرتني بالكار والصنعه   ما ذكرت النير والشرعه

لاجْعل عذاب أهل الدكا صنعه   وإفعل فعال الزير مع حساس

* * *

وكان الناس يقصدون شحيم من القرى البعيدة لحضور حفلات الزجل . وليسمعوا ما يُقال فيها من مقاولات وتحديات . وسنعيد باختصار حفلة من هذه الحفلات. ففي عرس محمد قاسم قميح الحجار كان من جملة المعزومين قسم من مشايخ آل عبد الصمد من عماطور وقسم من مشايخ آل أبي حمود من الباروك وأقيمت حفلة زجل تكريماً لهم . تبارى فيها قوّالا شحيم المشهوران . حمود يوسف يونس وحسين زرزور شعبان . وسنجتزىء من كل مطلع ، بيتاً أو بيتين حسب الحاجة بدأ القول حمود فقال :

على قوس القزح من راد يركبْ   وان القاه يعرف ويْن جابو

وهلي لا بيقرا ولا بيكتِبْ   من أهلِ الدكا يداري جنابو

ويُفهم من قوله انه عير مقارعه بالامية التي لا تليق بأهل الدكا

فأجابه حسين زرزور وشبه نفسه بالفارس المخلوع سيفه ولكنه ثابت في ميدان النزال ؛ ثم أنشد :

هللّي بينْخلعْ بالحرب سيفو   عالأحكام بدو يكون صابرْ

عالأعجال ركّبنا المدافع   خذوا حذركوا اجتكوا القنابر[1]

---

[1] في تاريخ الأمير حيدر صفحة ٨٠٤ : ابتدى الحصار على القلعة « قلعة صانور في نابلس » بضرب المدافع والقنابر . وفي صفحة ٨٠٥ : ثم دام الضرب على القلعة ثلاث أيام من منافع وقنابر ووردت في هذا التاريخ عشرات المرات . وفي تاريخ الاعيان في جبل لبنان مثل ذلك .

وهكذا وجه على خصمه المدافع والقنابر . وقد كان يُعبّر بها يومئذ عن القنابل .

أجابه حمّود يوسف :

ياهْل الفن زدتوها علْيينا   وجزتوا الحد وقطعتوا التخومه
وان كان عالعجل ركبتوا المدافع   تحت الأرض حطينا اللغومه

وتجاه لغم الأرض واستحالة التقدم عليها لمواجهة الخصم ، لم يسع حسين زرزور إلا أن يُجْري الماء ليغرّق الأرض ويَشِلّ حركة الآليات والمدافع . فأنشد :

فيض يا فنّي على اهل الفن فيضْ   حتى تعم عالقريب وعالبعيد
وِفْعال فيهم ما فعل طوفان نوح   يتذاكروها الناس ليوم الوعيد

وطلب حمود الدف ليجيب مقارعه . فحال الضيوف المشايخ بينه وبين ذلك . وحجتهم انه لم يبقَ من سبيل لمواجهة العدو بسبب غرق الأرض تحت الماء . ولكن إلحاح حمّود الشديد لأخذ الدف جعلهم أخيراً يجارونه ويعطونه الدف جبراً لخاطره . فاأنشد وسيرى القارى قوة الخلق والابداع وحسن التخلّص من المحنة عند حمود بجوابه البعيد الغزر والمدى حيث قال :

دير بالك للتي ترعى الغنمْ   وقتالبقوا كل البحوره هايجين
السفينة عوج واقفْ حدها   والكل عاكتفوا بقينا راكبين
السفينة عوج واقفْ حدّها   بيدو بعدّها وبيدو بردّها
هذي وقابعْ للبشرْ بتْعِدّها   يتذاكروها الناس وحيناً بعد حين

وهكذا ظهرت — كما قدمنا — قوة الخلق والإبداع عند حمّود وظهر

اطلاعه على خفايا التاريخ . ولا بدّ من توضيح هذه الأبيات التي كان منطلقها عند الفنّانين من نقطة واحدة هي الطوفان . تقول القصة : انه لما فار التنّور وأغرق الطوفان الأرض ، كانت هناك امرأة مؤمنة ترعى غنمها لِتشُعيل أولادها اليتامى . فلم تشعُر بالطوفان . وإن عوج بن عناق الذي ذكره القوّال هو ابن أخت النبي نوح . وانه كان عملاقاً . لم تصل مياه الطوفان إلى كرعوب رجله . وان نبيّ الله نوحا ، لما أرسله ليحضر الخشب لصنع السفينة ، قطع عدّة أحراش ، وعندما أراد العودة ، لم يجد الحبال اللازمة لحزم الحطب المقطوع . فرجع خالي الوفاض ١ ، بادي الإنقاض . لكنه عندما وصل ، شاهد نوح أن أربع شجرات كبيرةٍ كانت معلقة في ثيابه من الوراء ، دون أن يشعر بثقلها . فكانت كافية لصنع السفينة .

والخلاصة أنه لم يكد حمّود ينتهي من الإنشاد ، حتى هبّ المشايخ وقوفاً مصفّقين بإعجاب من براعة القوّاليْن الكفُؤيْن . وقوة الخلق والإبداع عندهما . وحسن التخلص من الألغام والغرق تحت الطوفان . فبادر كل من شيخي العائلتين المعزومتين . وألبس كل منهما واحداً من المتقاوِليْن الكفؤيْن عباءته . وإذا أردنا أن نذكر أمثلة من هذا النوع ، نحتاج إلى مجلدات فنكتفي بما أوردنا ، ولكن لا بدّ من ذكر نوعٍ من أنواع الزّجل ، أوجده زجّالو شحيم ، وتفوّقوا فيه . وهو عبارة عن نظم مطلع يحوي حروف الألفباء كلها . ويسمى الألفية . وطريقة ذلك : ينظم القوّال ثلاثة أوأربعة أبيات يجعل من حرف قافيتها لازمة . لآخر حروف أبيات الألفية كلها . نبدأ مثلاً بحرف الباء ، فيضع الباء في أول بيت الصدر ثم ينهيه بباء . ويبدأ عجز البيت بباء وينهيه بالباء . إلى أن ينتهي من أبيات حرف الباء فيضع في عجز آخر بيت منها اللازمة . ولزيادة الإيضاح نثبت حرفين من ألفية شيخ

القوالين – وقتئذ – حسين زرزور شعبان . يقول الناظم :

حَكَمْتَ الأيام بتفريقنا   وأضرمت نار الحشا والفكر هاج
صاحت ديوك العرش يوم فراقنا   مومى لأجلي كلم المولى وعرج
صاحت ديوك العرش يوم فراقنا   حين الذي شالت ظعون رفاقنا
وكتبت في لوح الازل أشواقنا   واعتمدت الصبر وتركت اللجاج

وهكذا جعل القوّال لازمة الألفنية حرف الجيم .

ثم تبدأ الألفية بحرف الباء لأن الألف اللينة لا تقبل الحركة ولا يمكن الإبتداء بها .

والباء : بانلي [1] بالدلايل والكتاب   بافتراق الشمل من كل البواب
بَديت قول أشعار عا فقد الحباب [2]   بعد فرقتهم أنا بصيح غريب
يبكي على الخلاّن والدمع انسكبْ   بنطر [3] التوديع من قبل المغيب
بسألك يا رب عفو من العذاب   بمن سكنْ مكه نه زمزم وطيب
بالرسل بالصلاح بالعشرة الصحاب   بملتقى الأحباب تجمعنا قريبْ
بلكي [4] بتشفي نار قلبي من اللهابْ   بأمينْ من أحوال الزمان ولو حَرَجْ
والتاء : تتذكر أوقات مضيتْ   تاريخ صارت مثل ما معنا انقضت
تاري سليمة بالفراق توكلتْ   تقلب كراسي العز وتهد التخوت

١ بانلي : أي بان وظهر لي .
٢ الأحباب .
٣ أي احتظر .
٤ كلمة عامية معناها : ربما .

تصطاد بأشراكها من قايلت   تهدم الأقلاع وتعمرْ بيوت
ترمي تهايمها بناسٍ املّتْ   تجعل مساكنهم بيوت العنكبوت
تقديرها فيه الحبار تناقلت   تمَّ تخبير المنزّل بالحجاجْ

ويجري هكذا حتى تتم حروف الألفباء كلها . . . الخ .

شيوخ الشباب :

وقد كانت للشباب حلقات أخرى يتبارون فيها بقيم الشيلة « رفع الأثقال في أيامنا » أو بالإنشاد أو بلعب الحكم أو بغير ذلك تحت إشراف شيخهم . وشيوخ الشباب عبارة عن تكتلات عمّت في القرن التاسع عشر جميع مناطق جبل لبنان على غرار النوادي والمنظمات والجمعيات في هذه الأيام . وكان يختار لها رئيس من بين الشباب أنفسهم . على شرط أن تتوفر فيه البنية الجسدية وقوة العضل وشدة الساعد و . . . و . . . الخ .

وقد اشتهر في قرى الإقليم أفراد من هؤلاء عرف منهم – « كما رواه لنا أجدادنا » أحمد آغا أبو عواد من عانوت ومرعي بطرس عيد من مزرعة الضهر ونمر العليّة من ضهر المغارة والشيخ عبد الفتّي الخطيب وحمدان ابراهيم اسعد الحاج شحاده من شحيم . وكانت هذه الفرق تجتمع كما قدمنا في مناسبات مختلفة كالأعراس وحفلات الختان « التطهير » وغيرها . وكثيراً ما كان يجري فيها – كما ذكرنا – إنشاد المعنّى . وفي إحدى هذه الجمعيات أنشد أحد الشباب المسمّى : حسين الحاج علي الحاج شحاده المطلع التالي :

يا شباب المرد [1] وينو شيخكم   حضرة جنابو مع شبابو ما إجي

١ مرد جمع مفردها أمرد وهو الذي لم يتكامل نبت الشعر في وجهه .

درّفوا مرسال لعبد الغني مبيّن عليها إلحكاية محرّجي
درّفوا مرسال لعبد الغني لا غنى عن مجيتّو لا غني
وان ما إجا رايح بْيِبْطل الغنا نيران قلبي لالقاه ملهوجي

وبعد موت الشيخ عبد الغني الخطيب ، أصبح حمدان ابراهيم أسعد الحاج الحاج شحاده شيخ الشباب . وهذا هو الذي أحضر لشحيم والإقليم لعب الحكم بعد رجوعه من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني .

لعب الحَكَمْ أو السيف والترس :

لعب الحكم عبارة عن مبارزة وديّة فتية بالسيف والترس ، بين لاعبَيْن يحمل كل منهما سيفاً وترساً . يضرب الواحد منهما الآخر بالسيف فيتقي المضروب الضربة بتَرسه موجهاً فوراً للأول الضرب بدوره . وهكذا يتبادلان توجيه الضرب الفنّي على مختلف أعضاء الجسم وعلى قرع الطبل بإيقاع جميل وإذا ما أسرع قارع الطبل بنفره على الطبل . يكون ذلك تنبيهاً إيذاناً باحتدام المبارزة وحثاً على إنهائها ودعوة لفوز أحد المتبارزين وكثيراً ما كانت تتحول المبارزة لقتال رسمي ، فيسرع الحكم عندئذ ويفرق بينهما .

التطهير أو الختان :

التطهير سنة مؤكدة بل واجب ديني عند المسلمين . — وقد أخذ يجاريهم فيها أغلب أتباع الديانات الأخرى في هذه الأيام — فمنهم من كان يحتفل به بعد مولد الولد بسبعة أيام . ومنهم من يترك الولد حتى يبلغ الخامسة عشرة من عمره . وكان يجرى — غالباً — على الطريقة الآتية :

يُعزم الأهل والأصدقاء ويؤتى بالمغنين والمغنيات ومعهم آلات الطرب « الطبل والدربكة والمجوز [١] » ثم يُحنّى الولد ويُرشّ بالورود والتمائم . ويركبونه على فرس أو دابة عليها الحلى والجلال المتقن يحف به الشبان والشابات والأولاد بالثياب الجديدة ويتقدمه المطبلون « النوَّر » والمزمرون ومعهم المطهّر فيطاف به في الشوارع والمعابير [٢] . وأحياناً يزوّرونه — جهلاً — إلى مقامات بعض الصالحين . كأبي الوفا وروبين وأبي الزرد والشيخ عثمان « في عانوت » وجامع القرحانية « الشيخ محمد البغدادي » في البرجين والشيخ صالح في كترمايا وغيرهم . وتدوي أمامه العراضات . ويجري لعب السيف والترس وكلما مرّ الموكب بدار أحد أقارب الطفل أو أهل الفضل والوجاهة . وقفوا لقراءة الفاتحة . والنساء ترمي عليه القضامة أو الملبس والنقولات أو ترشهم بالعطور والزهور أو الرز حتى يرجعوا إلى بيت أهله . وعندئذ يبادر الختان « المطهّر » إلى إعداد أدواته . وحينئذ تأخذ الوالدة الغلام وتجرده من لباس الزينة وتخلع عليه قميصاً أبيض أو قمطاناً . فيبدأ المطهر بختان الولد الذي كان يُخفى صراخه ضجيج الأوائل وزغردة النساء .

وهكذا فقد اثبت في كتابي بعض ما درس من العادات والتقاليد التي كانت تسود مجتمعنا .

ولا يزال الكثير مما لم نذكره منها جارياً — إلى أيامنا هذه — على وتيرة واحدة . كالاحتفال بقراءة الموالد ، والمعونات « أي المساعدات » التي يقدمها الأقارب والأصحاب للمصاب أو المنكوب بنكبة مالية . أو مناصرة

---

١ نوع من الناي مصنوع من قصبتين فيهما ثقوب تنقل عليها الأصابع عند النفخ به .
٢ المعابير جمع معبور وهي كلمة عامية معناها شارع ضيق .

المظلوم أو المهضوم حقه وما شابه . كذلك لم نذكر العادات والتقاليد في القرى المسيحية على انفراد . اما لأنها لم تتغيّر أو لا تزال كما كانت منذ وجودها كالاحتفالات الدينية والزياحات وتنصير الأطفال الصغار ، واما لأنها واحدة كما وصفناها قرى الاقليم .

وبذلك نصل إلى آخر المدى الذي أردنا أن ينتهي عنده كتابنا – كما بيناه في المقدمة – ولا بد من أن نذكر أن بعض الأهل والأصدقاء ، هالهم ارتفاع كلفة الطبع فأوجسوا خيفةً من قلة البيع وأيقنوا بالخسارة الحتميّة . فإلى هؤلاء جميعاً أقول : كما قال المسيح عليه السلام : «ما بالخبز وحده يحيا الإنسان » (وما بالمادة وحدها وبعالمها يعيش الناس فالربْح والغنى والخسارة والفقر ، وما شاكل ذلك ، كلها أمور لا تساوي قلامة ظفر في عالم الروح والمعنويات الذي تسوده الطمأنينة والراحة النفسية ويخيم عليه الضمير اليقظ .

٢ من الجائز أن تُعبّر كثرة البيع عن النجاح . ولكن ليس معنى هذا ان عدم البيع يعبّر عن الفشل . فالفشل الحقيقي هو أن يضع المؤرخ كتاباً لا يعبّر عن الواقع الحقيقي . ويقدمه كنوع من التجارة أو الدعاية لنفسه .

والحمد لله أولاً وآخراً



الزلازل في الاقليم

منذ وجد الإقليم ، دهمته طوارىء الدهر . ونكبته بالزلازل العديدة المتتابعة التي دمّرت قراه وآثاره ، وأحالتها أثراً بعد عين . سيما المعبد الوثني الكبير ، المعروف باسم القصر . والواقع على مسافة نصف ساعة إلى الشمال من شحيم . وساخت أراضٍ كثيرة ، وغارت جداول وعيون ، وتشقق جبل شحيم « القلعة » الواقع إلى الجنوب الشرقي منها والمعروف باسم شق العجوز . وغار نهر روبين فسبّبَ انفصال قسم كبير من الجبل المذكور بعرض أربعمائة متر تقريباً . فانزلق وزحف . ولا يزال ينزلق ويزحف إلى أيامنا هذه ولكن ببطء منحدراً لجهة الشمال حتى الوادي الذي ينبع منه نهر شحيم الشتوي وذلك بفعل الزلازل التي حدثت في الماضي البعيد والقريب « كما يقول المهندس علي الحجار الاختصاصي بهذه الظواهر » . وكانت نتيجتها الخسافات الجوبة «نقطة الارتكاز بجانب نهر بسري». وتشقق جبل شحيم وتخريب القرى المجاورة ، واكتشاف التفجير في جبال حيطورا جزين » الخ .

والذي يعنينا من هذا البحث هو تحديد أشد الهزات السابقة التي تعرض لها الإقليم والنتائج التي أحدثتها :

فأشد هزة من مئات الهزات التي ضربت لبنان والإقليم ، كانت الهزة

التي حدثت سنة ٥٥١ . يقول مؤلفو كتاب مباحث علمية واجتماعية في وصفها .

وأفجع من هذه الرزية — اي زلزلة حدثت سنة ٥٤٣ — الزلزال الذي حدث في ٩ تموز سنة ٥٥١ . وقد اهتزّ حينئذٍ كل الساحل الفينيقي من جزيرة ارواد إلى صور اهتزازاً شديداً . وإنما كان نصيب بيروت من هذا المصاب أوفر من سواها . روى المؤرخون : إن البحر جزَرَ إلى مسافة ميل ثم مدّ على شبه جبلٍ مائعٍ وسيلٍ عرمرميّ بصدمةٍ هائلةٍ . فحطّم السفن وأودى بحياة ألوف من البشر ولا سيما الشبان الدارسين الذين قصدوا بيروت من العالم . ودفن كل أبنية بيروت « بما فيها مدرسة الحقوق[1] » . وأساخها في قلب الأرض . كما شاهدنا حديثاً من أطلالها بيروت في سوق البازركان وكما يشاهد حديثاً في سوق مرسق وساحة النجمة .

ونقل بول كولينيه في كتابه « تاريخ مدرسة الحقوق في بيروت » ص ٥٤ و ٥٥ عن مخائيل السوري قوله : « ولكن نكبة أشدّ عنفاً وقعت في ١٦ تموز سنة ٥٥١ . وهي زلزال عظيم تبعه جذرٌ في البحر وحريق . ثم قال : إن البحر في بيروت وفي المدن الأخرى على ساحل فينيقية قد ارتد إلى الوراء مسافة ميلين تقريباً . . . واشتعلت النيران في بيروت بعد دمار المدينة فاستمرّ الحريق شهرين . حتى ذابت الأحجار وتكلّست « تحوّلت كلساً » وبعث الأمبراطور[2] يوستنيانوس بذهب كثير للتفتيش عن جثث الضحايا ودفنها . وأعيد قسم من المدينة .

١ مباحث علمية واجتماعية ص ٢٩١ .
٢ هكذا وردت في الأصل أي بالفون .

وعقّب الأب هنري لامنس على حدوث تلك الزلزلة المدمّرة بقوله :

« وقد اهتزّ آنئذٍ كل الساحل من جزيرة ارواد حتّى صور اهتزازاً شديداً . أما بيروت فكان لها في هذا المصاب السهم الأوفر . قيل : إن البحر فيها ارتد إلى الوراء نحو مسافة ميل ثم عاد بصدمةٍ هائلةٍ وغرّق سفناً عديدة وألوفاً من الناس » .

قلنا : وكان حظّ شحيم من هذه الزلزلة ، غورُ نهر روبين وتشقّق جبل شحيم وانفصال قسم كبير منه كما ذكرنا . والهزة الشديدة الثانية التي ضربت الإقليم حدثت سنة ١٧٥٩ . يقول الشماس أنطونيوس أبي خطار المعروف بالعنطوريني في وصفها : وفي سنة ١٧٥٩ صارت زلزلة مريعة في بر الشام وبلاد بعلبك وبيروت وطرابلوس وبرها . وفعلت أفعالاً عجيبة وهدمت أكثر قرى البر « ومنها شحيم » ومات أناس لا تحصى حتى ظنوا أن العالم أشرف على الهبوط . واستمر على هذه الحال من أول يوم تشرين الأول إلى أول شباط « صفحة ١٧٧ »[1] .

قلنا : وكان حظ شحيم منها انها تقوضت بيوتها . وطبّقت على من فيها . وقد شاهدنا سدد من آثارها عظام عائلات برمتها . وخوابي فخارية للزيت بحالةٍ سليمةٍ في حفريات البيوت الواقعة في الحارة الشمالية من شحيم ، قربَ جامع الساحة الحرب . وهو أول جامع بُنيَ في شحيم كما شاهدنا أشجار زيتون ساخت في الأرض « يومئذٍ » وأصبح عاليها سافلها ، في الحفريات التي أجراها المرحوم عبد الحليم الحجار ، عندما حفر لاستخراج المياه في محلة الشقاق . واني ألفت نظر القارىء إلى انني ما ذكرت إلاّ الهزات

١ مجلد سنة ١٩٥٦ من مجلة أوراق لبنانية ص ١٦٦ .

الشديدة التي أعقبت الخراب العظيم في الأرض والعمار ، والويلات الكبيرة في الخلق . وهناك ألوف الهزات لم نذكرها أو نعرها اهتماماً . والغريب في الأمر ان الناس كانوا إذا ما مضت الهزات يخلدون إلى السكينة وينسون أو يتناسون مراقبة الله إياهم وغضبه فيرتعوا في اللهو والضلال ، ويغيبوا كل الغياب عن الله مستسلمين لغرور الدنيا وملاهيها لينطبق عليهم قول الله سبحانه : « فلما نسوا ما ذُكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فاذاهم ميلسون »[1] .

وطابق ذلك ما حدث في الساعة التاسعة والدقيقة الثالثة والثلاثين من مساء الجمعة الواقع في ١٦ آذار سنة ١٩٥٦ . إذ بينما كان الناس نائمين ، أو سامرين لاهين ولاعبين ، مادت الأرض ميداً عظيماً ورجّت الجبال رجّاً ودُكّت البيوت دكّاً وخر الناس صعقين . فخرجوا هائمين على وجوههم لا يلوون على شيء . وانتشروا في البراري ، أو انحشروا في المعابد ، وقد أخذهم موج من الرعب ، فارتفعت أصواتهم تجأر لله إبالدعاء ، وتتوسل إليه بالرسل والكتاب والأنبياء ، ليكشف عنهم هذا البلاء . ولكن ما لبثوا حتى أخذتهم الهزة الثانية فألقتهم ذات اليمين . بل لم يفتأوا أن دهمتهم الهزة الثالثة فطوّحت بهم ذات الشمال . وخرت السّقُفُ على من بقي منهم في البيوت فسقتهم كاسات الحتوف . وخيل إليهم انهم يسمعون منادي الموت ينادي قائلاً : من فرّ من الموت في الموت وقع . ومن كان ينوي الحياة بعد ذلك لا رجع . وهناك عظم البلاء ، واشتد الكرب ، وساد الضيق . ووقف المؤمن المفكر لا يدري ما يُبدي وما يُعيد . وارتفع عدد القتلى حتى وصل إلى الرقم ١٤٠ قتيلاً . منهم ٦٨ في الشوف و ٦٣ في الجنوب و ٢ في البقاع .

١ الآية ٤٤ من سورة الانعام .

أما القتلى فكان حظ الإقليم منهم ٤٢ قتيلاً . منهم ٣٦ في شحيم وواحد في الزعرورية . وثلاثة في جون واثنان في المطلة . وبلغ عدد الجرحى في لبنان كله ١٠٢ . ويتحقق المطالع ان شحيم تحملت كما قال المهندس علي الحجار ثقل الزلزال كله في لبنان . إذ تهدّم معظم مساكنها . وأتلفت أرزاقها وأثاثها . وتخرّبتْ أملاكها وكثرت ضحاياها[1] . نجّانا الله من المصائب والأهوال ، وهدانا سواء السبيل ، وردّنا إليه ردّاً جميلاً .

وقبل أن ننتهي يقتضينا الانصاف أن نذكر ان اندفاع المحسنين من بيروت خاصة ومن جميع مناطق لبنان وبعض البلاد العربية وما جادت به أكفهم من المساعدات المختلفة ، وما أبدته الحكومة اللبنانية من الاهتمام والبذل للمناطق المنكوبة والمنكوبين ، خفّف وقع هذه المصيبة وعزّى المصابين والحمد لله أولاً وآخراً .

محمد حسين الحجار

١ مأخوذ عن كتاب الزلازل في لبنان للمهندس الاختصاصي في هذه الظواهر علي حسين الحجار .

ايضاحات للتواريخ في هذا الكتاب

في عهد السلطان العثماني الخليفة محمود الثاني ، استخرجت الدولة العلية العثمانية من التاريخ الهجري ، تاريخاً جديداً . دعت السنة فيه : السنة المالية أو السنة المارتية . نسبةً إلى شهر مارت « آذار » الذي حدث فيه هذا التغيير . وذلك بأن جعلت كلاًّ من الأشهر القمرية ثلاثين يوماً . وأبقت أسماءها كما هي . وذلك طبقاً لما فعل الشرقيون « الروم » عندما فصلوا التاريخ الشرقي عن التاريخ الغربي المسيحيّ . وبناء على ذلك ، لم يبقَ من فرق كبير بين أيام السنة من التاريخ المسيحي ، عن مثلها في التاريخ الهجري الجديد في عدد الأيام . وأوجبت استعماله في جميع معاملاتها . وقد أرّخت فيه تعيينات المتصرفين وكل معاملات المتصرفية اللبنانية في ذلك العهد . فاقتضى التنبيه . وقد بطل هذا التاريخ ، بمغادرة الأتراك هذي البلاد . وتسهيلاً لفهم ذلك ، وضعنا الجدول الآتي بالسنوات المسيحية ووضعنا تجاهها ما يقابلها من السنوات المارتية :

التاريخ الغربي	السنة المارتية
٩ تموز سنة ١٨٠٥	١١ ربيع الثاني سنة ١٢٢٠
تموز ١٨١٣	شوال ١٢٢٨
١٣ كانون الثاني ١٨٦٣	١٦ رجب ١٢٧٩

السنة المسيحية	السنة المانية أو المارتية
١٨٣٠	١٢٤٦
١٨٦٦	١٢٨٣
أول ك ٢ ١٨٦٨	رمضان ١٢٨٤
١٨٢٧	١٢٤٢
١٨٧٤	١٢٩٠
١٧٦٨	١١٨٠
١٨٦٨	١٢٨٤
١٨٢٥ ك ٢	جماد الثانية ١٢٤٠
٢٧ تموز ١٨٦٨	١٢٨٤
١١ ايار ١٨٦١	غرة ذي الحجة ١٢٧٧
١٨٦٩	١٢٨٥
١٨٧٨	١٢٩٤
١٨٧٣	١٢٨٨
١٨٧٥	١٢٩١
١٨٨٠	١٢٩٦
١٨٨٣	١٢٩٩
١٨٩٢	١٣٠٨
١٨٩٣	١٣٠٩
١٨٩٤	١٣١٠
١٨٩٥	١٣١١
١٨٩٦	١٣١٢
١٨٩٧	١٣١٣

السنة المسيحية الغربية	السنة المالية أو المارتية
١٨٩٨	١٣١٤
١٨٩٩	١٣١٥
١٩٠٠	١٣١٦
١٩٠١	١٣١٧
١٩٠٢	١٣١٨
١٩٠٣	١٣١٩
١٩٠٤	١٣٢٠
١٩٠٥	١٣٢١
١٩٠٦	١٣٢٢
١٩٠٧	١٣٢٣
١٩٠٨	١٣٢٤
١٩٠٩	١٣٢٥
١٩١٠	١٣٢٦
١٩١١	١٣٢٧
١٩١٢	١٣٢٨
١٩١٣	١٣٢٩
١٩١٤	١٣٣٠
١٩١٥	١٣٣١
١٩١٦	١٣٣٢
١٩١٧	١٣٣٣
١٩١٨	١٣٣٤
١٩١٩	١٣٣٥

مصادر البحث

١ً ذخائر لبنان : لإبراهيم بك الأسود — طبع المطبعة الأدبية سنة ١٨٩٦.

٢ً تاريخ الأذهان : له أيضاً .

٣ً نور الدين والصليبيون : لحسن حبشي — طبع دار الفكر بغداد .

٤ً تاريخ الأمير فخر الدين المعني : لعيسى اسكندر المعلوف .

٥ً تاريخ دير القمر في أواخر القرن التاسع عشر : لشكري البستاني — منشورات مركز الأبحاث في الجامعة اللبنانية .

٦ً مذكرات رستّم باز : نشرها الأستاذ فؤاد افرام البستاني .

٧ً قاموس لبنان لوديع نقولا حنا : طبع مطبعة السلام — بيروت سنة ١٩٢٧ .

٨ً مجازفات اللادي استر ستانهوب في الديار الشامية : لميشال سليم كميد — مطبعة العرفان — صيدا سنة ١٩٣٥ .

٩ً أبو سمرا غانم أو البطل اللبناني : لإبراهيم أبي سمرا غانم . بإشراف لحد خاطر . مطبعة الرهبان اللبنانية المارونية — بيروت .

١٠ً نسيج المضارب من وبر الماعز في شحيم : لغازي علي شعبان سنة ١٩٦٧ — منشورات مركز الأبحاث .

١١ تاريخ العاقوره : للخوري لويس الهاشم – مطبعة العلم بيت شباب سنة ١٩٣٠ .

١٢ منتخبات من : الجواب على اقتراح الأحباب : للدكتور ميخائيل مشاقه – طبع وزارة التربية بإشراف الأستاذ فؤاد افرام البستاني .

١٣ التاريخ القديم : لجميل نخله المدوّر – طبع رئيس المدرسة البطريركية – بيروت .

١٤ تاريخ الدولة العلية العثمانية : لمحمد فريد بك – طبع مطبعة حوش قدم – مصر .

١٥ مجلة أوراق لبنانية : مجلدات ١٩٥٥ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ للعلامة البحاثة الأستاذ يوسف يزبك .

١٦ الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان : للأمير حيدر أحمد الشهابي – منشورات الجامعة اللبنانية .

١٧ أخبار الأعيان في جبل لبنان : للشيخ طنوس الشدياق – منشورات الجامعة اللبنانية .

١٨ مباحث علمية واجتماعية : تأليف لجنة من الأدباء – بهمة المتصرف الاستثنائي اسماعيل حقي – منشورات الجامعة اللبنانية .

١٩ سفر الخالدين : للمعلم ملحم ابراهيم البستاني .

٢٠ السلسبيل : له أيضاً .

٢١ الحركات في لبنان : للأستاذ عارف أبي شقرا .

٢٢ عهد المتصرفين في لبنان : للأستاذ لحد خاطر – منشورات الجامعة اللبنانية .

٢٣ مجمع المسرات : للمؤرخ المنصف شاكر بك الخوري – مطبعة الاجتهاد ليوسف غنام تابت – سنة ١٩٠٨ بيروت .

٢٤ لبنان في عهد المتصرفية : للدكتور أسد رستم – دار النهار للنشر – بيروت سنة ١٩٧٣ .

٢٥ خمسون سنة مع الناس : للأستاذ يوسف سالم – طبع بيروت .

٢٦ العادات والأخلاق : لأديب لحود – طبع مكتبة صادر – بيروت .

٢٧ مجلة الطريق : أيلول سنة ١٩٦٩ – لأنطون تابت .

28 **Abdel Ismaïl,** Ambassadeur du Liban. 4ème partie de la thèse du doctorat. L'histoire du Liban de **1840 à 1860.**

٢٩ الدولة العثمانية في أواخر أيامها : للدكتور إحسان حلاق اطروحة لنيل الدكتوراه سنة ١٩٧٥ – الجامعة العربية .

٣٠ النزعات السياسية بلبنان : ١٩١٨ – ١٩٤٥ لمحمد جميل بيهم – الجامعة العربية سنة ١٩٧٧ .

٣١ وثائق سياسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ – ١٩٢٠ : للدكتور عبد العزيز سليمان نوّار سنة ٩١٧٤ – جامعة بيروت العربية .

٣٢ تاريخ لبنان للدكتور روجيه كوثراني : خاصة في أحد فصوله : « تفكك بني الدولة العثمانية » .

فهرست

الإهداء ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول

حدوده ١٥

سبب تسميته ١٦

الإقليم في العصر الحجري الأول ١٦

الفصل الثاني

من الجزء الأول

الإقليم في العهدين العربي والمملوكي ٢٦

منشور من الملك العادل نور الدين المذكور « نور الدين زنكي » وعلامته ٢٧

الفصل الثالث

من الجزء الأول

الإقليم في عهد الشهابيين ٣٥

اليزبكية والجنبلاطية تحلان محل الحزبين اليمني والقيسي . . ٣٧

شحيم ٤٥

ملاحظة ٥٥

الفصل الرابع
من الجزء الأول

خلو الجو للأمير بشير وللشيخ بشير جنبلاط بعد مقتل الشيخ شرف الدين القاضي ٥٧
وجهة نظر واستنتاج ٦١

الفصل الرابع
من الجزء الأول (تابع)

أول انتفاضة في الإقليم ٦٩
تأثير هذه الحادثة على السكان ٧٠

الفصل الخامس
من الجزء الأول

عهد الأمير بشير قاسم ملحم شهاب المشهور بأبي طحين ٧١
عهد عمر باشا النمساوي ٧١
استدراك وتوضيح ٧٥

الفصل السادس
من الجزء الأول

أول اجتماع انتخابي في الإقليم ٧٩
الحادثة الأولى ٧٩
الحجر المحفور عليه تاريخ البناء ورسم الباني ٨٠
القضاة ٨٠

المستشارون ٨١
خلاف بين أهل مزبود وآل هرموش وأبو حمزة ٨٤

الفصل السابع
من الجزء الأول

مسبّبو حوادث ١٨٤٤ و ١٨٤٥ التي أدّت لحادثة ١٨٦٠ المشؤومة ٨٩
الإجراءات التي اتخذتها الدولة العليا بحق المسبّبين ٨٩

الفصل الثامن

إهمال المؤرخين ذكر إقليم الخروب وتتمة القسم الأول من هذا الكتاب ٩٧

الجزء الثاني
عهد المتصرفية
الفصل الأول

التقسيمات الإدارية ١٠٥
نقل مركز الحكومة من دير القمر إلى بتدين ١٠٦
الضابطة ١٠٧
حادثة شاهين أبي صالح ١١٠
اهتمام داود باشا بالعلم ١١١

الفصل الثاني
من الجزء الثاني

استطراد اليزبكية والجنبلاطية ١١٣
النكبة الثانية ١١٤

تتمة عهد داود باشا ١١٨

المعلم بطرس البستاني ١١٨

الفصل الثالث

من الجزء الثاني

الإقليم في عهد فرنقو باشا ١٢١

المدارس الرسمية والعلم والتعليم في الإقليم من أيام فرنقو باشا حتى آخر عهد المتصرفية ١٢٢

لمحة عن مدرسة شحيم ١٢٢

الفصل الرابع

من الجزء الثاني

الإقليم في عهد رستم باشا ١٢٩

تتمة أعمال رستم باشا في الإقليم ١٣٨

اهتمام رستم باشا بالاقتصاد ١٣٩

الفصل الخامس

من الجزء الثاني

الاقليم

في عهد واصه باشا ١٤٣

في عهد نعوم باشا ١٤٦

الفصل السادس

من الجزء الثاني

الاقليم في عهود

مظفر باشا ١٥٢

يوسف فرنقو باشا ١٥٦

أوهانس باشا ١٦٢

الاقليم في عهد المتصرفين الاستثنائيين

علي منيف بك ٢٥ أيلول سنة ١٩١٥ إلى ١٥ ايار سنة ١٩١٦ . ١٦٦

إسماعيل حقي ١٥ ايار سنة ١٩١٦ — ١٤ تموز سنة ١٩١٨ . . ١٦٧

ممتاز بك ٢٥ اب سنة ١٩١٨ — ٣٠ أيلول سنة ١٩١٨ . . . ١٦٩

الجزء الثالث والأخير من الكتاب

الفصل الأول

في عهد الانتداب الفرنسي ١٧١

الفصل الثاني

من الجزء الثالث

ما حدث في الإقليم من الحوادث والأمور ١٨٠

بعض ذيول هذه الحادثة ١٨٢

البلديات في الاقليم

بلدية شحيم وكان رئيسها ابراهيم أسعد عويدات . . . ١٨٤

بلدية برجا وكان رئيسها الشيخ كامل الخطيب ١٨٤

بلدية جون ١٨٤

تتمة ماحدث في الإقليم من الحوادث السياسية ١٨٦

الفصل الثالث
من الجزء الثالث

التعليم في عهد الفرنسيين والاستقلال الصوري . . . . : ١٨٩
الحالة الاقتصادية . . . . : ٢٠٠

الفصل الرابع والأخير من القسم الثالث
لمحة عن المجتمع اليوم

التقاليد التي كانت تسوده سابقاً ٢٠٣
العادات والتقاليد ٢٠٨
حلق الذكر ٢١١
المآتم والأفراح ٢١٤
الخطبة والزواج ٢١٥
العرس ٢١٦
حفلات المغنّى «الزجل» ٢١٧
شيوخ الشباب ٢٢٩
لعب الحكَم أو السيف والترس ٢٣٠
التطهير أو الختان ٢٣٠

خاتمة

الزلازل في الإقليم ٢٢٣
ايضاحات للتواريخ في هذا الكتاب ٢٣٩
مصادر البحث ٢٤٣

اصلاح خطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٤	علية أشخاص	عليّة القوم أشخاص
٢١	٦	و . سخت	ورسخت
٣٥	١٥	تخلّقت	تخلّفت
٤٣	٨	وعندئذ جمع	وعندئذٍ أجمع
٤٨	١١	طبريّ	طريّ
٥٧	٥	للنحيب	للتحبّب
٦١	١٩	وكيف نريدهم	وكيف تريدهم
٦٢	٢٠	ويو.ثونها	ويورثونها
٧١	٩	اولاه عقباه	ولا اولاه
١٠٨	١	السنة التالية	السنة الثالثة
١١١	١٥	وكان معهم	وكان منهم
١٢٤	١٧	الضالعين	الضليعين
١٢٥	٧	وبقي مدير	وبقي يدير
١٤٧	٣	السلطان	السلطة
١٥٥	١٥	بينغي	ينبغي
١٥٨	٦	الطاقة الكبرى	الطامة الكبرى
١٦٠	١١	عزير	غزير

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٠	١٣	كايته	كلية
١٦١	٥	ابراهيم مؤرخ	ابراهيم حرفوش
١٦٣	٩	كان جزءاً	كان جزاءً
١٧٤	٥	في باريس	في شوارع باريس
١٧٥	١٢	مشاعر نار	مشاعل نار
١٧٦	١٥	بلعنة نظر	بلفتة نظر
١٧٨	١٨	ما طول الزمن	ما طواه الزمن
١٨١	٢	١٩٥٥	١٩٢٥
١٨٤	١٥	« وأفوحش »	« وأفوض
١٨٥	١٩	أراد هذا	أرانا هذا
١٨٥	٢١	برءات	برعاسة
١٨٧	١	بعد الاقليم	لعب الاقليم
١٩٢	١٣	للتشبيه بها	للتشبه بها
١٩٧	١٤	ان يليح	ان يلجَ
٢١٣	٤	بترجيح وتنغيم	بترجيع وتنغيم
٢١٤	١٦	وبموتها	وبموتهما
٢١٨	١٥	خلف مني	خلف منو
٢٢٢	١٢	وبعتها نجسه	وبعتها بخسه

بعونه تعالى
أنجز طبع هذا الكتاب
على مطابع « مؤسسة البيادر للطباعة »
في مزرعة الضهر (الشوف)
☎ ١٧٤/٧٢٠٤٩٥